التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين



تأليف

الإمام الكبير أبي المظفر الإسفراييني

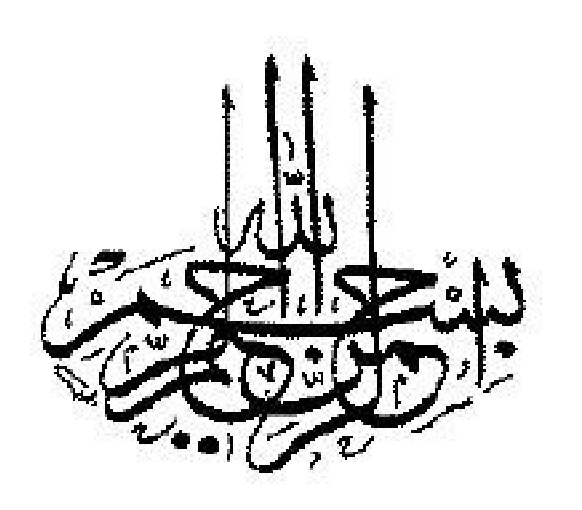
تحقيق

كمال يوسف الحوت

عالم الكتب

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين





بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الإمام الكبير أبي المظفر الاسفراييني

المتوفى سنة ٤٧١هـ

تحقيق

كمال يوسف الحوت

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

عالم الكتب

الطبعة الاولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقائد الغُرِّ المحجلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رحمة وهدى للمؤمنين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين .

وبعد ، فإن عقيدة الاسلام توافق العقل السليم الذي هو شاهد للشرع ، الذي لا يأتي الا بمجوزات العقل . وكلمة الشهادة « اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » هي الكلمة التي يدُخل بها في دين الإسلام لمن كان على غير الاسلام . ومعناها اجمالاً أنه لا معبود بحق إلا الله ، الواحد الاحد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وانه يتصرف في ملكه كما يشاء ، وانه ليس كمثله شيء ، وانه ارسل سيدنا محمداً القرشي الهاشمي ، وانزل عليه كتاباً احكمت آياته ، وانه ادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، وصبر حتى صارت كلمة الله هي العليا .

ثم لما توفي النبي ﷺ ، ارتد اناس في الاطراف ، وامتنع اناس عن اداء الزكاة ، حتى قام سيدنا ابو بكر بقمع هذه الفتن .

ثم وجد الفتّانون في عهد الفتن مرتعاً خصباً لبذر الشر والفساد ، فبدأوا يسعون جهدهم في تفريق كلمة المسلمين بشتى الوسائل ، فكانت الخوارج ، ونشأت فرق الشيعة ، ثم المعتزلة وغير هؤلاء من الفرق .

وهكذا عمت البلية ، وشملت المصيبة الى ان بلغ عدد اصول الفرق وفروعها عدداً كبيراً . فتحقق كلام النبي ﷺ في افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة .

وقد كان لعلماء المسلمين سعي مشكور في دفع الشبه ، وابطال التمويه والفساد ، فالفوا كتباً فمنهم :

١ ـ شيخ أهل السنة والجماعة الإمام ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الذي صنف كتابه «مقالات الاسلاميين» وقد طبع عام ١٣٦٩ .

(٢) الإمام المحقق ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين الرازي ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » .

٣ ـ الإمام المتكلم ، النظار ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي صاحب كتاب الفرق بين الفرق ، وقد طبع بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٤ ـ ابو المعالي محمد الحسين العلوي صاحب كتاب «بيان الاديان» نشره الدكتور يحيى الخشاب .

٥ ـ القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي ، صاحب كتاب «العقائد العضدية » .

٦ ـ الإمام الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل ، وقد طبع . .

وأخيراً هذا كتاب التبصير اقدمه لقراء العربية ، وقد عُنيتُ بالترجمة للاعلام التي وردت فيه ترجمات باختصار ، ودللت على المراجع لهذه الترجمات ليستزيد من أراد الاستزادة ، كما دللت على المراجع التي تحدثت عن الفرق التي تعرض لها الاسفرايني لنفس السبب، ثم دققت في تحقيق النص وضبط الفاظ الكتاب ونفيت عنه الخطأ الذي وقع في الطبعة السابقة ، والتي هي الاولى سنة ١٣٥٩ هـ .

والله سبحانه وتعالى ـ الموفق للخير، وأسأله ان ينفعني بهذا العمل الـذي أرجو به حسن الختام . وارجو ان يكون عملي هذا فيه فائدة للقارىء .

ربنا عليك توكلنا ، واليك المصير .

كمال يوسف الحوت
امين قسم المخطوطات
في
مركز الخدمات والابحاث الثقافية

ترجمة المؤلف

هو طاهر بن محمد الاسفرايني ، الشافعي ، الشهير بشهفور (ابو المظفر) . الإمام الاصولي ، الفقيه ، المفسر[1] . وهو من كبار ائمة اصول الدين ، وقد ترجم له ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري في مانسب الى الإمام ابي الحسن الاشعري »[2] في عداد رجال الطبقة الرابعة من الاشاعرة ذاكراً له بالإمام الكامل، الفقيه الاصولي المفسر . وقد اثنى عليه السيد مرتضى الزبيدي في شرح الاحياء عند الكلام على أئمة اصول الدين . وقد ذكره الداودي بقوله : شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني ، الشافعي ، ابو المظفر المفسر . إمام بارع ، صنف التفسير الكبير المشهور ، وصنف في الاصول ، وسافر في طلب العلم ، وحصّل الكثير .

بعض شيوخه :

سمع الحديث من اصحاب (ابي العباس) الاصم،واصحاب ابي علي (حامد بن محمد) الرفاء ، وكان له اتصال مصاهرة بالاستاذ ابي منصور البغدادي الإمام . وقد توفي بطوس سنة احدى وسبعين واربعمائة .

---

(١) انظر طبقات الشافعية : ٣ : ١٧٥ .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري : ص/ ٢٧٦ .

بعض مؤلفاته :

١ ـ « تفسير الكتاب الكريم » المسمى بـ «تاج التراجم في تفسير القرآن للاعاجم »[١] باللغة الفارسية ، وهو مطبوع في ايران بعناية بعض المستشرقين .

٢ ـ «التبصير في الدين ، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين »[٢] وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا . وقد استوفى المصنف فيه من غير املال ، ولا اخلال ، بيان عقائد اصحاب الملل والنحل.. وقد اجاد في شرح معتقد أهل السنة في آخر الكتاب . وقد قسم كتابه الى خمسة عشر باباً .

واخيراً هذه ترجمة موجزة للإمام الاسفرايني . وللاسف لم نقف على مصادر فيها تفصيل شافي لحياة المصنف .

---

(١) انظر : كشف الظنون : ١ : ٢٦٨ ـ ٤٤٢ .

(٢) انظر : كشف الظنون : ١ : ٣٤٠ .

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

قال الإمام الكبير، حجة المتكلمين أبو المظفر الاسفرايني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين ، وأصحابه البررة الطاهرين.

اعلموا اسعدكم الله : ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بمعرفته في ذاته وصفاته، وعدله وحكمته وكماله فى صفته ، ونفوذ مشيئته، وكمال مملكته ، وعموم قدرته ، ولا تتكامل المعرفة بذلك كله الا بنفي النقائص عنه . وباثبات اوصاف الكمال له من غير أن يشوبه شيء من بدع المبتدعين ، والحاد الملحدين وكان أمره تعالى متضمناً لأمرين، المعرفة بما أوجب معرفته ، والاحاطة بما أوجب عليه مجانبته حتى إذا اجتمع له الوصفان تحقق له وصف الايمان على سبيل الاتقان والايقان ، والمفارقة لما يوسوس لكثير منهم من الشبه وحبائل الشيطان فيكون إيمانه كما أخبر الله تعالى به عن إيمان خليل الرحمن حين قال : « **إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين**»[1] اثنى عليه لهذه المعرفة لجمعه بين المعرفة بكمال اوصافه وميله عن كل معبود يخالفه في وصفه فوصفه أي الله تعالى الخليلَ بكونه حنيفاً اي مائلاً عن عبادة الاوثان وحبائل الشيطان وما يخالفه من الطرق والأديان. وبمثله أقر رسوله المصطفى عليه السلام حين قال: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا

---

(١) الانعام : ٧٩ .

يفعلون»[1] وقال: «فاعلم انه لا إله إلا الله»[2] فأمره بالمعرفة ومغادرة كل دين يخالفه في حقيقته ، وأمره ان يخبر عن نفسه بصفة معرفته الجامعة لوصفي النفي والاثبات ومعرفة ما يجب معرفته، ومجانبة ما تجب مجانبته فقال: «قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»[3] . وأمر سبحانه الكافة بكلمة الايمان لا إله إلا الله جمع فيها بين النفي والاثبات ، وقدم النفي على الاثبات ليعلم ان الاثبات لا يحصل الا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته . وهكذا جمع في سورة الاخلاص بين النفي والاثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال في قوله :«قل هو الله أحد الله الصمد»[4] . ونفي عن نفسه النقصان بقوله: «لم يلد لم يولد ولم يكن له كفواً احد»[5] . حتى قال أهل المعارف في تحقيق صفة الصمد انه يتضمن اثبات كل صفة لا يتم الخلق الا بها . ونفي كل صفة لا يجوز وصفه بها . لأن الصمد في اللغة هو السيد الذي يرجع اليه في الحوائج[6] ، وهذا يوجب له اثبات صفات الكمال التي يتم بها اتساق الافعال وقد جاء ايضاح اللغة في تفسيره ان الصمد هو الذي لا جوف له[7] ، وهذا يتضمن نفي النهاية ، ونفي الحد والجهة ، ونفي كونه جسماً او جوهراً لان من اتصف بشيء من (تلك) الاوصاف لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف له . وتقرر بهذه الجملة وجوب المعرفة بالنفي والاثبات والتمييز بين الحق والباطل ومن لم يتحقق له (معرفة نفي) صفة الباطل لم يتحقق له (معرفة اثبات) صفة المعرفة بالحق .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة ، وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان: كان الناس

---

(١) الانعام : ١٥٩ .
(٢) محمد : ١٩ .
(٣) الانعام : ١٦١ .
(٤) الاخلاص : ١ - ٢ .
(٥) الاخلاص : ٣ - ٤ .
(٦) انظر «الصحاح» للجوهري ، ١ : ٢٤٠ .
(٧) انظر «القاموس المحيط» ١ : ٣٩٠ ، و «الصحاح» ١ : ٢٤٠ .

يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر. وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته لأن من لم يعرف الشر يوشك ان يقع فيه كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وقد أخبر رسول الله ﷺ انه سيظهر في زمن الاسلام من الفرق المختلفة ما ظهر في الأديان قبله فقال: «افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وتفترق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة». فقيل يا رسول الله من الناجية؟ فقال «ما أنا عليه وأصحابي» وفي خبر آخر أنه قال الجماعة[1].

وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب ان النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى: «يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»[2] ان الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة، والذين اسودت وجوههم أهل الاهواء[3] فبين رسول الله ﷺ ان هذه الأمة يلبس بها وينسب الى جملتها كثير من أهل الاهواء يفارقونهم في حقيقة الايمان، وان كانوا يلتبسون بهم في ظاهر الحال فلا بد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليه من البدع، ولا يكون كمن وصفه الله حيث قال: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»[4] وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر[5]، ولا يبقى في النار من كان

---

(١) ورد هذا الحديث بعدة الفاظ اما لفظ «ما انا عليه واصحابي» فقد اخرجه الترمذي: في الايمان باب ما جاء في افتراق هذه الامة. اما لفظه «الجماعة»، فقد اخرجه ابو داود: في السنة: باب شرح السنة، ورواه احمد في «المسند»: ٤: ١٠٢.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٤: ١٦٧ وعقب عليه بقوله: «ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب، وقال فيه: منكر من حديث مالك».

(٤) يوسف: ١٠٦.

(٥) القسم الاول اخرجه مسلم في «صحيحه»: في الايمان: باب تحريم الكبر وبيانه وابو داود: في الادب: ما جاء في الكبر، والترمذي: في البر والصلة: باب ما جاء في الكبر. ومعناه أي لا يدخل مع الاولين بل مع الآخرين بعد عذاب.

في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » . وانما يحصل مثقال ذرة من الإيمان باعتقاد صحيح سليم عن جميع شوائب البدع والالحاد وأنواع الكفر وما لم يتبين العاقل اوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها وكلام النبي ﷺ صدق ، ووعده حق ، وهذا الذي أخبر عن وجود فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن .

وقد اختلف مشايخ أهل التحقيق من علماء المسلمين فيه فقال بعضهم : لم يتكامل وجود هذه الفرق من أهل البدع بين المسلمين بعد ، وإنما وجد، بعضهم وسيوجد بعدهم قبل يوم القيامة جميعهم فان ما اخبر الرسول ﷺ كائن لا محالة ، وقال الباقون وهم الذين يتتبعون التواريخ ويفتشون عن المقالات المنقولة من ارباب المذاهب المتسمة بسمة الإسلام ان تمام هذه الفرق الضالة قد وجدت في زمرة الاسلام ووجب على المرء المحصل ان يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة ، ودينه عن اديانهم الضالة ، وقد ظهر في بلاد الإسلام اقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبسون عليهم الاديان ، وينتسبون الى فريقي اهل السنة والجماعة اصحاب الحديث والرأي ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الاسلام ليتقوى بهم على خداع اهل الغرة من المسلمين ويظهرون به للأغمار ان لهم الغلبة والقوة ولا يعرف الجاهل بأحوالهم . ان الباطل قد يكون له جولة ثم يسقطكما سارت به الامثال على لسان الكافة «ان الباطل يجول جولة ثم يضمحل » وكما يقال : «الحق ابلج ، والباطل لجلج»[1] وقال تعالى : «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»[2] .

فأردت ان أجمع كتاباً فارقاً بين الفريقين ، جامعاً بين وصف الحق وخاصيته والاشارة الى حججه ووصف الباطل وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقاناً في

---

(١) الابلج اي المضيء المشرق ، يقال صُبحٌ ابلج بيّن . و لجلج اي يتردّد من غير ان ينفُذ . ا هـ انظر مختار الصحاح ص/ ٦٢ ـ ٥٩٢ .

(٢) ابراهيم : ٢٧ .

دينه ، وتحقيقاً في يقينه ، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين ، ولا تدليس المخالفين للدين. وقسمته بحول الله وقوته على خمسة عشر باباً جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين ، وفضائح أهل الزيغ والملحدين ، والله تعالى ولي التوفيق لاتمامه بفضله وانعامه انه على ما يشاء قدير ، وبالفضل والأحسان جدير .

ـ الباب الأول : في بيان اول خلاف ظهر في الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وما ظهر من الخلاف في أيام الصحابة أو قريباً منهم .

ـ الباب الثاني : في بيان فرق الأمة على الجملة .

ـ الباب الثالث : في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم .

ـ الباب الرابع : في بيان مقالات الخوارج وبيان فضائحهم .

ـ الباب الخامس : في تفصيل مقالات القدرية الملقبة بالمعتزلة وبيان فضائحهم .

ـ الباب السادس : في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم .

ـ الباب السابع : في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الثامن : في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم .

ـ الباب التاسع : في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم .

ـ الباب العاشر : في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الحادي عشر : في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم .

ـ الباب الثاني عشر : في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم.

ـ الباب الثالث عشر : في بيان فرق ينتسبون الى دين الاسلام ولا يعدون في جملة المسلمين ، ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة .

ـ الباب الرابع عشر : في بيان مقالات أقوام من الملحدين كانوا قبل ظهور دولة الاسلام وانما أذكر جملة منهم .

الباب الخامس عشر : في بيان اعتقاد اهل السنة والجماعة وبيان ما لهم من المفاخر والمحاسن والآثار في الدين . وذكرت في كل باب ما يقتضيه شرطه على حد الاقتصار والاعتدال مصوناً من الاملال والاكثار بفضل الله وتوفيقه .

الباب الأول

في بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى ﷺ وفي أيام الصحابة أو قريباً من عهدهم

اعلم ان المسلمين وقت النبي ﷺ وبعد وفاته كانوا على طريق واحدة لم يكن بينهم خلاف ظاهر ، ومن كان بينهم من المخالفين المنافقين ما كان يتمكن من اظهار ما كان يستسره من أخباره . فكان أول خلاف ظهر بين المسلمين اختلافهم في وفاة رسول الله ﷺ حتى قال قوم منهم : انه لم يمت ، ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم . وارتفع هذا الخلاف ببركات ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين صعد المنبر وخطب خطبة وتلا عليهم قوله تعالى: «إنك ميت وانهم ميتون»[1] ثم قال: «من كان يعبد محمداً فان محمداً قدمات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت» فسكنت النفوس ، واطمأنت القلوب ، واذعنت له الرقاب ، واعترفت الكافة بما ظهر من الأمر وزال الخلاف .

ـ الثاني : انهم اختلفوا في موضع دفنه ﷺ . قال قوم : انه يدفن بمكة لانها مولده . وبها قبلته ، وبها مشاعر الحج ، وبها نزل عليه الوحي ، وبها قبر جده اسماعيل عليه السلام .

وقال آخرون : انه ينقل الى بيت المقدس فان به تربة الانبياء ومشاهدهم صلوات الرحمن عليهم .

وقال اهل المدينة : انه يدفن في المدينة لأنها موضع هجرته ، وأهلها اهل

---

(١) الزمر : ٣٠ .

نصرته . فزال هذا الخلاف ببركة الصديق حين روى ان رسول الله ﷺ قال : «الانبياء يدفنون حيث يقبضون»[1] فقبلوا منه روايته ورجعوا الى قوله ودفنوه في حجرته .

ـ الثالث : اختلافهم في باب الامامة . فقالت الانصار منا إمام ومنكم إمام ، وطال بينهم الكلام في ذلك حتى صعد الصديق رضي الله عنه المنبر وخطب ثم تلا عليهم قوله تعالى : «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»[2] قال فسمانا الصادقين ثم أمر المؤمنين ـ أي الله تعالى ـ ان يكونوا مع الصادقين بقوله تعالى «يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[3] وروى لهم[4] ان رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش » فصدقوه في روايته ، ونزلوا على قضيته واتفقوا على قوله فزال هذا الخلاف ايضاً ببركة الصديق ؛ ثم حدث فيه خلاف قوم من الخوارج حيث قالوا بجواز الخلافة في غير قريش كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخلاف لا يكون خطراً إلا إذا كان في أصول الدين ، ولم يكن اختلاف بينهم في ذلك بل كان اختلاف من يختلف في فروع الدين مثل مسائل الفرائض فلم يقع خلاف يوجب التفسيق والتبري . هكذا جرى الأمر على السداد أيام أبي بكر وعمر وصدر من زمان عثمان ثم اختلف في أمر عثمان وخرج عليه قوم منهم فكان من أمره ما كان .

ثم بعد ذلك حدث الاختلاف في أمر علي وفي حال أصحاب الجمل وصفين ، وفي حال الحكمين وظهر من ذلك خلاف الخوارج في أيام علي رضي الله عنه كما

---

(١) روى مالك حديثاً بمعناه : باب جامع الصلاة على الجنائز : رقم ٥٤٥ . بلفظ ان ابا بكر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه » اهـ .

(٢) الحشر : ٨ .

(٣) التوبة : ١٢٠ .

(٤) مع شهرة هذه الحكاية بين المتكلمين لم يثبت احتجاج ابي بكر بهذا الحديث يوم البيعة . وان كان الحديث وارداً بسند جيد عند الطبراني وغيره كما يظهر من «تلقيح الفهوم من تنقيح العموم» للحافظ العلائي .

سنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وظهر في وقته أيضاً خلاف السبأية من الروافض وهم الذين قالوا ان عليا إله الخلق حتى أحرق علي جماعة منهم ، وظهر بعد ذلك سائر أصناف الروافض كما نذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية ، وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني[1] وغيلان الدمشقي[2] وجعد بن درهم[3] . وكان ينكر عليهم من كان قد بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن أبي أوفى وجابر وأنس وأبي هريرة وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم . وكانوا يوصون الى أخلافهم بأن لا يسلموا عليهم ولا يعودوهم ان مرضوا ، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا[4] . ثم ظهر بعدهم في زمان الحسن البصري بالبصرة خلاف واصل ابن عطاء الغزال[5] في القدر ، وفي القول بمنزلة بين المنزلتين ، ووافقه عمرو بن عبيد[6] فيما أحدثه من البدعة فطردهم الحسن البصري من مجلسه فاعتزلوه باتباعهم

---

١ ـ هو معبد بن خالد ، الجهني ، البصري ، اول من تكلم في القدر . قال ابو حاتم : « قدم المدينة فأفسد فيها أناساً » اهـ . وقال محمد بن شعيب عن الأوزاعي : «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له «سوسن» كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر ، اخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد» ، وقيل صلبه عبد الملك بن مروان وقيل : خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج فعذبه ثم قتله ، وأرخوا موته سنة ٨٠ هـ . ويقال بعدها ، انظر العبر / ١ : ٩٢ ، تهذيب / ١٠ : ٢٢٥ .

(٢) هو أبو مروان : غيلان بن مسلم . أخذ القول بالقدر عن معبد كما تقدم . وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز جاء به واستتابه ، ثم قتله هشام بن عبد الملك بن مروان . أنظر الملل والنحل للشهرستاني/ ١ : ٣٠ ، لسان الميزان/ ٤ : ٤٢٤ ، المعارف/ ٦٢٥ .

(٣) الجعد بن درهم ، كان يؤدب مروان بن محمد آخر من ولي الخلافة من بني مروان ويقال : انه أول من تكلم في خلق القرآن ، ويقال : أخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه يوم عيد الأضحى .

(٤) أنظر الفرق بين الفرق/ ١٩ ـ ٢٠ .

(٥) هو واصل بن عطاء البصري ، ولد بالمدينة في سنة ثمانين ومات في سنة ١٣١ هـ قال عنه المسعودي : « هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين » كان يجلس في سوق الغزالين فلقب لذلك بالغزال . أنظر لسان الميزان/ ٦ : ٢١٤ .

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري ، المعتزلي ، القدري . قال ابن قتيبة : « كان يرى رأي القدر ، ويدعو إليه ، واعتزل الحسن هو واصحاب له فسموا المعتزلة » اهـ وقال الذهبي : « صحب الحسن ، ثم خالفه

جانباً من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين .وقولهم بمنزلة بين المنزلتين وزعمهم ان الفاسق الملي لا مؤمن ولا كافر ، وان الفساق من أهل الملة خرجوا من الايمان ولم يبلغوا الكفر وانهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم ، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة . ولما اظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى اليهم أسلافهم من الصحابة .

ثم ظهر خلاف النجارية في أيام المأمون الخليفة واستحد جماعة منهم بالري ونواحيها ، ثم ظهر أيضاً دعوة الباطنية من حمدان قرمط ، وعبد الله بن ميمون القداح ولا يعدون من فرق المسلمين فانهم في الحقيقة على دين المجوس كما شرحنا أديانهم في كتاب « الأوسط » .

ثم ظهر في زمان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر[1] بخراسان خلاف الكرامية كما نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلي » . مات سنة ١٤٢ هـ . انظر العبر/ ١ : ١٩٣ ، والمعارف/ ٤٨٣ ، وتاريخ بغداد/ ٦٦٥٢ ، ومروج الذهب/ ٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(١) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، الخزاعي ، نائب بغداد ، مات بمرض الخوانيق ببغداد سنة ٢٥٣ هـ . أنظر شذرات الذهب/ ٢ : ١٢٨ .

الباب الثاني

في بيان فرق الأمة على الجملة

اعلم أن الله حقق في افتراق هذه الأمة ما أخبر به الرسول ﷺ من افتراق هذه الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون في النار . فأما الاثنتان والسبعون فعشرون منهم الروافض من جملتهم الزيديون ، وهم ثلاث فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والابترية ، ومن جملتهم الكيسانية ، وهم فرقتان كما نبينه فيما بعد .

ومن جملة الروافض الإمامية . وهم خمس عشرة فرقة : المحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشميطية ، والعمارية ، والاسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقطعية ، والاثنا عشرية ، والهشامية ، والزرارية ، واليونسية ، والشيطانية ، والكاملية . فهذه جملة فرق الروافض الذين يعدون في زمرة المسلمين .

فأما البيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية ، والحلولية منهم فلا يعدون في زمرة المسلمين لأنهم كلهم يقولون بآلهية الأئمة كما نفصله فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وعشرون منهم الخوارج وهم : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات والصفرية والعجاردة والأباضية . فالعجاردة منهم فرق كالخازمية ، والشعيبية ،

والشيبانية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والابراهيمية ، والواقفية .

والأباضية منهم أربع فرق . الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد بها الله تعالى : ولا يعد اليزيدية من فرق الاسلام لأنهم جوزوا فسخ شريعة الاسلام وذلك خلاف اجماع المسلمين . ومن جملة العجاردة فرقة يقال لهم الميمونية ولا يعدون من فرق المسلمين لأنهم يجوزون التزوج ببنات البنات ويبيحونه وذلك خلاف ما عليه المسلمون .

وعشرون منهم القدرية المعتزلة كل فريق منهم يكفر سائرهم وهم : الواصلية ، والهذلية ، والعمروية ، والنظامية ، والاسوارية ، والمعمرية ، والاسكافية ، والجعفرية ، والبشرية ، والمردارية ، والهشامية والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية . وأصحاب صالح قبة ، والمؤنسية والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ، وفرقتان من هذه الجملة لا يعدان من فرق الاسلام . وهما الخابطية والحمارية ، كما نذكره فيما بعد .

وثلاث فرق هم المرجئة . فريق منهم يجمعون بين الارجاء في الايمان ، وبين القول بالقدر كأبي شمر[1] ومحمد بن شبيب البصري[2] ، والخالدية فؤلاء مرجئون قدريون ، وفريق منهم يجمعون القول بالارجاء في الايمان ، وبين قول جهم كما سنذكره فيما بعد فهؤلاء هم مرجئون جهميون .

وفريق جوزوا القول بالارجاء ولا يقولون بالجبر ولا بقدر وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية . فصارت المرجئة على هذا التفصيل سبع فرق .

---

(١) بكسر الشين وسكون الميم كما في الأنساب . وهو ممن جمع بين البدعتين : الارجاء ، ونفى القدر . منبوذ عند الفريقين وهو رأس الشمرية من المبتدعة . أنظر مقالاته في الملل/ ١ : ١٤٥ .

(٢) نسب الى جده وهو ممن جمع بين البدعتين : الارجاء ، ونفي القدر . كان من أصحاب النظام . أنظر مقالاته في الملل/ ١ : ١٤٥ .

وفرقة هم البكرية ، وفرقة هم النجارية المقيمون بالري ونواحيها وهم اكثر من عشر فرق فيما بينهم . كالبرغوثية ، والزعفرانية . والمستدركة وغيرهم ويعدون فرقة واحدة ، وفرقة هم الضرارية وفرقة هم الجهمية وفرقة هم كرامية خراسان وهم ثلاث فرق الحقائقية ، والطرائقية ، والاسحاقية ، ويعدون فرقة واحدة لأن بعض فرقهم لا يكفر بعضاً . فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة .

والفرقة الثالثة والسبعون هي الناجية . وهم : أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأي وجملة فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الشريعة التي لا يجري فيها التبري والتكفير وهم من أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله : « الخلاف بين أمتي رحمة[1] » والله ولي العصمة من كل إلحاد وبدعة .

---

(١) المشهور على الألسن : « اختلاف أمتي رحمة » وهذا لم يثبت وتفصيل ذلك في : كشف الخفا ١ : ٦٤ .

الباب الثالث

في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم

اعلم أن الروافض يجمعهم ثلاث فرق[1] . الزيدية ، والامامية ، والكيسانية .

١ ـ الزيدية :

ـ فاما الزيدية منهم فثلاث فرق . الجارودية ، والسليمانية ،والابترية .

(أ) الجارودية :

فأما الجارودية فهم أتباع أبي الجارود[2] وكان مذهبه : أن النبي ﷺ نص على

---

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب/ ٣ : ٢٢٠ ان قوماً من مصنفي كتاب المقالات والآراء كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق يذكرون أن الزيدية ثمان فرق وعدها بأسمائها . وذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الاسلاميين/ ١ : ١٣٢ أن الزيدية ست فرق ، وعدها ، وذكر مقالة كل فرقة منها ، أما الاسفرائيني فسار سير الامام عبد القاهر التميمي في « الفرق بين الفرق » في تقسيم الروافض وتقسيم كل صنف منها . راجع كتابه ص/ ٢٩ .

(٢) قال السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس/ ٢ : ٢١٨ : « والجارودية فرقة من الزيدية من الشيعة نسبت الى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، وأبو الجارود هو الذي سماه الامام الباقر سُرحوباً ، وفسره بأنه شيطان يسكن البحر » اهـ . وقال ابن حجر في « تهذيب التهذيب »/ ٣ : ٣٨٦ : زياد بن المنذر الهمداني ، ويقال النهدي ، ويقال الثقفي ـ أبو الجارود ، الأعمى الكوفي . ثم قال : « قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : متروك الحديث وضعيفه جداً ، وقال معاوية ابن صالح عن يحيى بن معين كذاب عدو الله ليس يسوى فلساً . . . وقال أبو حاتم بن حبان : كان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم . اهـ باختصار . وانظر « الفهرست » لابن النديم ص/ ٢٦٧ ، ومروج الذهب/ ٣ : ٢٢٠ ، والملل والنحل » ١ : ١٥٧ .

امامة علي بالصفة لا بالاسم ، وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ، ومخالفتهم النص الوارد عليه ، وكان يقول : إن الامام بعده الحسن بن علي ، ثم بعده الحسين بن علي ، ويكون بعدهما الامامة شورى في أولادهما . فمن خرج من أولادهما شاهراً سيفه داعياً الى دينه ، وكان عالماً ورعاً فهو الامام .

وزعم قوم من الجارودية أن الامام المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] ويقولون انه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان[2] وأنه لم يمت ولم يقتل .

وزعم قوم منهم : أن المنتظر يحيى بن عمر الذي قتل بالكوفة[3] وهم لا يصدقون بقتله .

(ب) السليمانية :

وأما السليمانية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي[4] وكان يقول : ان الامامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من أخيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة ، وكان يقر بامامة أبي بكر ، وعمر ، ويجوز امامة المفضول ، وكان يقول : ان الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي فانه كان أولى بها ، وكان اعراضهم عنه

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المعروف بالنفس الزكية ، خرج بالمدينة ، وبويع له في الآفاق ، قتل سنة/ ١٤٥ هـ ، أنظر ترجمته في « العبر » ١ : ١٩٨ ، و« مروج الذهب » ٣ : ٣٠٦-٣٠٨ .

(٢) هو أبو جعفر : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين السبط ، وأمه صفية بنت موسى بن عمر بن علي بن الحسين السبط . خرج بخراسان ببلدة يقال لها الطالقان في خلافة المعتصم ، ثم وُجه اليه جيش فانهزم محمد بن القاسم وحبس في قصر المعتصم . أنظر « الكامل » ٦ : ١٦٢ ، و« النجوم الزاهرة » ، ٢ : ٢٣٠ ، و« تاريخ الطبري » في حوادث سنة/ ٢١٩ هـ .

(٣) هو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، خرج بالكوفة أيام المستعين فوجه اليه الحسين بن اسماعيل ، فقتله » أنظر « الكامل » ٧ : ٤٣ ، ومروج الذهب ٤ : ١٤٧ .

(٤) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٥٩ ، و« مقالات الاسلاميين » ١ : ١٣٥ .

خطأ لا يوجب كفراً ولا فسقاً ، وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان بسبب ما أخذ عليه من الأحداث وكفرهم أهل السنة والجماعة بتكفيرهم عثمان . وربما يدعى هؤلاء جريرية [1] .

(ج) الأبترية :

فأما الأبترية منهم فهم أتباع الحسن بن صالح بن حي [2] وكثير النواء الملقب بالأبتر [3] وقول هؤلاء كقول السليمانية . غير أنهم يتوقفون في عثمان ، ولا يقولون فيه خيراً ولا شراً ، وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهر الحال .

واعلم أن السليمانية والأبترية يكفرون الجارودية منهم لتكفيرهم أبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصحابة وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول بتخليد أهل الكبائر في النار ، ووافقوا القدرية في هذا المعنى ، ووافقوا الخوارج أيضاً في أن فساق الملة كفار يخلدون في النار مع الكفار ويقنطون من رحمة الله «ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» [4] وهؤلاء الفرق الثلاثة إنما يسمون زيدية لقولهم بامامةزيد بن علي [5] ابن الحسين بن علي في وقته ، وامامة ابنه يحيى بن زيد [6] في وقته ، وكان أمر زيد هذا

---

(١) وقد سماهم المقريزي في «الخطط» ١ : ٣٥١ بذلك . وقد جمع التميمي في «الفرق بين الفرق» بين الاسمين ص/ ٣٢ .

(٢) قال ابن النديم في «الفهرست» ص/ ٢٦٧ : «ولد الحسن بن صالح بن حي سنة مائة ، ومات متخفياً سنة ثمان وستين ومائة ، وكان من كبار الشيعة الزيدية ، راجع ترجمته في «تهذيب التهذيب» ٢ : ٢٨٥ - ٢٨٩ .

(٣) وقد جعل الشهرستاني في «الملل والنحل» ١ : ١٦١ الابترية فرقتين ، فرقة اتباع الحسن بن صالح وسماها الصالحية ، وفرقة اتباع الأبتر وسماها البترية .

(٤) يوسف : ٨٧

(٥) راجع ترجمته في «العبر» ١ : ١٥٤ ، و«مشاهير علماء الأمصار» رقم/ ٤٢٥ ، و«تهذيب التهذيب» ٣ : ٤١٩ ، و«المعارف» ص/ ٢١٦ ، و«مقالات الاسلاميين» ص/ ١٢٩ ، ١٤٤ ،«ومروج الذهب» ٣ : ٢١٧ .

(٦) خرج في ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك منكراً للظلم ، فقتل في المعركة بسهم اصابه في صدغه وحز رأسه وحمل الى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان» اهـ باختصار انظر «مروج الذهب» ٣ : ٢٢٥ ، و«الكامل» ٥ : ١٠٧ ، والمعارف ص/ ٢١٦ .

أنه بايعه خمسة آلاف من أهل الكوفة فأخذ يقاتل بهم يوسف بن عمر الثقفي[1] عامل هشام بن عبد الملك فلما اشتد بهم القتال قال الذين بايعوه آه ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فقال زيد : اثنى عليهما جدي علي ، وقال فيهما حسناً ، وإنما خروجي على بني أمية فانهم قاتلوا جدي علياً ، وقتلوا جدي حسيناً ، فخرجوا عليه ورفضوه فسموا رافضة بذلك السبب وهجروه كلهم ولم يبق منهم إلا نضر بن خزيمة العبسي ، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة[2] ، مع مقدار مائتي رجل فأتى القتل على جميعهم ، وقتل زيد ودفن فأخرج بعده من القبر وأحرق وهرب ابنه يحيى ابن زيد الى خراسان وصار الى ناحية جوزجان وخرج على نصر بن سيار والى خراسان فبعث نصر بن سيار[3] اليه سلم بن أحوز المازني[4] في ثلاثة آلاف من المقاتلة فاستشهد يحيى بن زيد في ذلك القتال ومشهده بجوزجان .

٢ ـ الكيسانية :

وأما الكيسانية[5] : فهم أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي[6] . الذي كان قام يطلب ثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يقتل من يظفر به ممن كان قاتله بكربلاء وهؤلاء الكيسانية فرق يجمعهم القول بنوعين من البدعة .

أحدهما : تجويز البداء على الله تعالى . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) هو أبو يعقوب ، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود ، الثقفي . ولاه هشام بن عبد الملك اليمن سنة/ ١٠٦ هـ ثم ولاه العراق في سنة/ ١٢٠ هـ فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف . ثم لما ولي يزيد ابن الوليد الخلافة حبسه ، وبقي في الحبس الى أن قتل سنة/ ١٢٧ هـ . أنظر « وفيات الأعيان » رقم ٨١٤ .

(٢) وهما من جملة من قتل مع زيد بن علي سنة/ ١٢١ هـ .

(٣) أنظر ترجمته في « المعارف » ص/ ٤٠٩ ، « ومروج الذهب » ٢ : ٢٥٥ ، و « الكامل » ٥ : ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٥٣ . و « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٣١ .

(٤) وقع في « العبر » ١ : ٦٦ « سلم بن أحور » بالراء المهملة .

(٥) أنظر عن هذه الفرقة : « مروج الذهب » ٣ : ٨٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٤٧ و « الفرق بين الفرق » ص / ٣٨ ، وقد نسبهم الى كيسان مولى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

(٦) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو ، الثقفي : الذي خرج يطلب بثأر الحسين بن علي ، وهو الذي جهز الجيش لحرب عبيد الله بن زياد بقيادة ابراهيم بن الأشتر النخعي . وقتل المختار سنة/ ٦٧ هـ في موقعة عظيمة دارت بينه وبين مصعب بن الزبير . أنظر « العبر » ١ : ٧٤ ، و « المعارف » ص/ ٤٠٠ .

الثاني : قولهم بامامة محمد بن الحنفية[1] ثم اختلفوا في سبب امامته فمنهم من قال ، ان سبب امامته أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دفع الراية اليه يوم الجمل وقال له :

أطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير في حرب إذا لم توقد

(بالمشرفي والقنا المشرد)

ومنهم من قال : ان سبب امامته ان الامامة كانت لعلي ثم للحسن ثم للحسين وقد أوصى حسين بها لأخيه محمد بن الحنفية في الوقت الذي كان يهرب من المدينة ويقصد مكة إذ كان مطالباً ببيعة يزيد بن معاوية وهؤلاء الذين يقولون بامامة محمد بن الحنفية .

(أ) الكربية :

وقوم منهم يقال لهم الكربية : اصحاب أبي كرب الضرير[2] يقولون : ان محمد بن الحنفية لم يمت ولم يقتل وانه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يتناول منهما وعنده أسد ونمر تحفظانه من الأعداء إلى أن يؤذن له في الخروج وهو المهدي المنتظر عندهم .

وقوم من الكيسانية أقروا بموته ثم اختلفوا فقال قوم منهم : ان الامامة بعده رجعت الى ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين[3]

---

(١) أنظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٩ : ٣٥٤ ، « والعبر » ١ : ٩٣ ، و« مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٤١٩ .

(٢) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٠ وهذا من غلاة الكيسانية .

(٣) هو أبو الحسين ـ ويقال : أبو الحسن الملقب بزين العابدين ، المدني وهو الذي قال فيه الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه ، والحل ، والحرم

وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل سنة/ ٩٣ هـ ، وقيل : ٩٢ هـ ، وقيل : ٩٤ هـ وقيل : في ٩٥ ، وقيل : في ١٠٠ هـ . أنظر « تهذيب التهذيب » ٧ : ٣٠٤ ، و« مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٤١٩ .

(ب) الهاشمية :

وقال قوم انها رجعت الى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[1] ثم قال قوم رجعت بعد أبي هاشم الى محمد بن عبد الله بن عباس[2] بوصية أبي هاشم له بها وهذا قول ابن الراوندي وأتباعه .

(ج) البيانية :

وقال قوم رجعت الى بيان بن سمعان التميمي[3] وهؤلاء قوم يلقبون بالبيانية وهم من جملة الغلاة يدعون آلهية بيان بن سمعان ويزعمون أن روح الإله حل في أبي هاشم ثم رجع الى بيان .

وقال قوم بل رجعت الى عبد الله بن عمرو بن حرب[4] وكانوا يدعون آلهيته ، وكان كثير الشاعر[5] والسيد الحميري من جملة الكيسانية كانا ينتظران محمد بن الحنفية ولهما في ذلك أشعار كثيرة فمما قاله السيد الحميري[6] في معناه .

---

(١) أنظر ترجمته في « العبر » ١ : ١١٦ ، ومشاهير علماء الأمصار » رقم/ ٩٩٤ و « تهذيب التهذيب » ٦ : ١٦ .

(٢) راجع ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٩ : ٣٥٥ ، و « العبر » ١ : ١٦٠ ، و « مشاهير علماء الأمصار » رقم/ ١٠٠٣ .

(٣) هو بيان بن سمعان التميمي ، النهري ، اليمني ، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني من الهجرة ، ادعى النبوة ، وادعى أن الاله حل فيه ثم أخذه خالد القسري فقتله وصلبه . أنظر « الفرق بين الفرق » ص/ ٤٠ و « الملل والنحل » ١ : ١٥٢ ، و « الكامل » ٥ : ٨٢ .

(٤) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ٦٨ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٤١ .

(٥) هو أبو صخر ، كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود ، كان يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يؤمن بالرجعة . أنظر « وفيات الأعيان » رقم/ ٥١٩ و « مقالات الاسلاميين » ١ : ٩٠ ، وخزانة الأدب » ٢ : ٢٧٦ .

(٦) وقد نسبها الامام التميمي في « الفرق بين الفرق » الى كثير . وقد رد عليه بقصيدة فقال : « وقد اجبناه عن هذا الشعر بقولنا :

لَقَدْ أَفْنَيْتَ عمرَكَ بانتظارٍ ... لمن وارى الترابُ له عِظَامَا
فليس بِشِعْبِ رَضْوَاء إمَامٌ ... تُرَاجِعهُ الملائكةُ الكلاما
ولا مَنْ عندَه عَسَلٌ وماء ... واشرِبَةٌ يعسلُ بها الطعاما
وَقَدْ ذَاقَ ابن خَوْلَةَ طعم مَوْتٍ ... كما قد ذاق والده الحِماما
ولو خَلَدَ امرؤٌ لِعُلُوٍّ مجدٍ ... لعاش المُصْطَفَى أبداً وَدَامَا

الا قُلْ للوَصـيّ فَدَتْـكَ نَفْسي — أطَلْـتَ بِذلِكَ الجَبَـلِ المُقَامَا
أَضـرَّ بمعشَـرٍ وَالَـوْكَ مِنَّا — وَسَمُّـوكَ الخليفَـةَ والإمَامَا
وَعَـادوْا فيكَ أهـلَ الأرضِ طُرًّا — مُقَامُـكَ عندهُـمْ ستينَ عَاما

(د) المختارية :

وأول من قام ببدعة الكيسانية ودعا الى امامة محمد بن الحنفية المختار ابن أبي عبيد أخذ في طلب ثأر الحسين بن علي وظفر باعدائه ، ولما تم له الظفر في حروب كثيرة اغتر بنفسه فأخذ يتكلم بأسجاع كأسجاع الكهنة . ولما بلغ خبر كهانته الى محمد بن الحنفية خاف أن يقع بسببه فتنة في الدين وهم ليقبض عليه ، فلما علم به المختار وخاف على نفسه منه اختار قتله بحيلة فقال لقومه : المهدي محمد بن الحنفية وانا على ولايته . غير أن للمهدي علامة وهي أن يضرب عليه بالسيف فلا يحيك فيه السيف ، وأنا أجسرب هذا السيف على محمد بن الحنفية ، فان حاك فيه فليس بمهدي .

فلما بلغ الى محمد بن الحنفية هذا الخبر خاف ان يقتله بما ذكرناه من حيلته فتوقف حيث كان ثم ان السبأية خدعوا المختار وقالوا له : أنت حجة الزمان ، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها ، وزعم أن اسجاعه وحي يوحى اليه ، ثم قويت شوكته ، واستفحل أمره ، حتى قصد جنداً من جنود مصعب بن الزبير[1] فهزمهم وأسر جماعة منهم فيهم سراقة بن مرداس البارقي[2] فلما قدم الى المختار احتال وقال : لم تهزمنا جندك ، ولا أسرنا قومك ، ولكن الملائكة الذين جاؤوا لنصرتك ونصرة جندك هم الذين هزمونا ، فاعف عنا فانا لم نعلم أنك على الحق ، والآن فقد

---

(١) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، ولاه أخوه عبد الله العراق ، سار لحرب المختار فقتل من جند المختار عدداً كبيراً ، ثم ساروا فدخلوا الكوفة وحصروا المختار بقصر الامارة أياماً الى أن قتل في رمضان من سنة/ ٦٨ هـ . وقد قتل مصعباً في أثناء معركة دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة/ ٧٢ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٧٥ ، « وشذرات الذهب » ١ : ٧٤ ، ومشاهير علماء الأمصار رقم/ ٤٥٧ ، والمعارف ص/ ٢٢٤ .

(٢) نسبة الى بارق ، وبارق : يحتمل واحداً من اثنين ، فإما أن يكون قبيلة من قبائل اليمن منهم معقر بن حمار البارقي الشاعر ، وإما أن يكون موضعاً قريباً من الكوفة . انظر لسان العرب : (برق) .

علنّاه ، فعليك اقسم بحق أولئك الملائكة الذين كانوا على أفراس بلق قائمين بنصرتك ان تعفو عنا . فعفا عنهم وعاد سراقة الى جند مصعب بن الزبير بالبصرة وأنشأ هذه الأبيات وبعث بها الى المختار .

ألاَ بلــغْ أبا إسحــاقَ أنّي — رأيتُ البُلْــقَ دُهْمــاً مُصْمَتَاتِ
أُرِي عينـيَّ ما لم ترأياه — كلانـا عالــم بالتُّرهَاتِ [1]
كَفَـرْتُ بَوْحْيِكم وجعلـتُ نَذْراً — علـيَّ قِتَالَـكم حتـى المَمَاتِ

واعلم أن السبب الذي جوزت الكيسانية البداء على الله تعالى . أن مصعب ابن الزبير بعث إليه عسكراً قوياً ، فبعث المختار الى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم : أوحي الي ان الظفر يكون لكم فهزم ابن شميط فيمن كان معه فعاد إليه فقال : أين الظفر الذي قد وعدتنا ؟ فقال له المختار : هكذا كان قد وعدني ثم بدا فانه سبحانه وتعالى قد قال: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» [2] . ثم خرج المختار الى قتال مصعب ورجع مهزوماً الى الكوفة فقتلوه بها .

واعلم أن الكيسانية اختلفوا في حبس محمد بن الحنفية بجبل رضوى ، فمنهم من قال كان ذلك عقوبة له على خروجه بعد قتل الحسين بن علي الى يزيد بن معاوية وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء من قبله ، وعلى أنه خرج من مكة في أيام ابن الزبير وقصد عبد الملك بن مروان ثم انصرف من الطريق وعدل الى الطائف وكان بها عبد الله بن عباس فتوفي عبد الله بن عباس وصلى عليه بها محمد بن الحنفية ودفنه هناك ، ثم قصد اليمن فلما بلغ شعب رضوى توفي هناك ودفن . والذين يقولون بانتظاره ينكرون موته ، ويزعمون انه غيب عن الناس الى أن يؤذن له في الخروج .

وقال قوم من الكيسانية لا ندري سبب حبسه هناك ولله في حبسه سر لا يعلمه الا هو . هذا تفصيل قول الكيسانية من الروافض .

---

(١) رواه التميمي في « الفرق بين الفرق » ص/ ٤٩ بلفظ : « أري عينيّ مالم تنظُراه » . واللفظ هنا هو الذي يرويه علماء الصرف على أنه رجوع الى الأصل المهجور . راجع لسان العرب وذكر أنه يروى « مالم ترياه » بغير همز . « الترهات » ومعنى (تُرهَة) الطرق الصغار ، فارسي معرب ، أنظر « مختار الصحاح » ص/ ٧٧ .
(٢) الرعد : ٣٩ .

٣ ـ الإمامية

ـ اما الإمامية منهم فهم خمس عشرة فرقة :

(١) الكاملية :

أحداهما الكاملة : وهم اتباع ابي كامل يقولون ان الصحابة كلهم كفروا بتركهم بيعة علي ، وكفر علي أيضاً بتركه قتالهم اذ كان واجباً عليه أن يقاتلهم كما قاتل اهل صفين والجمل ، وكان بشار بن برد الشاعر[١] منهم لما سئل عن الصحابة فقال : كفروا . فقيل له ما تقول في علي ؟ فأنشد قول الشاعر :

وما شرُّ الثلاثة ام عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحبيا[٢]

وبشار هذا زاد على الكاملية بنوعين من البدعة .

احدهما : انه كان يقول بالرجعة قبل القيامة كما كان يقولها الرجعية من الروافض .

والثاني : انه كان يقول بتصويب ابليس في تفضيل النار على الأرض ولذلك قال :

الارضُ مظلمة ، والنار مُشْرِقَةٌ ... والنارُ معبودة مذ كانت النارُ[٣]

ووفق الله سبحانه المهدي بن منصور الخليفة حتى غرقه واتباعه في دجلة ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

(٢) المحمدية :[٤]

وهم يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب

---

(١) شاعر خدم الملوك وحضر مجالس الفقهاء ، وكان يمدح المهدي العباسي رمي بالزندقة فتبرأ منه واصل ، فهجاه ثم قتله المهدي في سنة / ١٦٧ هـ وقيل : في سنة ١٦٨ هـ . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص/ ٢١ .

(٢) هذا البيت السادس في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي .

(٣) وقد رد صفوان الانصاري في قصيدة ،

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» ص/ ٥٦ .

ويقولون أنه لم يمت ، وأنه حي في جبل حاجر من ناحية نجد ، وانه يقيم هناك الى ان يؤذن له في الخروج فيخرج ويملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ، وكان المغيرة بن سعيد العجلي[1] على هذا المذهب وكان يدعو الناس اليه . ودخل في دعوته جماعة من أهل المدينة ، وأهل مكة وأهل اليمن ، فجمع منهم عسكراً وغلب على نواحي البصرة ، واستولى فريق من جنده على نواحي المغرب ، وكان ذلك منهم في زمن المنصور[2] فبعث اليهم عيسى بن موسى بجيش عظيم ، فاستشهد محمد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة ، واختلف اصحاب المغيرة في حاله . فمنهم من اقر بقتله وخرجوا على المغيرة وقالوا : انه كذب في قوله يملك الارض فانه قتل وما ملك ، ومنهم من قال : ان المغيرة صدق فيما ذكر ان محمداً لم يقتل وانما غاب عن أعين الناس في جبال حاجر الى ان يؤذن له في الخروج فيخرج ويملك الارض ويبايعه بين الركن والمقام سبعة عشر رجلاً يجيئون لأجله ، ويعطي كل واحد منهم حرفاً من حروف اسم الله الاعظم فهم يهزمون العساكر بذلك ، وهؤلاء يزعمون ان الذي قتله عيسى بن موسى بالمدينة كان شيطاناً تصور في صورة محمد وانه لم يقتل في الحقيقة . واصحابنا يقولون لهم جوابكم ان ترتكبوا مثل هذه الخرافات ، فهلا انتظرتم الحسين بن علي وقلتم انه لم يقتل ، وهلا انتظرتم علي بن أبي طالب وقلتم ان الذي قتله ابن ملجم[3] كان شيطاناً تصور بصورة علي .

(٣) الباقرية :

وهؤلاء يقولون ان الإمامة كانت في اولاد علي الى ان انتهى الامر الى محمد بن

---

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلي ـ زعم ان ابا جعفر محمد بن علي الباقر أوصى اليه ، فاتم به جماعة من اهل الضلال ، وبلغ خالد بن عبد الله القسري خبره فأخذه وقتله ثم صلبه . انظر «الكامل» ٤ : ٨٢ ، و «النجوم الزاهرة» ١ : ٢٨٣ .

(٢) هو ابو جعفر : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الهاشمي ، العباسي ، ثاني خلفاء بني العباس ، ولقبه المنصور . توفي بمكة سنة / ١٥٨ هـ في شهر ذي الحجة عن ثلاث وستين سنة . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة . انظر «العبر» ١ : ٢٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن ملجم ، المرادي ، الحميدي ، الذي اغتال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قتل سنة / ٤٠ هـ .

علي بن الحسين الباقر[1] وهم ينتظرونه ولا يصدقون بموته ، ويقولون : ان سبب امامته ان النبي ﷺ اخبر جابر بن عبد الله الانصاري ان سيطول عمره ، ويدرك أيامه. وقال له اقرأ مني عليه السلام ، وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة ؛ وكان قد كف بصره في آخر عمره فجاءت جارية ووضعت في حجره صبياً ، وقالت هذا علي ابن الحسين بن علي فادى جابر الأمانة ، وبلغه سلام جده ، وتوفي جابر في ليلته : فرد هؤلاء ان رسول الله ﷺ ، أخبر عُمَرَ وعلياً بأنهما يدركان رجلاً اسمه اويس القرني[2] وامرهما ان يبلغاه سلام رسول الله ﷺ ، وذلك لا يوجب ان يكون هو المهدي المنتظر فانه استشهد في حرب صفين . كذلك التسليم .على محمد بن علي لا يوجب كونه مهدياً منتظراً .

(٤) الناووسية : [3]

وهم اتباع رجل من اهل البصرة كان ينسب الى ناووس كان هناك وهم يسوقون الإمامة في اولاد علي الى جعفر بن محمد الصادق[4] ويزعمون انه لم يمت وانه المهدي المنتظر ، وجماعة من السبأية يوافقونهم في هذا القول ويزعمون انه كان يعلم كلما يحتاج الى عمله من دين ، او دنيا، عقل، وشرعي ، ويقلدونه في جملة ابواب الدين ، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى ، وعن نفي خلق القرآن ، او عن اثبات الصفات ، او غير ذلك لكان جوابه ان يقول . انا نقول فيه بقول جعفر ، ولا ندري ما قول جعفر فيه ، غير انهم يتفقون في تكفير ابي بكر وعمر ، ولو طردوا اصلهم في تقليده لاجابوا به ايضاً عليه .

---

(١) هو ابو جعفر ، محمد الباقر بن علي بن الحسين السبط ، ولد في سنة / ٥٦ هـ وكان من فقهاء المدينة ، وتوفي في سنة / ١١٤ هـ. انظر «العبر» ١ : ١٤٢ ، و«مشاهير علماء الامصار» رقم / ٤٢٠ .

(٢) هو اويس بن عامر، القرني - في اليمن ، من مراد ، سكن الكوفة ، وكان عابداً زاهداً فاضلاً ، واختلاف في وفاته . انظر «مشاهير علماء الامصار» رقم / ٧٤٣ .

(٣) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٦ ، و«مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٧ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٦١ .

(٤) هو ابو عبد الله جعفر الصادق ، بن ابي جعفر محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين بن علي بن ابي طالب . كان سيد بني هاشم في زمانه ، وقد توفي في آخر سنة / ١٤٨ هـ عن ثمان وستين سنة ، انظر «العبر» ١ : ٢٨ .

(٥) الشميطية :

فالشميطية منهم هم اتباع يحيى بن شميط[1] وهؤلاء يقولون ان الإمامة صارت من جعفر الى ابنه محمد بن جعفر وانها تدور في اولاده وان المنتظر واحد من اولاده . .

(٦) العمارية :

العمارية منهم وهؤلاء يقولون ان الامامة صارت من جعفر الى اكبر اولاده عبد الله الذي كان يدعى أفطح ، وهؤلاء يدعون الافطحية بسببه[2].

(٧) الاسماعيلية :

وهم يزعمون ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل ، وكذبهم في هذه المقالة جميع اهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر ، وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية[3].

(٨) الموسوية :[4]

الثامنة الموسوية منهم وهؤلاء يزعمون ان الإمامة صارت بعد جعفر الى ابنه موسى بن جعفر ، وانه حي لم يمت ، وانه المنتظر ويقولون انه دخل دار الرشيد[5] ولم

---

(١) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٧ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٦١ ، وفي «مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٩ «السميطية» . يحيى بن ابي سميط ، بالسين المهملة . وكان يحيى بن سميط ممن انحاز الى عسكر المختار وقتل معه .

(٢) انظر : «الفرق بين الفرق» ص / ٦٢ ، و «مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٩ . والفطح جمع افطح . ويقال : «رجل افطح الرجل» .

(٣) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٧ ، والفرق بين الفرق ص/ ٦٢ .

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» ص/ ٦٣ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٦٨ . وذكرهم الاشعري في «مقالات الاسلاميين» ١ : ١٠٠ وسماهم «الموسائية» .

(٥) هو الخليفة العباسي : هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله المنصور ، ولد بالري سنة / ١٤٨ هـ ، وتوفي بطوس في ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من سنة / ١٩٣ ومدة خلافته / ٢٣ سنة . انظر «العبر» ١ : ٣١٢ ، و «المعارف» ص / ٣٨١ .

يخرج ، ونحن نشك في موته . وهذا القول منهم يوجب عليهم ان يشكوا في امامته كما شكوا في حياته ، على ان هذا القول هوس منهم ، لأن مشهد موسى بن جعفر مشهور ببغداد في الجانب الغربي يزار ويتبرك به ، ولهؤلاء الموسوية لقب آخر وهو انهم يدعون الممطورة لان زرارة بن اعين قال لهم يوماً : «انتم اهون في عيني من الكلاب الممطورة » اراد الكلاب التي ابتلت بالمطر، والناس يطردونهم ويتحرزون منهم [1] .

(٩) المباركية : [2]

وهم أيضاً يقولون بامامة محمد بن اسماعيل كما نذكره بعد .

(١٠) القطعية [3] :

القطعية منهم سموا بذلك لأنهم ساقوا الامامة بعد جعفر الى ابنه موسى ، ثم قطعوا بموت موسى وقالوا ان المهدي المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم وهؤلاء يدعون الأثنى عشرية لانهم ادعوا ان الإمام المنتظر هو الثاني عشر من اولاد علي بن ابي طالب ، ثم اختلف هؤلاء في سنة وفاة ابيه . فمنهم من قال : انه كان ابن اربع سنين ، ومنهم من قال : ابن ثمان سنين ، ثم قال قوم منهم : انه كان اماما وادي الطاعة في ذلك الوقت ، وكان عالماً بجميع معالم الدين ، وقال قوم : انه كان إماماً على معنى انه سيصير إماماً اذا بلغ ، وانه غاب عن اعين الناس الى ان يؤذن له في الخروج .

(١١) الهشامية : [4]

الهشامية منهم وهم فريقان اصحاب ابن الحكم الرافضي واصحاب هشام بن سالم الجواليقي والفريقان جميعا يدينون بالتشبيه والتجسيم ، واثبات الحد والنهاية .

---

(١) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٩ ، و«مقالات الاسلاميين» ١ : ١٠٠ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٦٤ .
ويحرز منه : أي توقاه . كذا في مختار الصحاح .

(٢) انظر «مقالات الاسلاميين» ١ : ٩٨ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٦٤ .

(٣) انظر «الملل والنحل» ١ : ١٦٩ ، والفرق بين الفرق» ص / ٦٤ ، و«مقالات الاسلاميين ١ : ٨٨ - ١٠١ .

(٤) انظر «الفرق بين الفرق» ص / ٦٥ ، و«مقالات الاسلاميين» ١ : ١٠٢ ، ١٠٤ وعدة مواضع .

حتى قال هشام بن الحكم : انه نور يتلألأ كقطعة من السبيكة الصافية ، او كلؤلؤة بيضاء . والجواليقي يقول بالصورة واثبات اللحم ، والدم ، واليد ، والرجل ، والانف ، والاذن ، والعين ، واثبات القلب . والعقل بأول وهلة يعلم ان من كانت هذه مقالته لم يكن له في الاسلام حظ .

١٢ ـ الثانية عشرة ـ أحد هذين الفريقين من الهشامية .

١٣ ـ الزرارية :

الزرارية منهم وهم اتباع زرارة بن أعين[١] وقد كان على مذهب القطعية الذين كانوا يقولون بامامة عبد الله بن جعفر ، ثم انتقل عنه فكان يقول بمذهب الموسوية ، وكان يقول : ان الله تعالى لم يكن عالماً ، ولا قادراً ، ثم خلق لنفسه علما ، وحياة ، وقدرة وارادة ، وسمعا ، وبصراً وجرى على قياس قولهم قوم من بصرية القدرية فقالوا : كلام الله مخلوق له ، وارادته مخلوقة له ، وزاد عليه الكرامية فقالوا ان ارادته وادراكاته ، حادثة .

١٤ ـ اليونسية :

اليونسية وهم اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[٢] وكان في الامامة على مذهب القطعية ، وكان مفرطاً في التشبيه حتى كان يقول : ان حملة العرش يحملون إله العرش وهو اقوى منهم ، كما ان الكركي تحمله ارجله وهو اقوى من أرجله ، والعاقل لا يستجرىء ان يقول مثل هذا الكلام .

١٥ ـ الشيطانية :

الشيطانية منهم وهم اتباع محمد بن علي بن النعمان الرافضي الذي كان يلقب

---

(١) انظر «الفرق بين الفرق» ص / ٧٠ ،و «مقالات الاسلاميين» : ١٠٠ ،و «الفهرست» لابن النديم ص / ٣٢٢ .
(٢) انظر «مقالات الاسلاميين» ١ : ١٠٦ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٧٠ .

بشيطان الطاق[1] ، وكان في الإمامة على مذهب القطعية ، وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم الشر قبل ان يكون ، كما كان يقوله هشام بن الحكم وقد كان يوافق هشاماً الجواليقي في كثير من بدعه .

واعلم أن الزيدية والإمامية منهم مَن يكفر بعضهم بعضاً ، والعداوة بينهم قائمة دائمة والكيسانية يعدون في الامامية ، واعلم ان جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون ان القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون انه قد كان فيه النص على إمامة علي فاسقطه الصحابة عنه . ويزعمون انه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شيء من الاخبار المروية عن المصطفى ﷺ ، ويزعمون انه لا اعتماد على الشريعة التي في ايدي المسلمين وينتظرون إماماً يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين ، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ، ولكن مقصودهم اسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم ، حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة . وتغيير القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر . اذ لا بقاء فيه على شيء من الدين .

وأما الهشامية: فانهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين ، وهم الاصل في التشبيه وإنما اخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا اليه الولد ، وقالوا : «عزير ابن الله » ، واثبتوا له المكان ، والحد ، والنهاية ، والمجيء ، والذهاب . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : ولهذا المعنى شبه النبي ﷺ الروافض باليهود فقال : «الروافض يهود هذه الأمة»[2]. وقال الشعبي ان الروافض شر من اليهود والنصارى ، فان اليهود سئلوا عن اخبار ملتهم فقالوا : اصحاب موسى ،

---

(1) لقب به أبو جعفر محمد بن النعمان ، الاحول ، واضافته الى سوق في طاق المحامل بالكوفة ، كان يجلس فيها للصرف . انظر «الفهرست» لابن النديم ص / ٢٦٤ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٧١

(٢) لم نره في كتب الحديث المعول عليها ، وهذا لم يثبت .

والنصارى سئلوا عن اخبار ملتهم فقالوا : الحواريون الذين كانوا مع عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة عن شر هذه الأمة فقالوا : أصحاب محمد ﷺ. فلا جرم يكون سيف الحق مسلولا عليهم الى يوم القيامة ، ولا يرى لهم قدم ثابت ، ولا كلمة مجتمعة ، ولا راية منصوبة ، ولا ينصرهم احد الاصار مخذولاً لشؤم بدعتهم ، والعجب انهم يتكلمون في الصحابة ، ويسيئون القول فيهم ، ولا يتأملون كتاب الله حيث اثنى عليهم بقوله سبحانه : «محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل»[1] الى آخر السورة. فأثنى عليهم كما ترى فأخبر ان صفتهم مذكورة في التوراة والانجيل كما اخبر به : «كزرع اخرج شطئه وفئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار»[2] حتى قال ابو ادريس المفسر ان ظاهر هذه الآية يوجب ان الروافض كفار، لان قلوبهم غيظاً من الصحابة وعداوة لهم، الا تراه يقول «ليغيظ بهم الكفار». فبين ان من كان في قلبه غيظ منهم من الكفار.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : «سيكون في آخر الزمان قوم لهم نَبَز[3] يقال لهم الروافض يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون» وروى عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : «يا علي تكون انت في الجنة ، وشيعتك يكونون في الجنة ، وسيكون بعدي قوم يدعون ولايتك ، يدعون الرافضة فان وجدتهم فأقتلهم فأنهم مشركون» : فقال علي وما علامتهم يا رسول الله ؟ فقال : لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ويشتمون ابا بكر وعمر»[4] .

وأعلم ان هذه المقالة التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على

---

(١) الفتح : ٢٩ .
(٢) الفتح : ٢٩ .
(٣) النبز بفتحتين اللقب والجمع الانباز . انظر «مختار الصحاح» ص/ ٦٤٣ .
(٤) وهذا لم يثبت .

فسادها ، فان العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها ، فلا يمكن ان تحمل منهم هذه المقالات الا على أنهم قصدوا بها اظهار ما كانوا يضمرونه من الالحاد والشر بموالاة قوم من اشراف أهل البيت ، والا فليس لهم دليل يعتمدون عليه ، ويجعلون خرافات مقالاتهم اليه ، حتى انهم لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ويصنف لكل فريق . قالت له الروافض صنف لنا كتاباً فقال لهم : لست ادري لكم شبهة حتى أرتبها واتصرف فيها . فقالوا له : إذا دللتنا على شيء نتمسك به . فقال لا أرى لكم وجهاً الا انكم إذا اردتم ان تقولوا شيئاً مما تزعمونه تقولون انه قول جعفر بن محمد الصادق، لا اعرف لكم سبباً تستندون اليه غير هذا الكلام . فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها ، وكلما أرادوا ان يختلقوا بدعة او يخترعوا كذبة نسبوها الى ذلك السيد الصادق ، وهو عنها منزه وعن مقالتهم في الدارين بريء . حتى حكي عنه انه قال : كادت الروافض ان تنصر علياً فنسبته الى العجز ، وكادت المعتزلة أن توحد ربها فشركته ، وارادت ان تعدل ربها فجورته او لفظ هذا معناه .

الباب الرابع

في تفصيل مقالات الخوارج وبيان فضائحهم

اعلم ان الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم في هذا الكتاب وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة .

أحدهما : إنهم يزعمون ان علياً ، وعثمان ، واصحاب الجمل ، والحكمين ، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم .

والثاني : انهم يزعمون ان كل من اذنب ذنباً من امة محمد ﷺ فهو كافر ، ويكون في النار خالداً مخلداً . الا النجدات منهم فانهم قالوا : ان الفاسق كافر على معنى انه كافر نعمة ربه . فيكون اطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر . ومما يجمع جميعهم ايضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر ، والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم اصحاب رسول الله ﷺ .

المحكمة الأولى :

(١) الفرقة الأولى :

منهم المحكمة الاولى واول من قال منهم لا حكم الا الله عروة بن حُدَيْر[1]

---

(١) هو عروة بن عمرة بن حدير ، وقد قاتل عروة في حرب النهروان ثم نجا فيها ، فلم يزل حياً مدة من خلافة معاوية ثم اتى به الى زياد بن ابيه ، فسأله اسئلة ، ثم امر به فضربت عنقه ، « انظر «المعارف» ص / ٤١٠ .

أخو مرداس الخارجي[1] ، وقيل ان اول من قاله يزيد بن عاصم المحاربي[2] وقيل انه رجل من بني يشكر كان مع علي رضي الله عنه بصفين ولما اتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل على اصحاب علي وقتل منهم واحداً ، ثم حمل على اصحاب معاوية وقتل منهم واحدا ، ثم نادى بين العسكرين انه بريء من علي ومعاوية وانه خرج من حكمهم فقتله رجل من همدان . ثم ان جماعة ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام ، واستقرت في قلوبهم تلك الشبهة ، ورجعوا مع علي الى الكوفة ، ثم فارقوه ورجعوا الى حروراء ، وكانوا اثنى عشر الف رجل من المقاتلة ومن هنا سميت الخوارج حرورية ، وكان زعيمهم يومئذ عبد الله ابن الكواء [3] وشبث بن ربعي[4] وخرج اليهم علي وناظرهم فظهر بالحجة عليهم ، فاستأمن إليه ابن الكواء في الف مقاتل ، وأستمر الباقون على ضلالهم ، وخرجوا الى النهروان وامروا عليهم رجلين منهم . احدهما : عبد الله بن وهب الراسي[5] والثاني : حرقوص بن زهير البجلي ، وكان يلقب بذي الثدية[6] ورأوا في طريقهم حال خروجهم الى النهر وان عبد الله بن خباب بن الارت[7] فقالوا له حدث لنا حديثاً سمعته من ابيك عن رسول الله ﷺ . فقال سمعت ابي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من

---

(١) مرادس : هو ابن حدير ، وانظر ما قاله فيه في «الكامل» للمبرد ٢ : ١٠٨ ، و «المعارف» ص / ٤١٠ .

(٢) ذكر التميمي في «الفرق بين الفرق» ص / ٧٤ هذه الاقوال الثلاثة كما ذكرها المؤلف .

(٣) هو عبد الله بن الكواء ، اليشكري : اول امير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه ، ثم كان هو احد الذين اختاروا عبد الله بن قيس (أبا موسى الاشعري) في قصة التحكيم . انظر «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم ص / ٢٩٥ و ٥٠٢ .

(٤) بكسر الراء وسكون الباء ـ التميمي ، الرياحي : له ذكر في تجميع الخوارج وتوحيد كلمتهم انظر : «الكامل» للمبرد ٢ : ١١٦ ، و «المعارف» ص / ٤٠٥ .

(٥) هو اول من امره الخوارج عليهم اول ما اعتزلوا ، بايعوه لعشر بقين في شوال سنة / ٣٧ هـ ، وجعلوا امير قتالهم شبث بن ربعي المتقدم ذكره . انظر «الكامل» ٢ : ١١٩ ، و «مقالات الاشعريين» ١ : ١٩٤ .

(٦) بضم الثاء المثلثة ـ تصغير ثدي ، وبعضهم يرويها «ذو اليدية» بضم الياء المثناة التحتية ـ على انه تصغير يده . وقد حكى ابن منظور في اللسان (ث دي) القولين . وانظر «الكامل» للمبرد ٢ : ١٣٩ .

(٧) قتله الخوارج ، وبقروا بطن ام ولده . انظر «المعارف» ص / ٣١٧ ، و «الاصابة» رقم / ٤٦٣٨ ، و «الاستيعاب» رقم / ١٥١٩ .

السائر ، والماشي فيها خير من العادي ، ومن أمكنه ان يكون مقتولاً فيها يقصدنَّ ان يكون قاتلاً » ، او لفظ هذا معناه[1] فلما سمعوا منه هذا الخبر قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه مسمع ، وجرى دمه على وجه الماء قائماً كالشراك حتى انهال من احدى شطيء النهر الى الآخر ، ثم قصدوا بيته وقتلوا أولاده وامهات اولاده بالنهروان ، وكثر عددهم وقويت شوكتهم فقصدهم علي رضي الله عنه في اربعة الاف رجل وكان مقدمهم عدي بن حاتم الطائي[2] وينشد لهم أشعاراً يترغمون بها في مذمتهم ومدح علي رضي الله عنه ، فلما ازدلفوا اليهم بعث علي رضي الله عنه اليهم رسولاً ان ادفعوا الي قاتل عبد الله بن خباب فقالوا : كلنا قتله ، ولو ظفرنا بك لقتلناك ايضاً. فوقف عليهم علي رضي الله عنه بنفسه، وقال لهم يا قوم: ماذا نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله . قالوا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، وهزمنا اصحاب الجمل ، فأبحت لنا اموالهم، ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم ، وكيف تحل مال قوم وتحرم نساءهم وذراريهم ، وقد كان ينبغي ان تحرم الأمرين او تبيحهما لنا ، فاعتذر علي رضي الله عنه بأن قال : اما اموالهم فقد ابحتها لكم بدلاً عما اغاروا عليه من مال بيت المال الذي كان بالبصرة قبل ان وصلت اليهم، ولم يكن لنسائهم وذراريهم ذنب فانهم لم يقاتلونا كان حكمهم حكم المسلمين ، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم ،وبعد لو أبحت لكم نساءهم من كان منكم يأخذ عائشة في قسمة نفسه ؟ فلما سمعوا هذا الكلام خجلوا وقالوا : قد نقمنا منك سبباً آخر وهو انك يوم التحكيم كتبت اسمك في كتاب الصلح ان امير المؤمنين علي بن طالب ومعاوية حكما فلانا ، فنازعك معاوية وقال لو كنا نعلم انك امير المؤمنين ما خالفناك، فمحوت اسمك . فان كانت امامتك حقاً فلم رضيت به . فاعتذر امير المؤمنين ، وقال : انما فعلت كما فعل النبي عليه السلام

---

(١) اخرجه البخاري بنحوه في صحيحه ٤ : ٢٢٥ في كتاب الفتن : باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، واحمد في مسنده ١ : ١٦٩ ، ١٨٥ بالفاظ.

(٢) هو ابو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله ، الطائي . ابوه حاتم الطائي مضرب المثل في الجود والكرم . اسلم سنة سبع ، شهد مع علي يوم الجمل ففقئت عينه ، وقتل ابنه محمد يومئذ . وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل : توفي في سنة / ٦٦ هـ وقيل : في سنة / ٦٧ هـ ، وقيل : في سنة ٦٨ هـ . انظر «مشاهير علماء الامصار» رقم / ٢٧١ ، و «العبر» ١ : ٧٤ ، و «الاصابة» رقم / ٥٤٦٧ ، و «الاستيعاب» رقم / ١٧٨١ .

حين صالح سهيل بن عمرو[1] وكتب في كتاب الصلح . هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال له سهيل : لو علمنا انك رسول الله ما خالفناك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ، فأمر النبي ﷺ حتى كتب : هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، فقال لي رسول الله ﷺ : «انك ستبتلى بمثله يوما » فالذي فعلته باذنه واقتداء به . ثم قالت الخوارج له : لم قلت للحكمين ان كنت اهلاً للخلافة فقرراني ، ولم شككت في خلافتك حتى تكلمت بهذا الكلام ، ولو كنت شاكا لما ادعيت الخلافة . فقال علي : انما اردت ان انصف الخصم ، واسكن النائرة ، ولو قلت للحكمين احكما لي لم يرض بذلك معاوية ، وهكذا فعل النبي ﷺ مع نصارى نجران حين دعاهم الى المباهلة فقال : «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[2]. وهذا انما قاله على سبيل الانصاف لا على سبيل التشكك ، وهو كقوله تعالى: «قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى او في ضلال مبين »[3] ولهذا المعنى حكم النبي ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة ، والحق في الحقيقة كان لرسول الله ﷺ . ثم ان حكم رسول الله ﷺ بالعدل ، وحكمي الذي حكمته خدع فكان من الامر ما كان فلما سمعت الخوارج هذه الحجج القاطعة استأمن ثمانية آلاف منهم ، وثبت على قتاله اربعة الاف منهم . فقال الى الذين استأمنوا اليه منهم امتازوا اليوم مني جانباً ، وقاتل بمن كان معه وقال لأصحابه لما اراد أن يبتدىء القتال : لا يقتل منا عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، واشتغلوا بالقتال فلم يقتل يومئذ من اصحاب علي أكثر من تسعة انفس ، وخرج حرقوص بن زهير في وجه علي رضي الله عنه وقال : والله لا نريد بقتالك الا وجه الله تعالى ، والنجاة في الآخرة فتلا عليه : «قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ،

---

(١) هو اخو بني عامر بن لؤي : هو رسول قريش وممثلها في صلح الحديبية الذي عقده رسول الله على ان يرجع عامه ، ثم يعود من قابل ، ثم اسلم : واعطاه الرسول من غنائم حنين مائة من الابل . انظر «العبر» ١ : ٢٢ .

(٢) آل عمران : ٦١

(٣) سبأ : ٢٤ .

الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا»[1] ثم حمل عليهم وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة ، والتحم القتال حتى لم يبق من جملة الخوارج الا تسعة فوقع اثنان منهم الى سجستان ، واثنان الى اليمن ، واثنان الى عمان ، واثنان الى الجزيرة ، وواحد الى ناحية الانبار ، وخوارج هذه النواحي من اتباع هذه التسعة وامر علي رضي الله عنه اصحابه بطلب ذي الثدية فوجدوه قد هرب واستخفى في موضع فظفروا به ، وتفحصوا عنه فوجدوا له ثديا كثدي النساء . فقال علي رضي الله عنه : صدق الله . وصدق رسوله ، وامر بقتله فقتل . وقد كان مر على النبي ﷺ ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر فقال له : اعدل يا محمد . فقال له عليه الصلاة والسلام : «خبت وخسرت اذاً من يعدل ثم قال : «انه يخرج من ضئضيء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2].»

هذه قصة المحكمة الأولى وهم يكفرون بتكفيرهم عليا ، وعثمان ، وتكفيرهم فساق أهل الملة ، ثم خرج بعدهم جماعة من الخوارج بأرض العراق فكان علي رضي الله عنه يبعث اليهم السرايا ويقاتلهم الى أن استأثر الله بروحه ، ونقله الى جنته ، وبقيت الخوارج على مذهب المحكمة الأولى الى أن ظهرت فتنة الأزارقة منهم ، فعند ذلك اختلفوا كما نذكره ان شاء الله تعالى .

٢ ـ الفرقة الثانية :

الأزارقة :

منهم الأزارقة وهم اتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي[3] . ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً ، وأشد منهم شوكة ، ولهم

---

(١) الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ ٤ : ٢٨٣ : كتاب التوحيد : باب وكان عرشه على الماء . وأخرجه غيره بألفاظ متقاربة كمسلم في الزكاة ، وأبو داود في السنة ، النسائي في الزكاة .

(٣) هو أبو راشد ، نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار ، أحد بني الدول ابن حنيفة ، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير ، وفي سنة/ ٦٥ هـ اشتدت شوكته وكثرت جموعه ، فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عيسى بن كريز على رأس جيش كثيف ، فاشتد بينهم القتال حتى قتل مسلم أمير الجيش وقتل نافع أمير الخوارج . أنظر « الكامل » لابن الأثير ٤ : ٨١ ، و « المعارف » ص/ ٦٢٢ .

مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى ، وسائر الخوارج : منها أنهم يقولون ، ان من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك ، والمحكمة كانوا يقولون ان مخالفهم كافر ، ولا يسمونه مشركا . ومما اختصوا به أيضا أنهم يسمون من لم يهاجر الى ديارهم من موافقيهم مشركا ، وان كان موافقاً لهم في مذهبهم . وكان من عاداتهم فيمن هاجر اليهم أن يمتحنوه بان يسلموا اليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمروه بقتله . ويزعمون أيضاً ان أطفال مخالفيهم مشركون ، ويزعمون أنهم يخلدون في النار .

وأول من أظهر هذه البدع الزائدة على أولئك رجل منهم يدعى عبد ربه الكبير[1] وقيل عبد ربه الصغير ؛ وقيل عبد الله بن الوضين[2] وكان نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات . ثم رجع الى مذهبه وقد اطبقت الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر ، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح ، وأن رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال : «ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها»[3] وزعموا أيضا أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن ، خلافاً لاجماع المسلمين وقالوا : ان من قذف رجلا محصنا فلا حد عليه ، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد ، وقالوا : ان سارق القليل يجب عليه القطع ، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج «فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين»[4] .

وهذه الأزارقة غلبوا على بلاد الأهواز ، وأرض فارس ، وكرمان ، في أيام عبد الله بن الزبير حين بعث عاملا له على البصرة فأخرج سرية الى قتالهم وهم ألف مقاتل فقتلهم الخوارج ، ثم بعث إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلة فظفر الخوارج أيضا بهم ، فبعث عبد الله بن الزبير من مكة كتاباً وجعل قتالهم الى المهلب بن أبي صفرة[5] حتى

---

(١) كان عبد ربه الصغير معلم كتاب ، وكان عبد ربه الكبير بائع رمان ، وكلاهما من موالي قيس بن ثعلبة . وانظر التفصيل عنهم في « مقالات » ١ : ١٦٠ و« الكامل » للمبرد : ١ : ٢٣١ - ٢٣٧ - ٢٤٣ .

(٢) من رؤوس الأزارقة مات في حدود سنة/ ٦٠ هـ .

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) البقرة : ٩٠ .

(٥) هو أبو سعيد ، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق ، الأزدي ، من أزد العتيك . وكان المهلب هو الذي حمى البصرة =

جمع عسكراً عظيماً وهزم نافع بن الأزرق وجعدة ، وقتل نافع في تلك الهزيمة ، وبايعت الأزارقة بعده رجلا آخر منهم فهزمه المهلب أيضاً ، وقتلوه في الهزيمة فبايعوا قطري بن الفجاءة [1] التميمي وسموه أمير الموت ، وكان المهلب يقاتلهم حتى هزمهم وانحازوا الى سابور من بلاد فارس ، وجعلوا ذلك دار هجرتهم وكان المهلب وأولاده يقاتلونهم تسع عشرة سنة بعضها في زمان عبد الله بن الزبير ، وبعضها في زمان عبد الملك بن مروان .

ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق أقر المهلب على قتالهم وكان يقاتلهم الى أن ظهر بينهم الخلاف ، وخالف عبد ربه الكبير قطرياً وخرج الى جيرفت كرمان في سبعة آلاف رجل ، وخالفه أيضاً عبد ربه الصغير وانحاز الى ناحية من نواحي كرمان ، وكان المهلب يقاتل قطريا بناحية سابور الى أن هزمه فخرج الى كرمان ، وكان المهلب يسير على أثره ويقاتله حتى هزمه الى الري ، ثم كان يقاتل عبد ربه الصغير حتى كفى شغله وقتله ؛ وبعث الحجاج عسكراً عظيما الى الري فقاتلوا قطرياً فانهزم منهم الى طبرستان وتبعوه حتى قتلوه وكفى الله تعالى شغله ، وكان قد هرب في جملة من قومه الى قومس عبيدة بن الهلال اليشكري [2] فقصده جند الحجاج حتى قتلوه ، وطهر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة ولم يبق منهم واحد .

= من الخوارج حتى سماها الناس بصرة المهلب ، ولاه عبد الله بن الزبير خراسان في سنة/ ٦٥ هـ فحارب الأزارقة وأفنى منهم عدداً كثيراً . مات سنة/ ٨٢ هـ . انظر « المعارف »/ ٣٩٩ ، و « العبر » ١ : ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٨ .

(١) هو أبو نعامة : قطري بن الفجاءة ، أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، خرج في أيام عبد الله بن الزبير ، وبقي عشرين سنة يسلم عليه بالخلافة . يقال عثرت به فرسه فمات وأتى الحجاج برأسه وذلك في سنة/ ٧٩ هـ انظر « المعارف » ص/ ٤١١ ، و « العبر » ١ : ٩٠ .

(٢) هو أحد بني شكر بن بكر بن وائل ، وهو الذي يقول عن نفسه :

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالي .

انظر « الكامل » لابن الأثير ٤ : ٨١ ، و « الكامل » للمبرد ٢ : ٢٣٢ .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

النجدات :

منهم النجدات[1] وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي[2] وكان من حاله أنه لما سمى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركا ، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم ، خرج عليه قوم من أتباعه وصاروا الى اليمامة وبايعوا نجدة وقالوا : ان من يقول ما قاله نافع فهو كافر ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق ، وخرجوا على نجدة فصار فريق منهم مع عطية بن الأسود الحنفي[3] الى سجستان . وخوارج سجستان أتباع هؤلاء ولذلك كانوا يدعون العطوية ، وصار فريق منهم تبعا لرجل كان يقال له أبو فديك[4] وكانوا يقاتلون نجدة حتى قتلوه ، وإنما خرج هؤلاء عليهم لأنهم أخذوا عليه أشياء منها أنه بعث جنداً للغزو في البر وجنداً في البحر ، ثم فضل في العطاء من بعثه في البحر فانكروا عليه وقالوا : لم يكن من حقه أن يفضل هؤلاء .

والثاني أنهم قالوا : انك بعثت جنداً الى المدينة حتى أغاروا عليها وسبوا جارية من أولاد عثمان بن عفان ، وكاتبه في ذلك المعنى عبد الملك بن مروان فاشتراها عمن كانت في يده وبعثها الى عبد الملك بن مروان ، فأخذوا عليه هذا . وقالوا : انه رد جارية غنمناها الى عدونا وقالوا له تب فتاب .

وقال قوم : انه كان معذوراً فيما فعل وقالوا له كان لك أن تجتهد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب عن توبتك فتاب . واختلفوا عليه كما ذكرنا الى أن قتله أبو فديك

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٢ وما بعدها ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٨٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٢٢ وما بعدها ، و « خطط المقريزي » ٢ : ٣٥٤ .

(٢) استولى على اليمامة والبحرين في سنة/ ٦٦ هـ وكان منه ما ذكر المؤلف بعضه وفي سنة/ ٦٩ هـ قتله اصحابه . أنظر « العبر » ١ : ٧٤ ـ ٧٧ .

(٣) قال المقريزي في « الخطط » ١ : ٣٥٤ : « عطية بن الأسود : بعثه نجدة الى سجستان ، فأظهر مذهبه بمرو ، فعرفت أصحابه بالعطوية » . وذكر مقالتهم . وأنظر أيضاً « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٤ .

(٤) ومن الخوارج الفديكية أصحاب أبي فديك ، ولا نعلم أنه تفردوا بقول أكثر من انكارهم على نافع ونجدة » اهـ أنظر « المقالات » ١ : ١٦٩ ، و « الكامل » للمبرد ٢ : ٢٥١ .

وبعث عبد الملك بن مروان جنداً الى أبي فديك فقتل وكفى الله المسلمين شرهم . وبدع النجدات كثيرة ومن أطلع على ما ذكرناه من حالهم لم يخف عليه أمرهم .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

الصفرية :

وهم أتباع زياد بن الأصفر[١] وقولهم كقول الأزارقة في فساق هذه الأمة ، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء مخالفيهم ولا أطفالهم .

وقال فريق منهم كل ذنب له حد معلوم في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركاً ولا كافرا ، بل يدعى باسمه المشتق من جريمته . يقال سارق ، وقاتل ، وقاذف ، وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة مثل الاعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر ، ولا يسمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعاً مؤمناً .

وقال فريق منهم ان المذنب لا يكون كافرا الى أن يحده الوالي ويحكم بكفره ، وهؤلاء الفرق الثلاثة من الصفرية يقولون بامامة رجل كان اسمه أبو بلال مرداس الخارجي[٢] ويقولون بعده بامامة عمران بن حطان السدوسي ، وكان خروج أبي بلال في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عامله عبيد الله بن زياد فبعث اليه زرعة بن مسلم العامري[٣] في ألفي مقاتل ، وكان زرعة يميل الى رأي الخوارج فلما اصطف العسكران قال زرعة : يا أبا بلال اني أعلم أنك على الحق ، ولكننا لو لم نقاتلك يحبس عبيد الله بن زياد عطاءنا عنا . فقال أبو بلال : ليتني فعلت كما أمرني به أخي عروة فانه أمرني أن أستعرض الناس بالسيف ، فأقتل كل من استقبلني ، ثم

---

(١) أنظر في مقالة هذه الفرقة : « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٠ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٣٧ .

(٢) هو أبو بلال : مرداس بن حدير ، أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويقال مرداس بن أدية ، وهو أخو عروة بن حدير الذي سبقت ترجمته . وحديثه طويل في « الكامل » «للمبرد» . ٢ : ١٥٤ وما بعدها .

(٣) سماه المبرد في « الكامل » ٢ : ١٥٧ « أسلم بن زرعة » .

هزمه أبو بلال فبعث عبيد الله بن زياد الى قتال ابي بلال عباداً التميمي[1] حتى حمل رأسه الى عبيد الله بن زياد فدعا عبيد الله عروة[2] أخاه وقال له : يا عدو الله أمرت أخاك أن يستعرض المسلمين قد انتقم الله تعالى منه ، وأمر بصلب عروة . ثم ان الصفرية بعد أبي بلال بايعوا عمران بن حِطَّان[3] وكان رجلا شاعراً نسابة ، وكان يرثي مرداسا ومن جملة ما رثاه به قوله :

أنكَرْتُ بَعْدَكَ ما قد كنْتُ أعرفُهُ　　ما النـاسُ بعدكَ يا مِرْداسُ بِالنَّاس

وكان من شقاوته أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم بقوله[4] :

يا ضَرْبَةً من مُنيبٍ ما أراد بها　　ألا ليبلُغَ من ذي العرشِ رِضْوَانَا
إنـي لأذكرهُ يومـاً فأحْسَبُه　　أوفَى البـريَّةِ عنـد اللهَ ميزَانَا

ومن كان اعتقاده على هذه الجملة لم تعترض أهل الديانة في كفره شبهة .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

العجاردة[5] :

منهم العجاردة وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد[6] وكان من أتباع عطية بن أسود الحنفي ، ومما اتفق عليه العجاردة قولهم : ان كل طفل بلغ فانه يدعى الى أن

---

(١) قال المبرد في « الكامل » ٢ : ١٥٨ : « عباد بن أخضر ، وليس هو بابن أخضر ، هو عباد بن علقمة المازني ، وكان أخضر زوج أمه ، فغلب عليه » اهـ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملتين ـ السدوسي ، البصري ، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، رأس من رؤوس الخوارج مات في سنة ٨٤ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٩٨ .

(٤) وقد رد عليه عبد القاهر التميمي بقوله :

يا ضَرْبَةً من كَفُورٍ ما استفادَ بها　　الا الجَزاءَ بما يُصْليهِ نيرَانا
إنّي لألعنه دنيا والعن مَنْ　　يَرْجُو له ابداً عفواً وغفرانا

(٥) أنظر الملل والنحل « ١ : ١٢٨ ، و« الفرق بين الفرق » ص/٩٣ ، و« المقالات » ١ : ١٦٤ .

(٦) وعجرد : اسم رجل من الحرورية والعجردية من الحرورية : ضرب ينسبون اليه .. انظر لسان العرب .

يقر بدين الاسلام ، وقبل أن يبلغ يتبرؤون عنه ولا يحكمون له بحكم الاسلام في حالة طفوليته . وخاصة مذهبهم تأن الأزارقة كانوا يبيحون أموالهم مخالفيهم حتى يقتل صاحب المال أولا ، وهؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب افترقوا :

١ ـ فمنهم الخازمية[١] : وهم الأكثرون منهم ، وافقوا أهل السنة في القدر ، والاستطاعة ، والمشيئة . فيقولون لا خالق الا الله ، ولا يكون إلا ما يريد ، والاستطاعة مع الفعل ، ويقولون : بتكفير القدرية بهذه المسائل التي ذكرناها ، ولكن يكفرون عثمان ، وعلياً ، والحكمين .

٢ ـ ومنهم الشعيبية[٢] : وكان سبب ظهورهم أن زعيمهم نازع رجلا من الخوارج يقال له ميمون وكان له على شعيب مال فطالب به شعيباً . فقال شعيب أؤديه ان شاء الله تعالى . فقال ميمون الآن شاء الله ذلك ألا تراه قد أمر به : فقال شعيب : لو كان الله شاء لم أقدر على مخالفته . فظهر بسبب ذلك الخلاف بين العجاردة في مسألة المشيئة . فكتبوا هذه القصة الى عبد الكريم بن عجرد وهو محبوس في حبس السلطان ، فكتب في جوابه نحن نقول ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا نلحق به سوءاً ، وقال ميمون : من قال أنه لم يرد أن يؤدي الى حقي فقد الحق به سوءاً ، وقال شعيب : بل وافقني في الجواب ألا تراه يقول وما لم يشأ لم يكن ؛ ورجع الخازمية الى قول شعيب والحمزية منهم الى قول ميمون القدري . وهو الذي يجوز نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وهذا خلاف اجماع المسلمين وهذا منه كفر زاده على قوله بالقدر .

٣ ـ ومنهم الخلفية[٣] : وكان خلف هذا من أتباع ميمون القدري ثم تاب ورجع عن أقواله الى مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر والمشيئة والاستطاعة وخوارج مكران وكرمان بايعوه على ذلك ، وكان حمزة الخارجي القدري يقاتلهم

---

(١) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٦ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٤ .
(٢) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٣١ ، و « الفرق بين الفرق » ص ٩٥ والمقالات ١ : ١٦٥ .
(٣) أنظر « الملل والنحل » ١ : ١٣٠ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٦ ، و « المقالات » ١ : ١٦٥ .

ففقدوا خلقا في بعض تلك الحروب ، فهم من معرفته في شك ثابتون على دعوى امامته ، ولم يقاتلوا بعد فقده أحداً فان من مذهبهم أنهم لا يقاتلون الا إذا كان بينهم الامام ، وصاروا الى مذهب الأزارقة في شيء واحد ، وهو قولهم : ان أطفال مخالفيهم يكونون في النار .

٤ ـ ومنهم المعلومية ويدعى فريق منهم المجهولية[١] : والفريقان جميعاً كانا من جملة الخازمية . ثم المعلومية خالفوهم وزعموا أن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر ، وزعموا أيضا أن أفعال العباد لا تكون مخلوقة لله ، وزعموا أن من كان منهم على دينهم وخرج على أعدائه بالسيف فهو الامام ، والمجهولية يقولون من عرف الله ببعض أسمائه يكون عالماً به ، ولا يشترطون معرفة جميع أسمائه ، ويكفرون المعلومية بهذا السبب .

٥ ـ ومنهم الصلتية : وهم أتباع صلت بن عثمان وقيل صلت بن أبي الصلت[٢] وهؤلاء يقولون انا نوالي كل من كان على مذهبنا ولكنا نتبرأ عن أطفالهم الى أن يبلغوا ونعرض عليهم الاسلام فيقبلوه يريدون به عرض مذهبهم وقبوله .

٦ ـ ومنهم الحمزية[٣] : وهم أتباع حمزة وهو الذي صدر منه الفساد الكبير في نواحي سجستان ، وديار خراسان : وكرمان ، ومكران ، وقهستان . وهزموا كثيراً من العساكر وكان في الأصل على دين الخازمية ثم خالفهم في القدر ، والاستطاعة ، ورجع الى قول القدرية . وكان يزعم أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ، وان غنائمهم لا تحل لنا ، وكان يأمر بإحراق الغنائم وعقر دواب مخالفيهم ، وظهرت فتنته

---

(١) أنظر « مقالات الاسلاميين » ١ : ١٦٦ وقد أفرد كل واحدة منهما بحديث قصير ، ثم أنظر « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٧ . ولم يذكر الشهرستاني المعلومية ولا المجهولية بين فرق العجاردة .

(٢) في «المقالات »: «عثمان بن أبي الصلت» ومثله في خطط المقريزي، وفي الملل والنحل» « عثمان بن أبي الصلت ، أو الصلت بن أبي الصلت » وفي « الفرق بين الفرق » كما ذكر المؤلف . وراجع عن هذه الفرقة في « الملل والنحل » ١ : ١٢٩ ، والمقالات » ١ : ١٦٦ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٧ .

(٣) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٥ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٢٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٩٨ .

في أيام هارون الرشيد وبقي الى أن مضى برهة من أيام المأمون ثم صار مقتولا على أيدي غزاة نيسابور .

٧ - ومنهم الثعالبة : وهم أتباع ثعلبة به مشكان[١] وهؤلاء كانوا يقولون بامامة عبد الكريم بن عجرد ويقولون انه كان الامام الى أن خالفه ثعلبة في حكم الأطفال فصار على زعمهم كافراً ، وكان ثعلبة اماما وكان سبب اختلافهم ان رجلا من العجاردة خطب بنت ثعلبة فقال له أظهر لنا مهراً وقدره فبعث الخاطب الى ام البنت وقال : تعرّفيني عن أمرها هل بلغت هذه البنت ، وهل قبلت الاسلام ؟ فان كانت بالغة وللاسلام قابلة على الشرط لم يبال كم كان مهرها . فقالت الأم هي مسلمة . فلما بلغ هذا الخبر الى ثعلبة اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين ، وخالف في هذا عبد الكريم بن عجرد وبسبب هذا الخلاف تبرأ أحدهما عن صاحبه وكان يكفر كل منهما صاحبه .

٨ - ومنهم المعبدية[٢] : وهؤلاء يقولون بامامة معبد بعد ثعلبة وخالف معبد الثعالبة بان قال : يجوز أخذ الزكاة من العبيد ويجوز دفعها اليهم ، وزعم بان من لم يوافقه في هذه المقالة فهو كافر واتباعه يكفرون جملة الثعالبة والثعالبة يكفرونهم .

٩ - ومنهم الأخنسية[٣] : وهم أتباع رجل اسمه اخنس وكان على مذهب الثعالبة في موالاة الاطفال ثم خنس من بينهم وزعم أنه يجب التوقف في جميع من كان في دار التقية الا من عرفنا منه نوعاً من الكفر فحينئذ نتبرأ عنه ، ومن عرفنا منه الايمان فنواليه ، وكان يقول : ان قتل مخالفيهم في السر لا يجوز ، ولا يجوز ابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعوه أولا الى مذهبهم .

١٠ - ومنهم الشيبانية[٤] : وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارجي وهم كانوا

---

(١) سماه في « الملل والنحل » : ثعلبة بن عامر » ومثله في الخطط ، وأما عبد القاهر فسماه كما ذكره المؤلف هنا . وراجع عن هذه الفرقة في : « المقالات » ١ : ١٦٧ ، والملل والنحل ١ : ١٦٧ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٠ .
(٢) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، و« الملل والنحل » ١ : ١٣٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠١ .
(٣) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، و« الملل والنحل » ١ : ١٣٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠١ .
(٤) أنظر « المقالات » ١ : ١٦٧ ، والفرق بين الفرق » ص/ ١٠٢ ، والملل والنحل » ١ : ١٣٢ .

يعينون أبا مسلم[1] في حروبه وكان يذهب الى مذهب المشبهة وساير الثعالبة ثم خالفهم وقال : كل زرع يسقى بنهر ، أو عين ، ففيه نصف العشر . وقال كل زرع سقي بالسماء ففيه عشر كامل .

١١ ـ ومنهم المكرمية : وهم أتباع أبي مكرم[2] وكان يقول : من ترك الصلاة فقد كفر لا لأنه ترك الصلاة ولكن لأنه يكون جاهلا بالله تعالى . وكان يقول : ان المذنبين كلهم جاهلون بالله . وكان يقول : في الموالاة والمعاداة بالموافاة . وكان يقول : ان الاعتبار بما سبق في كتاب الله تعالى .

٦ ـ الفرقة السادسة :

الأباضية :

الأباضية وهم أتباع عبد الله بن أباض[3] ثم هم فيما بينهم فرق وكلهم يقولون ان مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار لا مشركون ولا مؤمنون ، ويجوزون شهادتهم ويحرمون دماءهم في السر ويستبيحونها في العلانية ، ويجوزون مناكحتهم ، ويثبتون التوارث بينهم ، ويحرمون بعض غنائمهم ويحللون بعضها ، يحللون ما كان من جملة الأسلاب والسلاح ، ويحرمون ما كان من ذهب أو فضة ويردونها إلى أربابها .

ذكر الحفصية منهم :

ومن الأباضية قوم يقال لهم الحفصية : وهم أتباع حفص بن ابي المقدام وكان

---

(١) هو أبو مسلم الخراساني : هو صاحب الدعوة الى العباسيين ، والذي أقام صرح دولتهم ، قتل سنة ١٣٧ هـ في شعبان قتله المنصور . انظر مروج الذهب ٣ : ٣٠٢ ـ ٣٠٥ ، و« العبر » : ١ : ١٨٦ .

(٢) هكذا ورد اسمه في « الفرق بين الفرق » وسماه الشهرستاني : مكرم بن عبد الله العجلي » . أنظر عن هذه الفرقة في : الملل والنحل » ١ : ١٣٣ ، و« المقالات » ١ : ١٦٨ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٣ .

(٣) هو احد بني مرة بن عبيد من بني تميم رهط الأحنف بن قيس . وأنظر عن هذه الفرقة في : « مروج الذهب » ٣ : ٢٥٨ ، و« المعارف » ص/ ٦٢٢ ، والفرق بين الفرق » ص/ ١٠٣ ، و« المقالات » ١ : ١٧٠ . « والملل والنحل » ١ : ١٣٤ .

يقول : ليس بين الكفر والايمان الا معرفة الله فمن عرفه فهو مؤمن ، وان كان كافراً بالرسول وبالجنة والنار ، واستحل جميع المحرمات كالقتل ، والزنا ، واللواط ، والسرقة ، فهو كافر ولكنه بريء من الشرك ،وهؤلاء يقولون في عثمان كما تقول الروافض في أبي بكر وعمر . ويقولون في علي نزل قوله تعالى : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام[1] » وفي عبد الرحمن بن ملجم قوله تعالى : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد »[2] وهذا من أتم الفضائح والبدع .

ـ ذكر الحارثية منهم :

ومن الأباضية قوم يقال لهم الحارثية : وهم أتباع الحارث بن مزيد الأباضي[3] وكانوا يقولون بقول القدرية في القدر والاستطاعة وسائر الأباضية كانوا يكفرونهم بسبب ذلك .

ـ ذكر أصحاب طاعة :

ومن الأباضية فريق يقال لهم أصحاب طاعة لا يراد الله بها[4] ، وهؤلاء يقولون بجواز طاعات كثيرة من العبد لا يقصد بها طاعة ربه كما كان يقوله أبو الهذيل المعتزلي وكان من قصتهم : أن رجلا من الأباضية اسمه ابراهيم أضاف جماعة من أهل مذهبه وكانت له جارية على مذهبه قال لها قدمي شيئا فأبطأت فحلف ليبيعها من الأعراب ، وكان فيما بينهم رجل اسمه ميمون ذكرناه في العجاردة فقال له تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار . فقال: «وأحل الله البيع وحرم الربا»[5] وعليه كان اصحابنا وطال الكلام بينهما حتى تبرأ كل واحد منهما من صاحبه ، وتوقف قوم منهم في كفرهما وكتبوا الى علمائهم فرجع الجواب بجواز ذلك البيع وبوجوب التوبة على

(١) البقرة : ٢٠٤ .
(٢) البقرة : ٢٠٧ .
(٣) وقع في التبصير وحده « الحارث بن مزيد الأباضي » أما في غيره : « الحارث بن يزيد الأباضي » .
(٤) أنظر « المقالات » ١ : ١٧٢ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٥ ، ولم يذكر الشهرستاني هذه الطائفة .
(٥) البقرة : ٢٧٥ .

ميمون وعلى كل من توقف في نصر ابراهيم . فمن هاهنا افترقوا ثلاث فرق الابراهيمية، والميمونية ، والواقفية .

وظهر بعدهم قوم آخرون يقال لهم البيهسية أصحاب أبي بيهس هصيم بن عامر[1] وهؤلاء يقولون ان ميمونا كفر بقوله : ان بيع تلك الجارية من كفار يكونون في ديار التقية حرام ، وكفروا الواقفية أيضاً لتوقفهم في كفر ميمون ، وكفروا ابراهيم لتبريه من هؤلاء الواقفية .

ثم قالت البيهسية : لا يطلق على المذنب انه كافر أو مؤمن حتى يدفع الى السلطان ويقيم عليه الحد . وقال بعضهم : متى ما كفر الامام كفر رعيته أيضا . وقال قوم منهم ان السكر كفر إذا كان معه ترك الصلاة .

٧ ـ الفرقة السابعة :

الشبيبية :

منهم الشبيبية وهم أتباع شبيب بن يزيد الشيباني[2] وكان كنيته أبو الصحارى ، وقد تسمى هذه الفرقة صالحية لانتسابهم الى رجل اسمه صالح بن مسرح التميمي الخارجي[3] وكان شبيب هذا من أصحابه وصار بعده والياً على عسكره ، وكان خروجه في أيام الحجاج وخالف صالحاً في تجويز أمامة النساء إذا قمن بأمر الرعية كما ينبغي وخرجن على مخالفيهم . وكان أتباعه يقولون : ان غزالة أم شبيب كانت هي الامام بعد شبيب الى أن قتلت . وكان السبب في قولهم بامامة أم شبيب ان شبيباً لما دخل الكوفة أمر أمه حتى صعدت منبر الكوفة وخطبت ، وكان من

---

(١) أنظر « المقالات » ١ : ١٧٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ١٢٥ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٠٨ و « المعارف » ص/ ٦٢٢ .

(٢) شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت ، الشيباني ، الخارجي خرج أول الامر بالموصل ، فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد . مات غرقاً سنة / ٧٧ هـ . وانظر « العبر » ١ : ٨٦ وما بعدها . وشذرات الذهب ١ : ٨٣ ، و « المقالات » ص / ٤١٠ .

(٣) هو صالح بن مسرح : كان رأس الصفرية ، فلما دنت وفاته بالموصل سنة/ ٧٦ هـ أوصى الى شبيبا بن يزيد . أنظر المعارف ص/ ٤١٠ أثناء ترجمته لشبيب .

قصة شبيب في أول أمره أنه قصد بالشام روح بن زنباع [1] ونزل عنده والتمس منه أن يسأل أمير المؤمنين حتى يجعل عطاءه مساوياً لعطاء أهل الشرف ، فسأله ذلك . فقال عبد الملك بن مروان : هذا رجل لا أعرفه . فقال شبيب يوشك أن يعرفني . وجمع الصالحية من الخوارج مع أصحابه من بني شيبان وغلب على حد كسكراي المداين فبعث الحجاج اليه ألف فارس فهزمهم فبعث اليه ألفين فهزمهم وكان لا يزال يزيد في العساكر يبعثهم اليه وهو يهزمهم حتى هزم عشرين جيشا من عساكره في مدة سنتين . ثم هجم على الكوفة بالليل مع ألف فارس من الخوارج ، وكانت معه أمه غزالة وامرأته جهيزة مع مائة وخمسين امرأة ، فتقلدن السيوف ، واعتقلن الرماح ، فقتل حراس الكوفة ، وأمر أمه حتى صعدت المنبر وخطبت فقال خزيمة بن فاتك الأسدي في وصف تلك الحالة :

أقامتْ غَزَالَةُ سُوقَ الضرار   لأَهْلِ العِرَاقَينِ حَوْلا قَميطَا
سَمَتْ للعِرَاقَينِ في جندها [2]   فَلاَقى العِرَاقَان مِنْها أَطِيطَا

وصبر الحجاج تلك الليلة في داره حتى اجتمع جنده لوقت الصبح وصلى في مسجد الكوفة صلاة الصبح بجنده ، وقرأ في الصلاة سورة البقرة ، وآل عمران . فقصده الحجاج بأربعة آلاف فارس ، والتحم القتال بينهما في سوق الكوفة حتى قتل أكثر أصحاب شبيب ، وفر مع من بقي من أصحابه ، وانحاز الى ناحية الأنبار . وخرج الحجاج على أثره فانهزم الى ناحية الأهواز فبعث الحجاج على أثره سفيان بن الأبرد مع ثلاثة آلاف من المقاتلة فلحقوه مع موضع يقال له دجيل ، فقصد شبيب أن يعبر جسر دجيل فأمر سفيان قومه أن يقطعوا حبال الجسر ففعلوا فانقلب الجسر وغرق شبيب وهو يقول : «ذلك تقدير العزيز العليم » [3] .

ثم أمر سفيان بإعادة الجسر وعبره وقصد من بقي من أصحابه ، وكانوا قد

---

(١) هو أبو زرعة : روح بن زنباع ، الجزامي ، سيد جزام ، وأمير فلسطين . توفي سنة/ ٨٤ هـ . أنظر « العبر » : ٢ : ٩٨ .
(٢) ذكر التميمي في « الفرق بين الفرق » ص/ ١١٢ « جيشها » .
(٣) يس : ٣٨ .

بايعوا أم شبيب فلم يزل بهم حتى قتل أكثرهم . وقتل أم شبيب وأمر الغواصين حتى أخرجوا شبيبا من الماء ، وبعث برأسه وبمن كان قد أسر من أصحابه الى الحجاج .
قال بعض أولئك الاسراء اسمع مني بيتين اختم بهما عملي وأنشأ يقول :

أبرأ الى الله من عمروٍ وشيعَتِهِ ومن عَليٍّ ومن أصحاب صِفّينِ
ومن مُعَاوية الطاغي وشيعتِهِ لا بَارَكَ الله في القوم المَلاعينِ

فأمر الحجاج بقتله ، وقتل جماعة من أولئك الاسراء . هذه جملة فرق الخوارج وبلغ ما ليس بمتداخل من أقاويلهم عشرين مقالة فهم إذاً عشرون فرقة كما سطرناه في أول الكتاب ، ومن عجائب حال الخوارج أنهم خرجوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالوا : لم خرجت من بيتها والله تعالى يقول : « وقرن في بيوتكن»[1] . ثم صاروا تبعا لغزالة ، وجهيزة ، وجوزوا أمامتها ،فهلا تلوا هذه الآية عليها ومنعوهما من الفتنة غيران الخذلان لا قياس عليه «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »[2] .

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .
(٢) البقرة : ٢١٣ .

الباب الخامس

في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم

قد بينا قبل أنهم ينقسمون الى عشرين فرقة . فمما اتفق عليه جميعهم من مساوىء فضائحهم نفيهم صفات الباري جل جلاله حتى قالوا : أنه ليس له سبحانه علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا بقاء ، وأنه لم يكن له في الأزل كلام ، ولا أرادة ، ولم يكن له في الأزل اسم ، ولا صفة ، لأن الصفة عندهم هو وصف الواصف ، ولم يكن في الأزل واصف . والاسم عندهم التسمية . ولم يكن في الأزل مسم ، اذ لم يكن له كلام في الأزل عندهم وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة ، هذا قولهم في صانع العالم وبديهة العقل تقتضي فساده لاحاطة العلم باستحالة كون من لا علم له ، ولا قدرة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، صانعاً للعالم ، ومدبراً للخليقة ، ومما اتفق جميعهم غير الصالحي من فضائحهم قولهم : ان المعدوم شيء حتى قالوا : ان الجوهر قبل وجوده جوهر ، والعرض عرض ، والسواد سواد ، والبياض بياض ، ويقولون : ان هذه الصفات كلها متحققة قبل الوجود ، وإذا وجد لم يزدد في صفاته شيء . بل هو الجوهر والعرض ، والسواد في حال الوجود على حقائقها المتحققة في حال العدم ، وهذا منهم تصريح بقدم العالم . ومن كان قوله في الصانع على ما وصفناه ، وفي الصفة على ما ذكرناه ، لم يبق له اعتقاد صحيح ، ولم يكن دعواه في التلبس بالديانة الا تلبيساً منه على أهل الديانة ليسلم من سيوف المسلمين المسلطة عليهم الى يوم القيامة .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان الله تعالى لا يرى ، وأنه لا يرى

نفسه . وقال كثير منهم انه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال ، وليس معبودهم على هذا القول الا كما نهى ابراهيم الخليل عليه السلام أباه عن عبادته حين قال: «إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً»[1].

وبما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان كلام الله تعالى مخلوق له يخلق لنفسه كلاماً في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلما ، وأنه لم يكن متكلماً قبل أن خلق لنفسه كلاماً ، ليت شعري كيف يكون كلام المتكلم مسموعاً من غيره ، ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهي والشرع لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام ، وذلك خلاف قوله تعالى: «إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[2] وزعموا ان الكلام هو المكتوب في الصحف والمقروء بالالسنة غير الكلام الذي نزل به جبريل على المصطفى عليهما الصلاة والسلام بل كان ذلك عرضا معلوما ، وهذا الذي يتلى ويكتب عرض آخر وجد متجدداً وهذا خلاف قول الأمة قبلهم .

وبما اتفقوا عليه قولهم : ان أفعال العباد مخلوقة لهم ، وان كل واحد منهم ومن جملة الحيوانات كالبقة ، والبعوض ، والنملة ، والنحلة ، والدودة ، والسمكة ، خالق ،خلق أفعاله . وليس الباري خالقا لافعالهم ولا قادراً على شيء من أعمالهم ، وأنه قط لا يقدر على شيء مما يفعله الحيوانات كلها . ففعل الذباب ، والبقة ، والجرادة ، أفعال هي خالقة لها ، وليس الباري سبحانه قادراً عليها ، فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون، حتى أن مذبة[3] لو تحركت على دن من الخل تطاير عنها أكثر من ألف خالق أو قريب منها . وقد فارقوا بهذه المقالة لسان الأمة ، فان الأمة كلهم قبلهم كانوا يقولون لا خالق الا الله كما يقولون لا إله إلا الله ، وخالفوا بهذا أيضا قوله سبحانه وتعالى: «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»[4] وقوله تعالى: «فأروني ماذا خلق الذين من دونه »[5] . فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق هذه المطالبة ، ولم يكن لهذا الانكار عليهم حقيقة .

---

(١) مريم : ٤٢ .
(٢) النحل : ٤٠ .
(٣) المذبة : بكسر الميم مايُذبُّ به الذباب . أنظر « مختار الصحاح » ص/ ٢١٩ .
(٤) الرعد : ١٦ .
(٥) لقمان : ١١ .

ومما قالوا . ان أفعال الحيوانات خارجة من قدرة الله تعالى ولم يوجبوا تخصيصاً في وصف كونه قادراً فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية كما بيناه « في الأوسط » .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان حال الفاسق الملي منزلة بين منزلتين ، لا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وانه ان خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار ، ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه ، ولو أنه رحمه وغفر له يخرج من الحكمة وسقط من منزلة الآلهية بغفران الشرك به . قال تعالى : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[1] يرد قولهم هذا قوله تعالى : «قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم »[2]. وقوله تعالى : «انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »[3] . وليت شعري كيف حجروا على الله في مقدوره وحظروا عليه التصرف في مطلق ملكه ، وكيف منعوه العفو فيما يثبت له في عبده من حقه .

ومما اتفقوا عليه من مساوىء مقالاتهم قولهم : ان الله تعالى لم يرد أن يكون الزنا ، واللواط ، والقتل ، ومعصية العصاة ، وكفر الكافرين ، وجميع الفواحش قبيحة مذمومة . وهذا يوجب أن تكون جميعها مرضية حسنة ، أو يكون عن جميعها غافلاً ساهياً ، وهذا خلاف قوله تعالى : «وما تشاءون الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً»[4] . وخلاف قوله تعالى : «لا تأخذه سنة ولا نوم»[5] . وخلاف ما اتفق عليه العقلاء من أن من لم يرد أن يكون القبيح قبيحا والمذموم مذموماً ولم يرد أن يكون كفر الكافرين ، ومعصية العصاة ، وظلم الظالمين ، وزنا الزناة ، مذمومة غير مرضية كان في السفه والجاً ، وعن حكم الحكمة خارجاً .

---

(١) النساء : ٤٨ .
(٢) الزمر : ٥٣ .
(٣) يوسف : ٨٧ .
(٤) الانسان : ٣٠ .
(٥) البقرة : ٢٥٥ .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم : ان كثيراً من الأشياء تجب على العبد من غير أن يكون من امر الله تعالى فيه أمر . مثل النظر ، والاستدلال ، وشكر المنعم ؛ وترك الكفر والكفران ، ثم يقولون : ان هذا العبد إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه وجب على الله تعالى أن يثيبه من غير أن يكون من قبله فيه أمر ، أو خبر ، أو وعد ، أو وعيد ، أو تكليف . ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره ، فإذا شكره وجب على الله ثوابه ، وهكذا يدور الأمر بين العبد والـرب . وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب ـ على قولهـم ـ من ان يخرج الـرب من واجبـات العبد . تعالى الله عن قولهم . من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه . وعلى قياس هذا يكون كل واحد منهما مؤديا للواجب ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر . وزادوا على هذا فقالوا : اذا خلق الله شيئاً من الجماد وجب عليه أن يخلق حياً ، وان يتم عقله حتى يستدل ويعتبر ويستحق الثواب باداء المستحـق ، ومـن قضى واجباً لم يستحق عليه شيئا كمن يقضي دينا لم يستحق على صاحبه فضلاً على هذا فقالوا : ان كل ما يناله العبد من ربه من النعم فانما يناله باستحقاق منه ، لا بفضل من الله تعالى . فاستنكفوا من أن يروا لله تعالى فضلا على أنفسهم وقالوا : ان أسنى المنازل منزلة الاستحقاق .

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: ان العبد لا يحصل له صفة الايمان حتى يعلم جميع ما هو شرط في اعتقادهم ، ويبلغ في معرفته درجة علمائهم كأبي الهذيل ، والنظام ، وغيرهما ، ويقدر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ، ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافراً لا يحكم له بالايمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين . ولذلك زعموا ان علماء مخالفيهم كفرة كلهم ، وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم . وهذا يوجب ان لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه ، وان يكون منفرداً بدخول الجنة مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة ، ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم ان المعتزلي بالتقليد كافر بالاجماع .

ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه فانكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصا به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج ، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ، ووجود حوض الكوثر ، وانكروا ما ورد في هذه الأبواب من الآثار والأخبار وانكروا عذاب

القبر أيضا وانكروا قول عمر : اني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ، مع اتفاق أهل النقل على رواية هذا الخبر على الاستفاضة . وقول جميع المسلمين : «ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[1] وفي عذاب القبر قد بلغت الأخبار حد التواتر في المعنى وان كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ ، فانكروا ما في ذلك من نصوص القرآن كقوله تعالى في صفة آل فرعون: «النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلو آل فرعون اشد العذاب»[2] واعلم ان ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم واتفقت عليه كلمتهم ونذكر بعد هذا ما اختص به كل واحد من فرقهم من المخازي والفضائح ان شاء الله عز وجل . وقد ذكرنا انهم ينقسمون الى عشرين فرقة .

١ ـ الفرقة الأولى :

الواصلية :

منهم الواصلية اتباع واصل بن عطاء الغزال[3] وهو رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق الى بدعتهم وذلك ان معبداً الجهني ، وغيلان الدمشقي كانا يضمران بدعة القدرية ويخفيانها عن الناس ولما أظهرا ذلك في أيام الصحابة لم يتابعهما على ذلك أحد وصارا مهجورين بين الناس بذلك السبب الى أيام الحسن البصري . وكان واصل في غرار من القولين يختلف اليه الناس وكان في السر يضمر اعتقاد معبد ، وغيلان وكان يقول بالقدر والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين . فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون انهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية وان أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافي ايمانا في قلوبهم ، وكان الخوارج يقولون انهم كفرة مخلدون في النار مع الكفار . فخالف واصل القولين وقال ان الفاسق لا مؤمن ولا

---

(١) البقرة : ٢٠١ .
(٢) غافر : ٤٦ .
(٣) سبقت ترجمته . وانظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٤٦ و« الفرق بين الفرق » ص/ ١١٧ .

كافر وانه في منزلة بين المنزلتين . وحكمهم في الآخرة انهم مخلدون في النار مع الكفار وان من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له فخالف في هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل جانبا مع أتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين ولما أظهر واصل هذه البدعة واعتزل جانباً وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة ، ولم يقدرا على اظهار قولها . فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذي ابتدعه في فساق أهل الملة كانوا يضربون به المثل ويقولون : مع كفره قدري . فصار ذلك مثلا سائراً بين الناس يضربونه لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين . وكان قوله موافقا لقول الخوارج في تخليد العصاة في النار مخالفا لهم في القول بمنزلة بين المنزلتين . والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول ولهذا قيل في المعتزلة انهم مخانيث الخوارج ونسبهم اسحاق بن سويد الى الخوارج في شعره[1] فقال :

بَرِئْتُ من الخوارج لَسْتُ منهم ... من الغَزَّالِ منهم وَابْنِ باب
ومن قَوْمٍ إذا ذكروا عَلِياً ... يردُّونَ السَّلامَ على السحابِ

ثم احدث واصل بدعة ثالثة وذلك ان المسلمين كانوا في علي واصحابه وفي اصحاب الجمل الذين كانت فيهم عائشة وطلحة والزبير على قولين . فكانت الخوارج تقول : [أن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم علياً وكان علي يومئذ على الحق ولكنه كفر بعد ذلك بالتحكيم . وكان الباقون من الأمة يقولون : ان فريقي حرب الجمل كانوا مؤمنين مسلمين ، ولكن الحق كان مع علي رضي الله عنه ، والآخرون كانوا على خطأ اجتهاد لا يلزم به الكفر ، ولا الفسق ، ولا التبري والعداوة . ثم ان واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم ان فريقي حرب الجمل كانوا فساقاً لا بعينه ، ورتب على هذا فقال : لو شهد عندي رجلان من هذا العسكر ورجل من ذلك العسكر لم اقبل . فقيل له شهد من هذا العسكر علي ، والحسن ،

---

(1) البيتان في «الكامل» للمبرد ٢ : ١٢٤ وبعدهما في روايته قال :

ولكني أحبُّ بِكُلِّ قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق ، حبا ... به ارجو غدا حسن الثواب

والحسين ، وابن عباس ، وعمار بن ياسر[1] رضي الله عنهم ، ومن ذلك العسكر عائشة ؛ وطلحة ، والزبير ، هل تقبل شهادتهم ؟ فقال : لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم اقبل . هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون في اعلام الدين واعيان الصحابة ، وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به ويقول بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله وانتحلوا مذهبه ، وهذا قوله في علي واصحابه ، وكيف يوالون عليا واولاده ، ويذهبون الى مذهب هذا الشيخ الضال الذي يقول في علي واولاده ما ذكرناه .

٢ ـ الفرقة الثانية العمرية :

منهم العمرُية[2] وهم اتباع عمرو بن عبيد مولى بني تميم ، وكان يوافق واصلا فيما ذكرنا من بدعته وزاد عليه ان قال : كلا الفريقين من اصحاب حرب الجمل فسقوا وهم خالدون مخلدون في النار وهؤلاء لا يقبلون شهادة واحد من فريقي حرب الجمل » .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

الهذلية :

منهم الهذلية ، وهم أتباع ابي الهذيل[3] محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف وكان من موالي عبد القيس ، وله فضائح كثيرة فيما احدثه من البدع حتى كفر بتلك البدع جميع الأمة ، وكفر أيضاً سائر المعتزلة ، وصنف المردار من المعتزلة كتاباً في

---

(١) هو ابو اليقظان : عمار بن ياسر ، العبسي ، احد السابقين الى الاسلام واحد الذين كانوا يعذبون في الله ، وقد ولاه عمر رضي الله عنه الصلاة بالكوفة سنة / ٢١ هـ . وشهد مع علي صفين فقتل في سنة / ٣٧ . وقداخبر النبي ﷺ انه «تقتله الفئة الباغية » انظر «العبر » ١ : ٢٥ . و٣٨ ، و «شذرات الذهب » ١ : ٤٥ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة «الفرق بين الفرق» ص / ١٢٠ ، وقد ضمها الشهرستاني الى الفرقة الاولى النظامية . ١ : ٤٩ .

(٣) هو ابو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله ، البصري ، العلاف ، شيخ المعتزلة اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء . واختلف في وفاته فقيل ، سنة / ٢٢٦ هـ . وقيل : سنة / ٢٣٥ هـ . وقيل : سنة / ٢٢٧ هـ . انظر «العبر » ١ : ٤٢٢ ، و «شذرات الذهب » ٢ : ٨٥ ، و «ابن خلكان » رقم / ٥٧٨ . وراجع في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل » ١ : ٤٩ ، و «الفرق بين الفرق » ص / ١٢١ .

تكفير ابي الهذيل ، وكذا الجبائي ، وذكرا في تصنيفهما ان قوله يؤدي الى قول الدهرية .

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى اذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء . قال : وإذا دخل ذلك الوقت فنى نعيم اهل الجنة ، وعذاب أهل النار ، حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على ان يزيد في نعيم اهل الجنة ذرة ، ولا ان يزيد في عذاب اهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده الى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى ان يوصل تلك الثمرة الى يده ، ولا على ان يقدر العبد على ان يوصل يده اليها . وأهل الجنة كلهم يبقون هموداً ، جموداً ، ساكنين ، لا يقدرون على حركة ، ولا على نطق وينقطع عذاب اهل النار في ذلك الوقت . وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ، ويهدم فائدة الوعد والوعيد ، ولئن قصد بعض اصحابه ان يستر عليه هذه الفضيحة ، ويخفي هذه البدعة لم يمكنه . لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب «الحجج» وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقها بهذه المقالة الى تمهيد الحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بارتكابهم هذه البدعة .

ومن فضائحه قوله : بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال : ليس في الدنيا زنديق ولا دهري الا وهو قطب الله تعالى في كثير من الاشياء ، ولم يكن له قصد التقرب الى الله عز وجل لأنه لا يعذبه .

ومن فضائحه قوله : بان علم الباري هو هو ، وقدرته هي هو ، ولو كان كما قاله لم يكن عالماً ، ولا قادراً ، ولكن علمه قدرته ، وقدرته علمه ، وكان لا يتحقق الفرق بينهما اذا كانا يرجعان الى ذات واحدة .

ومن فضائحه قوله : في ان كلام الله تعالى ما هو الا عرض لا في محل . ولو جاز هذا لجاز ان يكون سائر الاعراض لا في محل ، ولكن مالا محل له لا يكون متكلما به لا هو ولا غيره ، ولا يمكنه ان يقول ان فاعل الكلام هو المتكلم به . لان كلام اهل الجنة واهل النار وجميع افعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة ، فلا يمكنه ان يقول انه

متكلم بكلامهم ،وله من الفضائح ما لا يحتمل هذا المختصر بيانه .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

النظامية :

فيهم النظامية اتباع ابي اسحاق ابراهيم بن سيار الذي كان يلقب بالنظام[١] ؛ والمعتزلة يقولون : إنما سمى نظاماً لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر ، وليس كذلك وانما سمى به لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها ، وكان في حداثة سنة يصحب الثنوية والسمنية الذين يقولون بتكافؤ الأدلة ، وفي حال كهوليته كان يصحب ملحدة الفلاسفة ، وكان قد اخذ منهم قولهم بان اجزاء الجزء لا تتناهى ، ولا يزال يمكن ان يفصل من الخردلة الواحدة شيئاً بعد شيء ، مالا ينتهي الى جزء واحد لا جزء له ، ولزمه على هذا قدم العالم . وهذا ركوب منه مالا يقبله عقل اصلاً . إذ لو كان يمكن ان يفصل من الخردلة من الاجزاء مالا يتناهى وكان ممكناً ذلك في الجبل العظيم بطل الفرق بينهما ، ولا يمكنه ان يعتذر عنه بان الاجزاء المفصولة من الجبل تكون اعظم من المفصولة من الخردلة ، لان الخردلة إذا كان يمكن ان يفصل عنها مالا يتناهى فلا يزال يفصل منها ويجمع حتى يتركب ويتراكم ويصير مثل الجبل واضعافه ، وكلمة ابو الهذيل في هذه المسألة فقال : لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة اذا دبت على البقلة لا تنتهي الى طرفها ، فقال : انها تطفر[٢] بعضا ، وتقطع بعضا ،وهذا منه كلام لا يقبله عقول العقلاء . لان ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة ، فصار قوله هذا مثلاً سائراً يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه .

ومن فضائحه قوله : يجب على الله تعالى ان يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد ،

---

(١) هو : ابو اسحاق ابراهيم بن سيار ، المعروف بالنظام ، وهو ابن اخت ابي الهذيل العلاف السابق ذكره ومنه اخذ الاعتزال ، وهو شيخ ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . توفي ما بين سنة / ٢٢١ هـ وسنة / ٢٢٣ هـ . انظر «النجوم الزاهرة» ٢ : ٢٣٤ ، و«العبر» ١ : ٣١٥ و٤٥٦ ، و«دائرة المعارف» للبستاني ١ : ٢٦٨ ، وانظر في شأن هذه الفرقة «الملل والنحل» ١ : ٥٣ ، و«المقالات» ١ : ٢٢٧ ، و«الفرق بين الفرق» ص/ ١٣١ .

(٢) الطفرة : الوثبة . كذا في «مختار الصحاح» ص/ ٣٩٤

لانه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه . وركب على هذا فقال : كل ما فعله الله بالكفار فهو صلاحهم ، ولم يكن في مقدوره اصلح مما فعل .

وقد بينا نحن ان الوجوب على الله تعالى محال ، وكل عاقل يعلم ان الكافر لا صلاح له في كفره ، ولا ما يحل به من تبعات فعله ، فعلى هذا يجب ان يكون حجة الله منقطعة حتى لا يكون له على عبيده حجة ، ويصور ذلك في ثلاثة ولدوا دفعة واحدة بطناً واحداً ؛ فامات الله احدهم في حال الطفولية ، وبلغ منهم اثنان فكفر احدهما ، وآمن آخر ، فيدخل الله يوم القيامة في الجنة من مات في حال الطفولية ، ولا يبلغه منها الدرجة العظيمة ، ويدخل الذي آمن الجنة ويعطيه الدرجة العظيمة ، ويدخل الذي كفر النار . فيقول الطفل الذي مات في صغره : لم لم تبلغني درجة الذي آمن بعد البلوغ ؟ فيقول له : لأنه آمن وانت لم تؤمن . فيقول الذي مات طفلاً : هلا بلغتني حال البلوغ حتى كنت أؤمن بك كما آمن هو ؟ فيقول الله تعالى له : لم ابلغك حال البلوغ لأني علمت انك لو بقيت لكفرت فاخترمتك قبل البلوغ لأن صلاحك كان فيه حتى سلمت من النار . فاذا سمع الذي في النار هذا الكلام يقول : فلم لم تخترمني قبل البلوغ حتى كنت اسلم من النار ، وكان يكون فيه صلاحي فنعوذ بالله من مذهب يؤدي الى مثل هذه الرذيلة .

ومن فضائحه قوله : في القرآن انه لا معجزة في نظمه وكان ينكر سائر المعجزات مثل انشقاق القمر، وان كان قد نطق به القران في قوله : «**اقتربت الساعة وانشق القمر**»[1]. وكذلك كان ينكر تسبيح الحصى في يده، ونبوع الماء من بين اصابعه ، وكان في الباطن يميل الى مذهب البراهمة الذين ينكرون جميع الانبياء ، فتكلم بهذين المذهبين اللذين يبطل احدهما حدث العالم ، والآخر يبطل ثبوت النبوة ، وكان لا يقدر على اظهار ما كان يضمره من الالحاد ، وكان لا يعجبه ان يقبل كلف العبادات ، وكان يقول : ان الاجماع ليس بحجة ، والخبر المتواتر ليس بحجة . وكان يرد على الصحابة جميع ما تكلموا فيه واتفقوا عليه ، وكان سيرته الفسق والفجور ، فلا جرم كان عاقبته انه مات سكران وكان قد قال صفة حاله :

(١) القمر : ١ .

ما زِلْتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقِّ في لطف   وأستبيحُ دَماً من غيرِ مَذْبُوحِ
حتى انثنيتُ ولي رُوحان في بَدَنٍ   والزق مُطَّرَحٌ جسمٌ بلا رِوحِ

وكان آخر كلامه وما ختم به عمره انه كان يده في القدح وهو على علية فأنشأ يقول :

اشرب على طرب وقل لمهدد   هون عليك يكون ما هو كائن

فلما تكلم بهذا الكلام سقط من تلك العلية ومات باذن الله تعالى . وفرق الاسلام كلهم يكفرونه ، واسلاف المعتزلة ايضاً يكفرونه وكفره ابو الهذيل في كتاب «الاعراض» وصنف الاسكافي منهم كتاباً في تكفيره ، وصنف جعفر بن حرب ايضاً في تكفيره ، فمن وقف من حاله على هذا القدر الذي وصفناه استغنى به عن ذكر سائر فضائحه ، ونسأل الله تعالى العصمة من كل بدعة .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

الاسوارية :

منهم الاسوارية وهم اتباع على الاسواري[1] وكان من اتباع النظام موافقاً له في جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته، وزاد عليه بان قال : ان ما علم الله تعالى ان لا يكون لم يكن مقدوراً لله تعالى . وهذا القول منه يوجب ان تكون قدرة الله تعالى متناهية ، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهيه ، والقول به كفر من قائله .

٦ ـ الفرقة السادسة :

المعمرية :

منهم المعمرية اتباع معمر بن[2] عباد وكان رأساً من رؤوس الضلال والالحاد وكان يقول : ان الله تعالى لم يخلق من الأعراض من لون ، أو كون ، أو طعم ، او

(١) كان من اصحاب ابي الهذيل ، ثم انتقل الى النظام . وانظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ١٥١ .

(٢) هو ابو عمرو : معمر بن عباد ، السلمي.
وانظر في شأن هذه الفرقة في «الملل والنحل» ١ : ٦٥ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥١ .

رائحة ، او حياة ، او موت ، او سمع ، او بصر ، وانه لم يخلق شيئا من صفات الاجسام. وهذا خلاف قوله تعالى: «**قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار**»[1] وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: «**له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**»[2]وكان يقول هذا الملحد: ان الله تعالى خلق الاجسام بفعل الاعراض بطبائعها . فقوله يوجب ان لا يكون لله تعالى كلام ، ولا نهي لانه لا يقول كلام الله تعالى أزلي كما يقول اهل السنة ، ولا يقول انه مخلوق لله تعالى لان عنده انه لم يخلق الاجسام وانه لم يخلق ما ليس بجسم .

ومن بدعه انه كان يقول : ليس الانسان الصورة التي شاهدناها وانما هو شيء في هذه الصورة عالم ، قادر، مختار ، يدبر التدبير ، لا متحرك ، ولا ساكن ، ولا متلون ، ولا مرئي ، ولا مدرك بالذوق ، والشم ، ولا بشيء من الحواس ، وانه ليس في مكان دون مكان ولم يذكر هذا الا من يصف الانسان بصفات خالقه ، ومن لا يطلق عليه مالا يطلقه على خالقه . ويلزم على هذا القول ان لا يكون في الدنيا من رأى انساناً قط . وهذا يوجب ان يقال ان الصحابة لم يروا رسول الله ﷺ ، وان احداً لم ير نفسه ، ولا اباه ، ولا امه ، ولا رآه غيره ؛ ومن كان هذه مقالته لم يكن معدوداً في جملة العقلاء ، واعجب من ذهابه الى هذه المذاهب الفاحشة افتخار الكعبي به في كتابه ، واثباته اياه في مشايخ المعتزلة ، ومثله لا يفتخر به الا مثله . وكل طير يقع مع شكله ، وقد وهبناه له ولا مثاله كما قال الشاعر :

هل مشتر والسعيد بايعه   هل بائع والسعيد من وهبا

٧ ـ **الفرقة السابعة :**

البشرية .

منهم البشرية وهم اتباع بشر[3] بن المعتمر ومن فضائحه قوله في باب التولد : ان الانسان يخلق اللون ، والطعم ، والرائحة ، والسمع ، والبصر ، وجميع

---

(١) الرعد : ١٦ .

(٢) الحديد : ٢ .

(٣) هو ابو سهل : بشر بن المعتمر ، الهلالي ، من اهل بغداد ، ويقال بل من أهل الكوفة .
وانظر في شان هذه الفرقة في : «الملل والنحل» ١ : ٦٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥٦

الادراكات على سبيل التولد وكذلك يخلق الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة. وهو في هذا القول مخالف لاجماع المسلمين ، لان أهل السنة لا يقولون بالتولد اصلاً . والمعتزلة الذين يقولون بالتولد لا يفرطون فيه ، ولا يقولون بالتولد الا في الحركات والاعتمادات . فهذه له بدعة زائدة على بدعهم .

ومن ضلالته قوله : ان حركة الجسم توجد في الجسم في المكان الاول في مكان ثان ولا واسطة بينهما ، وإذا لم يكن بين المكانين واسطة لم يكن هذا الكلام الذي يقوله معقولاً ولم يكن له حقيقة بحال.

ومن ضلالته قوله : ان الله إذا غفر ذنوب عبد من عباده ثم رجع العبد الى ذنب عذبه على هذا الذنب الثاني وعلى ما تقدم من ذنوبه التي غفرها له . قيل له فما تقول في كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر ، ثم يموت قبل ان يتوب من شرب الخمر؟ فقال يعاقب على شرب الخمر ، وعلى كفره الذي كان من قبل . فقيل له اتوجب ان يكون من شرب الخمر من المسلمين يناله في العاقبة ما ينال الكفار من العقوبة قال : هذا قول . وهذا منه قول بخلاف اجماع المسلمين لأن المعتزلة وان قالوا بمنزلة بين المنزلتين وان الفاسق يخلد في النار فانهم لا يقولون انه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والافعال .

الفرقة الثامنة :

الهشامية .

منهم الهشامية اتباع هشام[1] بن عمرو الفوطي . وكان من جملة القدرية وزاد عليهم في بدع كثيرة منها قوله : إنه لا يجوز لواحد من المسلمين ان يقول «حسبنا الله ونعم الوكيل »[2] فخرق بهذا القول اجماع المسلمين. وزعم انه لا يجوز ان يسمى

---

(١) هو هشام بن عمرو ، الشيباني ، ذكره ابن المرتضى آخر من ذكر من اهل الطبقة السادسة .
وانظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ٧٢ و «المقالات» في مواضع منها: ١ : ٢١٨ - ٢١٩ . و «الفرق بين الفرق» ص / ١٥٦ .

(٢) ال عمران : ١٧٣ .

وكيلاً خلاف قوله تعالى: «رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً »[1]. وخلاف قول النبي ﷺ فيما ذكره من اسمائه سبحانه فانه عد منها الوكيل[2] وهذا شيء وقع لهذا الجاهل لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة فان الوكيل في اللغة بمنزلة الكافي ويكون بمنزلة الحفيظ لقوله تعالى: «وما أنت عليهم بوكيل أو حفيظ »[3].

ومن بدعه قوله : انّ الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين ولم يضل الكافرين، فقد قال تعالى: «لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم »[4] وقال تعالى: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »[5] وقال: «وما يضل به الا الفاسقين »[6]

واعلم ان عباد بن سليمان[7] كان من اصحابه وزاد عليه بدعة فقال : ما خلق الله سبحانه وتعالى كافراً قط . قال : لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره . قال : والله لا يخلق الكفر عندي . وقياس قوله يوجب ان لا يكون خالقاً لمؤمن ، لان ايمان المؤمن لا يكون مخلوقاً عنده للباري تعالى . وقال ايضاً: لان الاعراض لا تدل على شيء وركب عليه فقال : ان انشقاق القمر ، وفلق البحر ، وقلب العصا حية . لا يدل على شيء من معجزاتهم .

ومن فضائح الفوطي وبدعه قوله : ان الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن ، وان كل من قال انهما مخلوقتان الآن فهو كافر ، وهذا القول منه زيادة منه على ضلالة المعتزلة . لان المعتزلة لا يكفرون من قال بوجودهما ، وان كانوا ينكرون

---

(١) المزمل : ٩.
(٢) كما جاء في حديث الترمذي وغيره . وقد رواه البيهقي ايضاً في الاسماء والصفات
(٣) الشورى : ٦ .
(٤) الانفال : ٦٣ .
(٥) ابراهيم : ٢٧ .
(٦) البقرة : ٢٦ .
(٧) هو عباد بن سليمان الضمري ، احد رجال الطبقة السابعة من المعتزلة . وقد ذكر الاشعري بعض مقالاته في مقالات الاسلاميين ١ : ٢٢٧ ، و ٢٣٩ ، و ٢٥٠ ، و٢٥٢ .

وجودها الآن . وكل من انكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما اخبر الله عنه وهو قوله : «انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون»[1]

ومن جهالاته قوله : ان الجنة لا يكون فيها افتضاض اذ لا يكون هناك ألم . ولم يعرف هذا الأحمق ان القادر على ان يخلق الجنة ونعيمها ، وان يزينها بالحور العين ، قادر على ان يحفظهم من الالم عند الملاقاة وكان هذا المدبر يجوز قتل مخالفيه حيلة ، ومن جوز هذا في المسلمين لم يتحاش المسلمون عن تجويزه فيه وفي اتباعه .

٩ ـ الفرقة التاسعة :

المردارية :

هم المردارية اتباع أبي موسى[2] المردار . وكان يقال له راهب المعتزلة يشتغل بالترهب كما كان يشتغل به رهبان النصارى . وكان في الحقيقة مرداراً أحق الله فيه حقيقة لقبه كما قال الشاعر .

وقَـلَّ ما أبْصَرَتْ عينـاكَ من رَجُلٍ الا ومَعْنَـاه ان فكرتَ في لَقَبِـهِ

وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله : ان الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه . وكان يقول : ان كل من جالس السلاطين فهو كافر لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون .

والباقون من المعتزلة كانوا يقولون : ان من جالس السلطان فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر خالد مخلد في النار . وهذا خلاف قول المسلمين قبلهم . وخلاف

---

(١) المرسلات : ٢٩ .

(٢) هو أبو موسى ، عيسى بن صبيح ، ولقبه المردار ، ويسمى راهب المعتزلة ثم ذكر ما انفرد به عنهم الشهرستاني في «الملل والنحل» ١ : ٦٨ ـ ٦٩ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ٦٨ ، و «المقالات» ١ : ٢٥٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص/ ١٦٤ .

أصول أهل السنه . وكان يقول : ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب كان إلها ظالما كاذبا . وهذا القول لا يليق الا بدينه الرقيق الذي ليس به تحقيق . وكان يقول : كل من قال بجواز رؤية الباري سبحانه فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، ومن شك في كفر من شك في كفره فهو كافر لا الى غاية ، وكل من أطلق مثل هذه المقالة فهو مخذول لا شك في كفره .

١٠ ـ الفرقة العاشرة :

الجعفرية :

منهم الجعفرية وهم أتباع جعفر بن مبشر[١] وجعفر بن حرب[٢] . وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة . كان جعفر بن مبشر يقول : فساق هذه الأمة شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة . مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . وكيف يعقل قول القائل أن الموحد شر من المشرك ، ومن كان هذا قوله كان حقيقا بان يقال بأنه شر من جميع الكفرة . وكان يقول في الفروع : ان رجلا لو كان يخطب امرأة واجتمعا للعقد بينهما ، فوثب عليها واطاعته فألم بها ان المرأة لا حد عليها . والرجل يجب عليه الحد وقوله في المرأة خلاف اجماع المسلمين . وكان جعفر بن حرب على ضلالة استاذه المردار ، وزاد عليه بأن قال : ان بعضا من الجملة يكون غير الجملة . وهذا يوجب أن تكون الجملة غير نفسها . لان كل بعض منها عنده غيرها فكان يقول : ان الممنوع من الفعل قادر على الفعل ، ولكنه لا يتمكن من الفعل . ولو جاز مثل هذا لجاز أن يقال ان العالم بالشيء عالم به . ولكنه لا يعرف شيئا . وهذا متناقض في نفسه .

---

(١) هو أبو محمد : جعفر بن مبشر الثقفي ، ذكره ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة مع جعفر بن حرب

(٢) هو أبو الفضل : جعفر بن حرب ، ذكره ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة .
وانظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/١٦٧ ، و « الملل والنحل » ١ : ٦٨ .

١١ ـ الفرقة الحادية عشر :

الاسكافية :

منهم الاسكافية وهم أتباع محمد بن عبد الله الاسكافي[1] . الذي اقتدى في ضلالة القدرية بجعفر بن حرب وكان استاذه ثم زاد عليه فقال : ان الله تعالى قادر على ظلم الأطفال والمجانين ، وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين . ومن خرافاته أنه يقول : ان الله تعالى كلم عبده ، ولا يجوز ان يقال متكلم . فكيف يجوز أن يكون مكلما ، ولا يجوز أن يكون متكلما . فان منعه لأجل رواية لزمه ان يمنع كونه منكراً . وقد ورد به القرآن والسنة .

١٢ ـ الفرقة الثانية عشرة :

الثمامية :

منهم الثمامية اتباع أبي معن ثمامة[2] بن أشرس النميري . وكان من مواليهم لا من نسبيهم وكان زعيم القدرية في أيام المأمون والمعتصم والواثق وزاد على أسلافه من ملاعين المعتزلة شيئين :

أحدهما قوله : بأن المعارف ضرورية كما تقوله الجاحظية ، وكان يقول : ان من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه أمر ولا نهي ، وان الله خلقه للسخرة والاعتبار . لا للتكليف في جنة ولا نار ، وان الله يجعلهم في الآخرة تراباً . وكذلك كان يقول فيمن مات في حال الطفولية .

وبدعته الثانية أنه كان يقول : إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها ، وهذا يؤدي

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله ، الإسكافي ، من رجال الطبقة السابعة . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ١٦٩ .

(٢) هو أبو معن ـ ويقال : أبو بشر ـ ثمامة بن الأشرس ، النميري ، من رجال الطبقة السابعة . وذكر الذهبي أنه مات في سنة/ ١٧٣ هـ . « العبر » ١ : ٢٦٣ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٠ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٢ .

الى القول بنفي الصانع ، إذ لو جاز ان يكون فعل بلا فاعل لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل ، كما لو جاز أن تكون كتابة بلا كاتب ، جاز أن تكون كل كتابة بلا كاتب . وكان يقول : ان دار الاسلام دار شرك لغلبة من يخالفه في بدعته في دار الاسلام ، وكان يقول لا يجوز سبي النساء من دار الكفر ، وان من سبى امرأة ثم ألم بها فهو زان ، وان ولده ولد الزنا . هذا منه اقرار بأنه من ولد الزنا لأنه كان من أولاد السبايا .

واعلم ان هذا المبتدع كان يظهر البدعة وكان في الحقيقة ملحداً ، ولكنه كان يستر الحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع . ثم كان يتغلب الحاده الشيء بعد الشيء في الأحايين . كما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب « مختلف الحديث » أن ثمامة رأى يوماً ناساً يسارعون الى صلاة الجمعة مخافة أن تفوتهم الصلاة . فأقبل على عبد كان معه وقال : أنظر الى هؤلاء الحمير ماذا فعل بهم ذلك العربي . وكان يريد النبي ﷺ . وذكر الجاحظ في كتاب « المضاحك » أن المأمون الخليفة كان قد ركب يوماً فرأى ثمامة وهو سكران قد وقع في الوحل . فقال له أنت ثمامة ؟ فقال : أي والله فقال له : الا تستحي ؟ فقال . لا والله . فقال . عليك لعنة الله . فقال تترى ثم تترى .

وأورد الجاحظ في كتابه من نوادر الحاده أن غلام ثمامة قال له قم فصل . فتغافل عنه . فقال له ثانياً قم فصل . فتخلص . فقال : أما أنا فقد تخلصت ان تركتني أنت ، وكان من شدة عداوته لأهل السنة أنه أغرى الواثق بأحمد بن نصر المروزي السني الخزاعي[1] لأجل أنه كان يطعن على القدرية . ووافقه ابن الزيات ، وابن أبي داود ، لما قتله ندم على قتله وعاتبهم على ذلك فقال ابن الزيات[2] تطيباً

---

(١) هو أحمد بن نصر ، الخزاعي ، الشهيد ، كتب عن مالك وجماعة ، قتله الواثق بيده وذلك في سنة/ ٢٣١ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٤٠٨ .

(٢) هو أبو جعفر : محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم والواثق والمتوكل . كان جهمياً ، قبض عليه المتوكل وعذبه وسجنه حتى هلك سنة/ ٢٣٣ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٤١٤ .

لقلب الواثق : ان لم يكن قتله صوابا فقتلني الله بين الماء والنار .

وقال ابن أبي داود[1] : حبسني الله في جلدي ان لم يكن قتله صواباً . وقال ثمامة : سلط الله علي السيوف ان لم يكن قتله صوابا . فاستجاب الله دعواتهم فاما ابن الزيات فانه لما دخل الحمام خسف به الأرض، ووقع في الأتون[2]، وهلك فيه بين الماء والنار . وأما ابن أبي دواد فأصابه الفالج فبقي في جلده حبوسا الى أن مات ، وأما ثمامة فرآه بنو خزاعة بمكة . وقالوا هذا الذي سعى في دم عالمنا أحمد بن نصر ، ثم أحاطوا به وتبادروه بالسيوف فقتلوه . ثم أخرجوا جيفته من الحرم حتى اكلته السباع . هذه كانت عاقبته في الدنيا وسيناله شؤم بدعته في الآخرة كما يستحقه .

١٣ ـ الفرقة الثالثة عشرة :

الجاحظية :

منهم الجاحظية وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ[3] فقد اغتر أصحابه بحسن بيانه في تصانيفه ، ولو عرفوا ضلالته ، وما احدثه في الدين من بدعه وجهالاته لكانوا يستغفرون عن مدحه ، ويستنكفون عن الانتساب الى مثله .

فمن جهالاته المعروفة قوله : ان المعارف كلها طباع ، وان كل من عرف شيئاً فانما يعرفه بطبعه لا بان يتعلمه ولا بان يخلق الله تعالى له علما به .

ومن جهالاته قوله : ان العباد لا يفعلون الا الارادة فقط . لا فعل لهم سواها .

---

(١) هو أبو عبد الله : أحمد بن أبي داود ، الإيادي ، قاضي القضاة . كان فصيحاً شاعراً ، ومع ذلك كان رأساً من رؤوس الجهمية والمعتزلة . وهو الذي أفتى بقتل الامام أحمد . وقد حبسه المتوكل العباسي ، الى أن مرض بالفالج ومات سنة/ ٢٤٠ هـ . أنظر « ميزان الاعتدال » رقم ٣٧٤ . و « العبر » ١ : ٤٣١ .

(٢) الأتون بالتشديد الموقد وجمعه أتاتين . كذا في « مختار الصحاح » ص/ ٤ .

(٣) تقدمت ترجمته .

وانظر في شأن هذه الفرقة في : « الملل والنحل » ١ : ٧٥ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٥ .

ومن بدعه قوله : لا يبلغ أحد من الناس الا وهو عالم بالله تعالى . وهذا يوجب ان يكون جميع المنكرين لله تعالى عارفين به ، وهذا خلاف المعقول والشرع ، وأما قوله ان العبد لا يفعل الا الارادة فيوجب ان لا يكون العبد فعل صلاة ، ولا حجا . وان لا يكون قد فعل من موجبات الحدود مثل السرقة والزنا شيئاً .

وأما قوله ان المعارف ضرورية . فانه يوجب أن لا يكون ثواب ولا عقاب على أفعاله الموجودة منه ، وهذا خلاف قول المسلمين ، وانما صنف كتاب طبائع الحيوان لتمهيد هذه البدعة الشنعاء ، أراد أن يقرر في نفوس من يطالعه هذه البدعة ، ويزينها في عينه ، فيغتر بحسن ألفاظه المبتذلة فيها ، ويظن أنه انما جمعه لنشر نوع من العلم ، ولا يعلم أنه انما قصد به التمهيد لبدعته ، حتى إذا ألفه واستأنس به واعتقد مقتضاه انسلخ به عن دينه ، وقد ركب الجاحظ على قوله هذا قولاً هو شر من هذا فقال: ان الله تعالى لا يدخل احداً النار، ولكن النار بطبعها تجذب الى نفسها اهلها، ثم تمسكهم في جوفها خالداً مخلداً، وهذا يوجب ان يقال في الجنة مثل هذا. فقال: انها تجذب اهلها الى نفسها بطبعها. فيبطل به الرغبة، والرهبة، والثواب والعقاب، من الله تعالى حيث يقول: : «ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(١)

واعلم أن الكعبي عده من مشايخ المعتزلة، وافتخر بتصانيفه، وزعم أنه عربي من بني كنانة. ولو كان كما قاله لما صنف كتاباً في مفاخر القحطانية على العدنانية والكنانية وما كان يجمع فيه ما هجا به القحطانية العدنانية ، وكان لا يستجيز انشادها فان من كان ابن رشدة لا يرضى بهجاء أبيه ، ولو كان عربياً لما صنف كتابه في فضل الموالي على العرب . وأما تصانيفه فمن تعرف ما فيها ، وتأمل معانيها ، ومقاصده فيها ، علم أنه لا يشتغل بتصنيف امثالها الا من لا خلاق له ولا مروءة ، فان أعلى تصانيفه كتاب طبائع الحيوان وقد بينا مقصوده فيه ، وذلك من شر المقاصد وكيف ما كان ، وقد سرق أصوله من كتاب أرسطاطاليس ومن كتاب

---

(١) البقرة : ٢٠١ .

« المدايني» الذي صنفه في منافع أصناف الحيوان ، ولم يورد فيه شيئا من كيسه ولا من ذات نفسه الا أبياتا ضمها اليها قالتها العرب في معانيها ، زين بها حشو كتابه ، وأودعه مناظرة الكلب والديك ؛ والكلب والهرة ، والكلب والذئب ، وما أشبه ذلك . والعاقل لا يضيع وقته بمثله ، فان شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت .

ومن كتبه كتاب « حيل اللصوص » يعلم اللصوص فيه الحيل التي يتوصلون بها الى الفساد يمدحهم بالشطارة ، ويزعم أنها من مروءتهم ويمدحهم باختيارهم الغلمان على النسوان ، وبأنهم يلعبون بالنرد والشطرنج ، ويحثهم على القمار . ويزعم أنه من المروءة ومن الآداب المرضية ، ومن عد الدعارة والشطارة من المروءة وزينها وحث عليها فقد خالف الشريعة والمروءة ، لأن المسلمين أطبقوا على أن من كانت هذه طريقته كان مذموما في الشريعة والمروءة .

ومن كتبه ما صنفه في غش الصناعات أفسد بذلك على المفسدين أموالهم وحث بذلك الناس على الغش والخيانة . ومن كتبه كتاب « الفتيا » طعن فيه على الصحابة كما يليق بديانته .

ومن كتبه ما صنفه في وصف الكلاب ، والقحاب ، والمغنين ، وحيل الماكرين ، ولا يفتخر بمثل هذه الكتب الا من كان مثله لا خلاق له في دين ولا مروءة ، وكان مع هذه البدع الفاحشة الوحشة كريه المنظر حتى قال في وصفه الشاعر :

لـو يُمْسَخُ الخنزيرُ مَسْخاً ثانياً ... ما كَانَ إلاَّ دُونَ قُبْحِ الجاحِظِ
شخص ينوب عن الجحيم بنفسِهِ ... وهو القَذَى في كُلِّ طرفٍ لاحِظِ

١٤ ـ الفرقة الرابعة عشرة :

الشحامية :

الشحامية أتباع أبي يعقوب[1] بن الشحام استاذ الجبائي في ضلالة القدرية

---

(١) هو أبو يعقوب : يوسف بن عبد الله بن اسحاق ، الشحام ، من أصحاب ابي الهذيل .
وانظر في شأن هذه الفرقة في : « الفرق بين الفرق ، ص/١٧٨ .

وجوز هو والعلاف مقدوراً بين قادرين كما قاله أهل السنة ، ولكنهم جوزوا انفراد كل واحد منهما بخلقه بخلاف أهل السنة وخلاف قول أهل القدر .

١٥ ـ الفرقة الخامسة عشرة :

الخياطية :

منهم الخياطية أتباع أبي الحسين الخياط[1] أستاذ الكعبي في ضلالته ، فقد أفرط في قوله في صفة المعدوم حتى زاد فيه على جميع القدرية ، فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلا راكباً جملا وبيده سيف مسلط عليه يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع ، حتى انه يتلقنها خوفا منه ، ويفصح عنها وينشرها توقيا من صولته ، وقد تبرأ منه صاحبه الكعبي بسبب هذه البدعة واستفظعها منه ، وقال : وان القدرية وان قالوا في المعدوم أنه شيء وجوهر ، وعرض ، وسواد ، وبياض ، فإنهم لا يقولون انه جسم ، وانه قابل للأعراض ، وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ، ويفضي به الى نفي الصانع ، وقد ضلله الكعبي بهذه المسألة وبانكاره أخبار الآحاد . وقوله لا يحتج به في احكام الشريعة . وكفى الكعبي فخراً ان يكون له مثل هذا الاستاذ الذي هو عنده ضال مبتدع ، وذلك ذل له في الدنيا ، وله في الآخرة عذاب عظيم .

١٦ ـ الفرقة السادسة عشرة :

الكعبية :

منهم الكعبية اتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بأبي القاسم الكعبي[2] . وكان يدعي في كل علم ، ولم يكن خلص الى خلاصة شيء من

---

(١) هو أبو الحسين : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان ، الخياط ، من رجال الطبقة الثامنة وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٦ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٧٩ .

(٢) تقدمت ترجمة الكعبي في أوائل الكتاب .
وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٧٦ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ١٨١ .

العلوم ، بل كان متحليا بطرف من كل شيء كان يدعى فيه شيئا من العلوم . وخالف قدرية البصرة في أشياء :

منها : قوله بأن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره .

ومنها : قوله ان الله لا يسمع ، وكان يزعم أن معنى وصفه بانه سميع ، بصير عالم بالمسموع وبالمرئي .

ومنها : أنه كان يزعم ان الله تعالى لا ارادة له ، وان علمه يغني عن ارادته . لأن معلومه كان لا محالة قصده أو لم يقصده ، وهذا القول منه يوجب نفي القدرة وكونه قادراً ، اذ كان تقوله في نفس الارادة على أن معلومه كائن لا محالة . وأيضا فان الشاهد يقضي بخلاف مذهبه . وذلك أن القادر منا قد يقدر على شيء باستطاعة عرفية ولا يكون مقدوره واقعا حتى يقصد فعله ويريده .

ومنها : انه كان يقول بايجاب الأصلح للعبد على الله تعالى . والايجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئا .

١٧ ـ الفرقة السابعة عشرة :

الجبائية :

الجبائية اتباع أبي علي الجبائي[1] وهو الذي أغوى أهل خوزستان ، وله من البدع الفاحشة ما لا يحصى .

منها : أن شيخ أهل السنة أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى سأله يوما عن حقيقة الطاعة فقال : هي موافقة الارادة . فقال له : هذا يوجب أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده اذا أعطاه مراده ؟ فقال نعم يكون مطيعا ؟ وخالف الاجماع باطلاق هذا اللفظ . لأن المسلمين أجمعوا قبله على أن من قال ان الباري سبحانه مطيع لعبده كان

---

(١) هو أبو علي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان الجبائي ـ نسبة الى جبى بضم الجيم وتشديد الباء ، وهي بلد من اعمال خوزستان في طرف من البصرة والأحواز . توفي سنة/ ٣٠٣ هـ . أنظر العبر ٢ : ١٢٥ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٤١ .

موصوفا بالكفر في عقده ، ولو جاز ان يقال انه لعبده مطيع لجاز أن يقال أنه لعبده خاضع وخاشع .

ومنها : أنه كان يقول ان أسماء الباري تعالى يجوز أن تؤخذ قياسا ، ويجوز أن يشتق له من أفعاله اسماً لم يرد به السمع ولم يأذن فيه الشرع ، حتى قيل له يجوز أن يسمى محبل النساء ؟ قال : نعم . وهذه بدعة شنيعة فضيحة .

ومنها انه كان يقول : ان العرض الواحد يجوز ان يكون في محال كثيرة . وذلك انه كان يقول : ان الكلام يكتب في محل فيكون عرضاً موجوداً فيه ، ثم يكتب في محل ثان فيصير ايضاً موجوداً فيه ، من غير ان ينتقل من المحل الاول او يعدم فيه .

ومنها انه كان يقول : ان الله تعالى ليس بقادر على ان يفنى شيئاً من اجسام العالم بانفراده ، ولكنه ان شاء افنى العالم بفناء يخلقه لا في محل فيفنى به جميع العالم . وهذا القول منه يوجب تخصيص قدرة الباري ببعض المقدورات وفيه التنبيه على صحة التثنية ويجوز كون الفناء لا في محل فناء للقديم تخصيصاً لما وجد ، لا في محل بما وجد ، لا في محل كما خصوا الارادة الحادثة ، لا في محل بالقديم سبحانه لأنه لا في محل .

١٨ ـ الفرقة الثامنة عشرة :

البهشمية[١] :

منهم البهشمية اتباع ابي هاشم[٢] بن الجبائي . واكثر المعتزلة اليوم على مذهبه لان ابن عباد[٣] كان يدعو الى مذهبه ، ويسمى اصحابه الذمية . لتجويزه كون

(١) انظر في شان هذه الفرقة في «الفرق بين الفرق» ص / ١٨٤ ، و«الملل والنحل» ١ : ٧٨ .

(٢) هو ابو هاشم : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي السابق ذكره مات ببغداد في شهر شعبان من سنة / ٣٢١ هـ . انظر «العبر» ٢ : ١٨٧ .

(٣) هو ابو القاسم : اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني ، الملقب بالصاحب . قال عنه ابن خلكان : نادرة الدهر كان مولده لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة / ٣٢٦ في إصطخر وتوفي في =

العبد مستحقاً للعقاب لا على فعل فعله ، وهذا يوجب ان المرء يكون عاصياً لا على معصية فعلها ، ويوجب ان يكون مطيعاً لا على طاعة فعلها ، وكافراً لا لكفر كفره .

وكان ابو هاشم هذا يقول : ان من تاب عن ذنب مع اصراره على ذنب آخر لا تصح توبته عما تاب حتى ان يهودياً تاب عن كفره ولكنه منع حبة مثلاً عن مستحق لم تصح توبته عن اليهودية وهذا يوجب ان يؤخذ منه الجزية بعد ما اسلم، وان لا تحل ذبيحته، ولا مناكحته اذا أسلم عن مجوسيته مع هذه الحالة. فهذا خلاف اجماع الأمة.

وكان يقول : ان التوبة عن الذنب بعد عجز المذنب عن الذنب لا تقبل . حتى لو كذب ثم قطع لسانه قبل ان يتوب او زنى ، ثم قطع فرجه قبل ان يتوب لم تصح توبته . وهذا يوجب ان يكون الظالم الذي ظلمه بقطع لسانه منع ربه عن قبول توبته . وكان ابو هاشم هذا مع افراطه في القول بالوعيد افسق اهل زمانه حتى قال في صفته شاعر من المرجئة :

يَعِيبُ القَولَ بالإرجَاء حتى | يَرَى بعضَ الرَّجَاءَ من الجَرائر
واعظم من ذَوِي الإرجاء جُرْماً | وعيديٌّ أصرَّ على الكبائر

وكان من جهالته قوله بالاحوال حتى كان يقول : ان العالم له حال يفارق به من ليس بعالم ، وللقادر حال به يفارق حال العالم ثم كان يقول : ان الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة وان العالم يعلم على حالة ولا يعلم حال العالم ولا حال القادر ، ولا يمكن الفرق بين حال العالم وبين حال القادر . اذ لا يعلم حال واحد منهما ، ومن لا يعلم من نفسه ما يقول كيف يقدر ان يعلمه غيره . واقتدى في ذلك بقول الباطنية حيث قالوا : ان الصانع لا معدوم ولا موجود ، و ما من ثابت الا وهو في الحقيقة موجود ، اذ لا واسطة بين العدم والوجود ، ولو ثبت

=ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة / ٣٨٥ هـ بالري ، ثم نقل الى اصبهان انظر «ابن خلكان» رقم / ٩٣ ، و «يتيمة الدهر» ٣ : ١٩٢ .

بينهما واسطة لجاز ان يخرج الشيء من العدم الى الثبوت . ثم من الثبوت الى الوجود كما جاز أن يخرج من القيام الى القعود ، ثم من القعود الى الاضطجاع اذ كان القعود واسطة بين الطرفين .

ومن ضلالاته قوله : ان الطهارة ليست بواجبة وكان يقول تجوز الطهارة بماء مغصوب ، ولا تجوز الصلاة في ارض مغصوبة ، وكان يفرق بينهما بأن الطهارة غير واجبة والصلاة واجبة . وهذا القول منه خلاف اجماع الأمة . ثم كان يستدل على ان الطهارة ليست بواجبة لجواز ان يطهر غيره وهو صحيح ثم كان يرتب على هذا فيقول : ان الوقوف بعرفة ، والسعي ، والطواف ، ليست بواجبة لان مشى دابته في جميع ذلك ينوب عن مشيه . ويلزم على هذا أن يقول ان الزكوات والكفارات كلها ليست بواجبة لجواز ادائها بالوكلاء والنائبين . وهذا القول كفر منه خالف فيه جميع الأمة . كان مع ارتكابه هذه البدع يكفر المعتزلة . ويتبرأ منهم ، حتى كان يكفر اباه وتبرأ منه ، ولم يأخذ ميراثه بعد موته لتكفيره اياه وتبريه منه . وكان سائر المعتزلة يكفرونه أيضاً . وحالهم في هذا المعنى كما وصفه الله تعالى من حال الكفار حيث قال : «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب »[1] .

ومما يكشف عن افتضاحهم في مذاهبهم وتبريء بعضهم من بعض ما حكاه اصحاب المقالات من ان سبعة من رؤوس القدرية اجتمعوا في مجلس واحد وتناظروا في ان الله تعالى هل يقدر على ظلم وكذب يختص به ، فافترقوا من هذا المجلس وكل منهم كان يكفر الباقين . وذلك لان النظام سئل في ذلك المجلس عنه فقال : انه ليس بقادر على ذلك اذ لو قدر عليه لم يأمن ان يقع منه ظلم أو كذب فيما مضى او يقع ذلك في المستقبل ، او وقع او يقع ذلك في طرف من اطراف الارض : فقال له علي الاسواري : ينبغي على هذه العلة ان لا يقدر على خلاف المعلوم . والمخبر عنه فقال : هو لازم فما تقول انت ؟ فقال الاسواري انا اقول انه لا يقدر على الظلم

(١) البقرة : ١٦٦ .

والكذب ولا يقدر على خلاف المعلوم فقال له النظام : هذا الذي تقول كفر و الحاد ، ثم قال له ابو الهذيل ما تقول في فرعون ، وفي كل من علم الله انه لا يؤمن ، او اخبر عنه انه لا يؤمن ان قلت انه لم يكن مقدوراً لهم ان يؤمنوا لزمك تكليف ما لا يطاق وانت لا تقول به ، وان قلت انه كان مقدوراً لهم كان محالاً لأنه يؤدي الى ان يكون العبد قادراً على تجهيله وتكذيبه ، تعالى الله عن قولهم ، فقالوا له هذا الجواب لازم فيا تقول انت ؟ فقال : انا اقول انه قادر على ان يظلم ويكذب، وقادر ايضاً على خلاف المعلوم . فقال له : ارأيتك لو ظلم وكذب ، فقال . انه محال منه . فقالوا له : ما كان محالاً لا يكون مقدوراً . فتحير هؤلاء الثلاثة ولم يدروا كيف سبيل الجواب فقال بشر بن المعتمر كل ما انتم عليه فهو تخليط . فقالوا له فايش تقول انت ؟ هل يقدر على ان يعذب طفلاً ليس له ذنب ؟ فقال : يقدر فقالوا : فلو عذبه كيف حكمه . قال : يكون الطفل عاقلاً ، بالغا ، عاصيا ، مستحقاً للعقاب ، ويكون الباري عادلاً بتعذيبه . فقالوا له كيف يكون الطفل بالغاً ، وكيف يكون من فعل الظلم عادلاً به ؟ فتحير . فقال له المردارمنهم اخذتم على استاذي بشر شيئاً منكراً مستفيضاً ولكن يجوز ان يغلط الاستاذ . فقال له بشر فيا تقول انت ؟ قال اقول : انه قادر على الظلم والكذب . ولو وجد ذلك منه كان إلهاً ظالماً كاذباً . فقالوا له : ومن كان بهذه الصفة هل يكون مستحقاً للشكر والعبادة ، او يكون مذموماً ؟ فقال لا يكون مستحقاً للشكر والعبادة . فقالوا : ومن لا يكون مستحقاً للشكر والعبادة لا يكون إلهاً . فتحير . فقال زعيم من زعمائهم يقال له الاشج : انا اقول انه قادر على ان يظلم ويكذب ، ولكنه ان ظلم وكذب كان عادلاً صادقاً . فقال الاسكافي كيف ينقلب الظلم عدلاً ؟ والكذب صدقا ؟ فتحير . فقال له ما تقول انت ؟ فقال : انا اقول ان ظلم او كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه ، فقال جعفر بن حرب كأنه يقول انه قادر على ظلم المجانين . ولا يقدر على ظلم العقلاء ، فتحيروا وصاروا كلهم منقطعين متحيرين .وكان كل واحد يعتقد ان اقوال الباقين كلها كفر .

فلما انتهت زعامتهم الى الجبائي ، وابنه ابي هاشم قالا جميعاً هذه مسألة لا

يمكن ان يجاب عنها . ورضيا بالجهل فيما يرجع الى وصف الاعتقاد ، ولو وافقهم التوفيق لتمسكوا بمذهب اهل الحق . وتركوا التردد من باطل الى باطل ولم يتمردوا فيه كما تمردوا في مسألة العالم ، كانوا لا يزالون يترددون من باطل الى باطل حتى انتهوا الى القول باحوال مجهولة ، واعترفوا بأنهم يعرفون بما لا يعرفون ، وينتحلون مالا يعقلون ، وكما تمردوا على باطلهم في مسألة الرؤية حتى انتهى بهم الكلام الى ان قالوا : انه لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يرى نفسه ، ولا غيره ، كما حكيناه عن الكعبي ، وكما تمردوا في مسئلة خلق الافعال . حتى وصل بهم الى ان قالوا بخالقين كثيرين زائدين على الف الف ، وزادوا في ذلك المجوس ، والثنوية من وجهين :

ـ احدهما : ان المجوس ، والثنوية قالوا : بخالقين اثنين . وهم بخالقين لا يحصرون .

ـ والثاني : ان الثنوية والمجوس لم ينفوا كون الباري سبحانه خالقا . وهؤلاء الذين قالوا ان العبد يسمى خالقا ، والباري سبحانه لا يجوز ان يسمى خالقا . خالفوا به اجماع هذه الأمة ، وكما تمردوا في مسألة القرآن حتى ادى بهم القول الى ان قالوا : انه يخلق كلاما في محل فيكون متكلما بما خلقه في ذلك المحل ، فلزمهم بذلك ان لا يكون هو آمراً ولا ناهياً . وان يكون الأمر والنهي لذلك المحل ، وان لا يكون الله تعالى على عبده شرع ولا تكليف .

وكما تمردوا في مسئلة التعديل والتجوير انه واجب عليه ان يخلق بعض مقدوراته ، وحرام عليه ان يفعل بعضها . فرتبوا عليه شريعة في الواجب والمحظور اعظم مما رتبه على عبيده لانهم زعموا انه لو خالف في شيء مما وجب عليه او هو محظور عليه خرج من الحكمة وسقط به عن منزلة الآلهية والعبد وان خالف في شيء مما شرع له لم يسقط عن منزلة العبودية ، وان توجه عليه نوع من العقوبة ولو انهم بدل ما تلبسوا به من العنت والتمرد راجعوا مذهب اهل الحق سلموا عن هذه البدع .

غير ان التوفيق اعز من ان يناله اهل الشقاق والعصبية ، وفضائحهم افظع واكثر من ان يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب ، وقد جمعنا في تفصيلها كتباً تشتمل على

معظمها وعاداتهم التنقل في اباطليهم ، وتكفير بعضهم لبعض في اقاويلهم .

واعلم ان جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة ومذاهبهم الفظيعة لا يخفى على العاقل فسادها اذا صرف الهمة الى تأملها . ومن افظع ما ينتحلونه نسبتهم التقدير الى انفسهم لا الى صانعهم ، وقد ورد في ذمهم اخبار كثيرة عن النبي ﷺ انه قال : «لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً»[1] . وفي رواية «القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبيا »[2] . وقال وهب بن منبه : انزل الله تعالى على رسله كتباً كثيرة اكثر من نيف وتسعين كتاباً ، فقرأت منها ثمانين كتاباً فوجدت في جميعها ان كل من جعل الى نفسه امراً او شيئاً من المشيئة فهو كافر بالله تعالى . وروى ان النبي ﷺ قال : القدرية مجوس هذه الأمة »[3] . وانما شبههم بالمجوس لان المجوس ينسبون بعض التقدير الى يزدان[4] وبعضه الى اهرمن[5] وهو اسم الشيطان . فاثبتوا تقديراً في مقابلة تقدير الباري جل جلاله . وقالوا بجواز حصول احد التقديرين دون الآخر . فكذلك القدرية اثبتوا تقديرين . احدهما للرب تبارك وتعالى . والآخر للعبد ، وجعلوا احد التقديرين في مقابلة الآخر ، وجوزوا حصول احد التقديرين دون الآخر ، وزعموا ان تقدير الرب يصير ممنوعاً منه تقدير العبد . ثم زادوا على المجوس وذلك ان المجوس جعلوا في مقابلة تقديره تقديراً واحداً ، وهم جعلوا في مقابلة تقديره تقدير جميع الحيوانات من الآدمي ، وغير الآدمي حتى البقة ، والبعوضة ، والنملة ، والنحلة ، والسمكة ، والدودة ، وقالوا : تقدير الدودة يحصل ، وتقدير القديم سبحانه لا يحصل . فان الدودة تمنعه بتقدير نفسها عن تقديره . وقد ورد الرد

---

(١) اخرجه الطبراني في «الاوسط» وفي سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزي متروك الحديث وكذبه غير واحد .

(٢) اخرجه الطبراني في «الكبير» بسند فيه بقية .

(٣) حديث ذم القدرية مشهور ، رواه ثمانية من الصحابة عُمر وعبد الله بن عمر ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عباس ، وجابر ، وابو هريرة ، وسهل بن سعد ، وانس بن مالك .
وخرجه عنهم ستة عشر نفساً باكثر من عشرين طريقاً . فرواه من حديث ابن عمر احمد ، وابو داود ، والحاكم ، والطبراني ، والبيهقي ، والبخاري في التاريخ واللالكائي . انظر «الدليل » للعبدري ص/ ١٠٩ .

(٤) وهو على زعم المجوس خالق الخير .

(٥) وهو على زعم المجوس خالق الشر .

عليهم في كتاب الله سبحانه باصرح ما يكون حيث قال : « انا كل شيء خلقناه بقدر »[1] ومن عرف معنى هذه الآية وما ورد في معانيها من السلف علم في الحقيقة ان القدرى من يجعل لنفسه شيئاً من القدر ، وينفيه عن ربه . تعالى الله عن قولهم . وتحقق له انه ليس بقدرى من اثبت القدرة لله ونفاها عن نفسه كما بينه الله تعالى في هذه الآية ، وتقرر عنده ان من قال بالتسليم الكلي وفوض الأمر الى الرب القوي فهو من اهل السنة والجماعة ، فمن اعتقد ان شيئاً من افعاله لا يكون ظلماً ، ولا باطلاً ، وانه لا اعتراض عليه في شيء مما يأتيه او يذره ولا يقول كما يقول القدرية ان له ان يفعل كذا ، وليس له ان يفعل كذا ، وبنى عقائده على قوله تعالى : «لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »[2] لم يكن قدرياً وكان من المقاتلة والخصومة برياً ، واي تسليم وبراءة من الخصومة اكبر من قول اهل السنة : ان كل ما جرى على العبد من المعاصي فهو خلق من الله تعالى ، وهو عدل منه سبحانه ومعصية من العبد ، وكل ما جرى من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى ، وهو من الله فضل فهما من العبد طاعة ومعصية ، ومن الرب فضل وعدل .

وقد بين رسول الله ﷺ في خبر جبريل عليه السلام اصل الكلام في القدر فقال في جواب جبريل عليه السلام: «الايمان ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله »[3]. فبين ان القدر كله من الله ، وان لا قدر للعبد في شيء الاشياء ، وكان سبب نزول قوله : «انا كل شيء خلقناه بقدر»[4] . ان مشركي قريش جاؤوا الى النبي ﷺ وكانوا يخاصمونه في القدر، فأنزل الله تعالى هذه الآية : «ان المجرمين في ضلال وسعر» الى آخر السورة[5] . وقال

---

(١) القمر : ٤٩ .
(٢) الانبياء : ٢٣ .
(٣) اخرجه مسلم بدون لفظ «حلوه ومره من الله»في صحيحه في الايمان :باب وصف جبريل للنبي ﷺ والايمان . والترمذي بنحوه في الايمان مع تقديم وتأخير. وابو داود ٢ : ٢٧١ : في السنة : باب في القدر ، والنسائي : في الايمان : باب نعت الاسلام.
(٤) القمر : ٤٩ .
(٥) القمر : ٤٧ .

قوم من المفسرين : ان وفد بني نجران وردوا على رسول الله ﷺ فقالوا اما الآجال والأرزاق فبتقدير الله تعالى ، واما اعمال العباد فليست بتقدير الله تعالى فانزل الله تعالى «ان المجرمين في ضلال وسعر» الى آخر السورة .

وروى عن عمرو بن زرارة انه قال : سمعت ابي يقول . كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقرأ «ان المجرمين في ضلال وسعر الى آخر السورة » . ثم قال . «انما نزل هذا في ناس يكونون في آخر امتي يكذبون بالقدر»[1] وقيل لابن عباس ان قوماً يتكلمون في القدر فقال : نزل فيهم قوله تعالى :«ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر» ان مرضوا لا تعودوهم ، وان ماتوا لا تصلوا على جنائزهم ، ولو أرى واحداً منهم لقلعت بهاتين الاصبعين عينيه . ولما نزل قوله تعالى : «انا كل شيء خلقناه بقدر» قيل لرسول الله ﷺ ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[2] قال على بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ان الله قدر التقادير ، ودبر التدابير ، قبل ان خلق آدم عليه السلام بالفي عام » [3] ولم يرد بها تخصيص هذه الأمة ، ولكنه اراد ان يقدر في نفوس السامعين ان التقادير كانت سابقة في المعلوم قبل خلق آدم عليه السلام . وروى ابو هريرة ان النبي ﷺ قال : «الايمان بالقدر يذهب الغم »[4] .

وقال ابن عباس لما كثرت القدرية بالبصرة خربت البصرة ، او لفظ هذا معناه . وروى عن جماعة السلف الصالح انهم قالوا : اذا اسلم عليك القدري

---

(١) اخرجه الطبراني في الكبير . وقال الهيثمي في سنده من لا اعرفه . وانظر الجامع لاحكام القرآن ١٧ : ١٤٧ .
اخرجه البيهقي في الاعتقاد ص / ١٣٥ . واخرجه مسلم : في القدر : باب كل شيء خلقناه بقدر ، والترمذي في التفسير : باب ومن سورة القمر.

(٢) الحديث اخرجه البخاري في تفسير سورة «والليل اذا يغشى» وفي الجنائز : باب موعظة المحدث عند القبر وقعود اصحابه حوله . وفي الادب : باب الرجل ينكث الشيء بيده في الأرض ومسلم : في القدر : باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وابو داود : في السنة: باب في القدر.

(٣) اخرجه مسلم بنحوه بلفظ : «قدر الله المقادير قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة » رواه في صحيحه : في القدر : باب حجاج آدم موسى عليهما السلام ، والترمذي في القدر ايضاً.

(٤) اخرجه الخطيب والديلمي .

فاجب كما تجيب اليهود وقل وعليك . وقد بين الله تعالى الرد عليهم باشفى بيان في قوله : «ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد»[1]. فبين ان الأمور كلها بمشيئة الله تعالى وارادته . وقد اورد ابو القاسم بن حبيب[2] في تفسيره باسناده . ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سأله سائل عن القدر ؟ فقال : طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر ؟ فقال : بحر عميق لا تخض فيه ، فقال ياامير المؤمنين اخبرني عن القدر ؟ فقال : سر خفي لله لا تفشه ، فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر ؟ فقال علي رضي الله عنه يا سائل ان الله تعالى خلقك كما شاء او كما شئت ؟ فقال كما شاء . قال : ان الله تعالى يبعثك يوم القيامة كما شئت او كما يشاء ؟ فقال : كما يشاء ، فقال يا سائل لك مشيئة مع الله او فوق مشيئته او دون مشيئته ، فان قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وان قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وان قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته ثم قال : الست تسأل الله العافية ؟ فقال نعم . فقال فعن ماذا تسأله العافية ؟ أمن بلاء هو ابتلاك به ، او من بلاء غيره ابتلاك به . قال من بلاء ابتلاني به ، فقال : الست تقول «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» ؟ قال بلى . قال تعرف تفسيرها ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين علمني مما علمك الله فقال تفسيره : ان العبد لا قدرة له على طاعة الله ، ولا على معصيته الا بالله عز وجل . يا سائل ان الله يسقم ويداوي ، منه الداء ، ومنه الدواء . اعقل عن الله . فقال السائل عقلت . فقال له الا صرت مسلماً قوموا الى اخيكم المسلم وخذوا بيده . ثم قال علي : لو وجدت رجلاً من اهل القدر لا خذت بعنقه ولا أزال اضربه حتى اكسر عنقه فانهم يهود هذه الأمة .

وقد قال الشافعي رحمه الله[3] في هذا المعنى الذي اليه أشار أمير المؤمنين :

مـا شِئْـتَ كَانَ وإنْ لم أشا وَمَـا شِئْـتُ إنْ لَمْ تَشَـأْ لم يكُنْ

(١) البقرة : ٢٥٣ .
(٢) هو الحسن بن محمد النيسابوري اشهر مفسري خراسان توفي سنة ٤٠٦ هـ . وهو من شيوخ البيهقي .
(٣) الأبيات في « مناقب الشافعي » ٢ : ١٠٩ ، وتاريخ دمشق ١٠/ ١٩١ . وطبقات الشافعية ١ : ٢٩٥ .

خَلَقْــتَ العِبَــادَ على ما عَلِمْتَ ففــي العلــم يجـري الفتــى والمُسِنّ
على ذا مَنَنْــتَ وهــذا خَذَلْتَ وهــذا أعنْــتَ وذا لَمْ تُعِنْ
فمنهـــم شقــيٌ ومنهـــم سعيد ومنهـــم قبيح ومنهـــم حسن

فقوله ففي العلم يجري الفتى والمسن رد على المعتزلة في جميع ما يوردونه من الشبه في التعديل والتجوير لأنهم وان خالفوا في الارادة لم يمكنهم الخلاف في العلم لاطباق الامم على استحالة الخلاف في المعلوم .

وقد ورد في الأخبار ان الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام ان يذهب الى فرعون فقال : كيف أذهب وأنت تعلم أنه لا يؤمن . فقال : افعل ما تؤمر فان في السماء اثني عشر ملكا يريدون أن يدركوا علم القدر ولم يدركوه . وإنما قاله على معنى أنهم كانوا يطلبون علم قوله ولا يدركون علم فعله ، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد .

وروي عن ابن عباس أنه قال :قال رسول الله ﷺ : « ينادي يوم القيامة مناد أين خصماء الله فيقوم القدرية ووجوههم سود واعينهم زرق وأفواههم عوج يسيل منها اللعاب وهم يقولون تالله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ، ولا نتخذ دونك إلها[1] » فقال ابن عباس صدقوا بالله فيما قالوا . ولكن أتاهـم الشرك من حيث لا يعلمون . ثم تلا ابن عباس قوله تعالى : «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون»[2] ثم قال ثلاث مرات انهم القدرية . واعلم ان الذين ذكرناهم من فرقهم يعدون في فرق الاسلام وبقي منهم فريقان آخران لا يعدون من فرق الاسلام . نذكرهم فيما بعد من الفرق الذين لا يعدون في فرق الاسلام ان شاء الله تعالى .

---

(١) أخرجه الطبراني الى قوله : « فيقوم القدرية » وفي سنده محمد بن الفضل بن عطية المروزي ، وله رواية أخرى في سندها بقية مدلس .

(٢) المجادلة : ١٨ .

الباب السادس

في تفصيل مقالات المرجئة وبيان فضائحهم[1]

وجملة المرجئة ثلاث فرق يقولون بالارجاء في الايمان . غير أن فريقا منهم وافقوا القدرية في القول بالقدر . مثل غيلان الدمشقي ، وأبي شمر المرجىء ، ومحمد بن شبيب البصري . وهؤلاء داخلون في قول النبي ﷺ : « ان القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً » فيستحقون اللعن من وجهين . من جهة القول بالارجاء ، ومن جهة القول بالقدر . ووافق فريق منهم الجهمية في القول بالجبر . فجمعوا بين دعوى الجبر والارجاء . وانفرد فريق منهم بالارجاء المحض لا يقولون بالجبر ولا بالقدر . واعلم أن الارجاء في اللغة هو التأخير وانما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل من الايمان على معنى أنهم يقولون « لا تضر المعصية مع الايمان ، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر » وقولهم بالارجاء خلاف قول المسلمين قبلهم وهؤلاء افترقوا خمس فرق .

١ ـ الفرقة الأولى :

اليونسية[2] :

اليونسية وهم أتباع يونس بن عون وكان يقول : ان الايمان في القلب وفي

---

(١) أنظر في شأن هذا الفريق : « الملل والنحل » ١ : ١٣٩ ، و« المقالات » ١ : ١٩٧ ، و« الفرق بين الفرق » ص/٢٠٢ .

(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤٠ ، و« المقالات » ١ : ١٩٨ ، و« الفرق بين الفرق » ص/٢٠٢ .

اللسان ، وحقيقته المعرفة بالله سبحانه والمحبة له ، والخضوع له ، والتصديق لرسله وكتبه . قال :ومعرفتها في الجملة ايمان فكأن كل خصلة من خصال الايمان ليس بإيمان ولا بعض إيمان وجملتها ايمان .

٢ ـ الفرقة الثانية :

الغسانية [١] :

منهم الغسانية وهم أتباع غسان المرجيء الذي كان يقول الايمان اقرار بالله ومحبة لله تعالى وتعظيم له ، وهو يقبل الزيادة ولا يقبل النقصان . على خلاف ما قاله ابوحنيفة رحمه الله حيث قال : لا يزيد ولا ينقص . وكان يقول : كل خصلة من خصال الايمان بعض الايمان بخلاف ما حكيناه عن اليونسية .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

التومنية [٢] :

منهم التومنية أصحاب أبي معاذ التومني الذي كان يقول : الايمان ما وقاك عن الكفر ، وان الايمان اسم يقع على خصال كثيرة كل من ترك خصلة منها كفر ، والخصلة الواحدة منها لا تسمى ايماناً ولا بعض ايمان ، وكان يقول : لو ترك فريضة مما تعد في الايمان عنده يقال فيه فسق ولا يقال انه فاسق ، وكان يقول : ان الفاسق على الاطلاق من ترك جميع خصال الايمان وانكرها كلها .

٤ ـ الفرقة الرابعة :

الثوبانية [٣] :

منهم الثوبانية أصحاب أبي ثوبان المرجيء الذي كان يقول : الايمان اقرار

---

(١) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤١ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٣ .

(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ١٤٤ ، و« المقالات » ١ : ٢٠٤ ـ ٣٢٦ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٣ . والتومني : بضم التاء وفتح الميم . أنظر « معجم البلدان » ٢ : ٤٣٢ .

(٣) أنظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات » ١ : ١٩٩ ، و« الملل والنحل » ١ : ١٤٢ و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٤ .

ومعرفة بالله وبرسله وبكل شيء يقدر وجوده في العقل . فزاد هذا القائل القول بالواجبات العقلية بخلاف الفرق الباقية .

٥ ـ الفرقة الخامسة :

المريسية :

منهم المريسية أصحاب بشر المريسي[1] ومرجئة بغداد من أتباعه . وكان يتكلم بالفقه على مذهب أبي يوسف القاضي ، ولكنه خالفه بقوله ان القرآن مخلوق ، وكان مهجوراً من الفريقين وهو الذي ناظر الشافعي رضي الله عنه في أيامه . هذه فرق المرجئة المحضة الذين يتبرؤون عن القول بالجبر والقدر .

(١) هو بشر بن غياث المريسي ، قال البويطي : سمعت الشافعي يقول : ناظرت المريسي في القرعة ، فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين ، فقال : هذا قمار ، فأتيت أبا البختري القاضي فحكيت له ذلك فقال : يا أبا عبد الله ، شاهد آخر واصلبه . ومات بشر في سنة/ ٢١٨ هـ وهو من أبناء السبعين . أنظر « ميزان الاعتدال » رقم/ ١٢١٤ ، و « ابن خلكان » رقم/ ١١٢ ، وتاريخ بغداد ، ٧ : ٥٦ .

الباب السابع

في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم

وهم أتباع الحسين بن محمد النجار[1] وهؤلاء يوافقون أهل السنة في بعض أصولهم مثل خلق الأفعال ، والاستطاعة ، والارادة ، وأبواب الوعيد ، ويوافقون القدرية في بعض الأصول . مثل نفي الرؤية ، ونفي الحياة ، والقدرة ، ويقولون بحدوث الكلام ، والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل . ومما أطبق عليه النجارية قولهم ان الايمان هو المعرفة بالله وبرسله وبالفرائض التي أجمع عليها المسلمون ، والخضوع لله والاقرار بجميع ذلك باللسان . وقالوا : ان كل خصلة من خصال الايمان تكون طاعة ولا تكون ايماناً ، وان الايمان يزيد ولا ينقص ، ويقولون : ان حقيقة الجسم أعراض مجتمعة كاللون ، والطعم ، والرائحة ، وما لا يخلو عنه الجسم من جملة الأعراض . ويقولون : ان هذه الأعراض اذا اجتمعت كانت جسماً ، وربما قالوا كانت جواهر ، وهذا متناقض لأن الجسم أو الجوهر لا يكون الا قائماً بنفسه ، والعرض لا يكون قائماً بنفسه . ويقولون : ان كلام الله إذا قرىء فهو عرض ، واذا كتب فهو جسم . قالوا : ولو كتب بالدم على موضع صار ذلك الدم كلام الله تعالى . واختلف أصحاب النجار في

---

(1) هو أبو عبد الله : الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، كان حائكا في طراز العباس بن محمد الهاشمي ، وسبب موته أن تناظر يوماً مع النظام فأفحمه النظام ، فقام محموماً ومات عقب ذلك . وقد ذكر ابن النديم هذه المناظرة انظر « الفهرست » ص/ ٢٦٨ .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات ١ : ٣١٥ . و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٧ .

العبارة عن قولهم بخلق القرآن بعد اتفاقهم على أنه مخلوق ، وفي غيره اختلافا كثيراً فأشهرهم ثلاث فرق .

١ ـ الفرقة الأولى :

منهم البرغوثية[1] اتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان على مذهب الحسين النجار إلا انه خالفه في قوله : ان المكتسب لا يكون فاعلاً على الحقيقة وكان يقول : ان الافعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه لكنه بإيجاب الطبع والخلقة ، وكان يخالف به النجار اذ كان النجار يوافق اهل السنة في قوله ان الأفعال المتوالدة فعل الله تعالى لا بإيجاب الطبع والخلقة .

٢ ـ الفرقة الثانية :

منهم الزعفرانية[2] أتباع الزعفراني الذي كان بالري ، وكان يعبر عن مذهبهم بعبارات متناقضة فكان يقول : كلام الله تعالى غيره ، وإن كل ما هو غيره فهو مخلوق . ثم كان يقول الكلب خير ممن يقول ان كلام الله مخلوق . ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام في عقله لا في دينه .

٣ ـ الفرقة الثالثة :

منهم المستدركة[3] وهم قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم . ثم افترقوا فرقتين فقالت فرقة منهم أن النبي ﷺ قال : كلام الله تعالى مخلوق . وقالوا : قاله على هذا الترتيب بهذه الحروف . قالوا : وكل من لم يقل أن النبي ﷺ قال هذا فهو كافر .

وقالت الفرق الأخرى : ان النبي ﷺ لم يقل أن كلام الله تعالى مخلوق ، ولم

---

(١) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٨ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٩ .
(٢) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٠٩ .
(٣) أنظر في شأن هذه الفرقة : « الملل والنحل » ١ : ٨٩ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢١٠ .

يتكلم بهذه الكلمة على هذا الترتيب ، ولكنه يعتقد أن كلام الله تعالى مخلوق ، وتكلم بكلمات تدل على أن القرآن مخلوق .

ومن المستدركة أقوام يقولون : ان أقوال مخالفيهم كلها كذب ، وكان واحد من أهل السنة يباطن واحداً منهم فقال له السني : أنت رجل عاقل ابن حلال لرشدة . فقال له صاحبه : أنت كاذب في هذا القول ـ فقال له السني : أنت صادق في وصفك قولي هذا بانه كذب فانقطع خصمه .

الباب الثامن

في تفصيل مقالات الضرارية وبيان فضائحهم

وهم أتباع ضرار بن عمرو[1] وهو موافق لأهل السنة في القول بخلق الأفعال وفي نفي التولد وهو موافق لأهل القدر في قولهم ان الاستطاعة قبل الفعل لكنه زاد عليهم بأن قال: يجب أن يكون مع الفعل أيضاً، وفارقهم أيضا بقولهم: ان الاستطاعة بعض من المطيع، ووافق النجار في قوله ان الجسم أعراض مجتمعة، وزاد على الجميع بان قال: ان الله يرى بحاسة سادسة خلاف الحواس الخمس التي هي مستعملة للخلق فيا بينهم، وكان يقول: ان لله تعالى ماهية يرى هو في تلك الماهية وكان ينكر قراءة ابن مسعود[2] وقراءة أبي بن كعب[3] وكان يقول: أشهد أن الله تعالى ما أنزل ذلك على الخلق، وكان يضلل هذين الامامين من أعلام الصحابة في مصحفيهما، وكان يقول لا أدري أن عوام المسلمين كفار أو مسلمون، وكان لا يحكم بظاهر حالهم، وكان يقول لعل سرائرهم كلها شرك وكفر. وهذا خلاف اجماع

---

(١) ظهر ضرار بن عمرو في أيام واصل بن عطاء، وقد وضع بشر بن المعتمر كتاباً في الرد على ضرار سماه «التحريش». أنظر «ميزان الاعتدال» ٢: ٣٢٨ ترجمة رقم: ٣٩٥٣. وأنظر في شان هذه الفرقة: «المقالات» ١: ٣١٣، و«الملل والنحل» ١: ٩٠، و«الفرق بين الفرق» ص/٢١٣.

(٢) هو صاحب رسول الله وأحد السابقين الأولين، وأحد كبار البدريين، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أم عبد، الهذلي. له قراءات وفتاوى ينفرد بها، وهي مذكورة في كتب العلم. انظر «تذكرة الحفاظ» رقم/٥، و«مشاهير علماء الأمصار» رقم/٢١.

(٣) هو أبو المنذر: أبي بن كعب بن قيس، الأنصاري، الخزرجي، البخاري كان من أقرأ الصحابة وسيد القراء شهد بدراً والمشاهد كلها. توفي سنة/ ١٩ هـ وقيل سنة: ٢٢ هـ. انظر «تذكرة الحفاظ» رقم/ ٦، و«مشاهير علماء الأمصار» رقم/ ٣١.

أهل السنة حيث قالوا : انا نقطع ان في عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك .

وكان يقول : ان الله تعالى يسمى حيا ، عالما ، قادراً على معنى أنه ليس بميت ، ولا جاهل ، ولا عاجز ، لا على معنى ان له صفة ترجع الى ذاته . وهذا الكلام منه يوجب ان يكون العرض حيا ، عالما ، قادراً ، لأنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز .

الباب التاسع

في تفصيل مقالات الجهمية وبيان فضائحهم

وهم أتباع جهم بن صفوان[1] وكان من مذهبه ان لا اختيار لشيء من الحيوانات في شيء مما يجري عليهم فانهم كلهم مضطرون لا استطاعة لهم بحال ، وان كل من نسب فعلا الى أحد غير الله فسبيله سبيل المجاز ، وهو بمنزلة قول القائل سقط الجدار ، ودارت الرحى ، وجرى الماء ، وانخسفت الشمس ، وهذا القول خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم لأن كل من رجع الى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا اختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه الى نفسه . كما ان كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتعش ، وحركة المختار ، يجد العاقل في نفسه فرقاً بينهما . ومن أنكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء . وكل ما ورد في القرآن من قوله يعملون ، ويعقلون ، ويكسبون ، ويصنعون حجة عليهم . وكذلك قوله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة»[2] ولو لم يكن للعبد اختيار كان الخطاب معه محالا ، والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجمادات فقد رد الله تعالى على الجبرية والقدرية في آية واحدة حيث قال: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»[3] ومعناه

---

(١) هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي ، قال عنه الذهبي في « تذكرة الحفاظ » رقم/ ١٥٨٤ : « الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين » .

وانظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق »ص/ ٢١١ ، و« الملل والنحل » ١ : ٨٦ .

(٢) المدثر : ٣٨ .

(٣) الأنفال : ١٧ .

وما رميت من حيث الخلق إذ رميت من حيث الكسب ، ولكن الله رمى من حيث الخلق والكسب . خلقه خلقا لنفسه كسباً لعبده فهو مخلوق لله تعالى من وجهين .

ومن ضلالات جهم قوله : ان الجنة والنار يفنيان كما يفنى سائر الأشياء .
ومن ضلالاته قوله : أن علم الله تعالى حادث ، وانه لا يعلم ما يكون حتى يكون .

وكان يقول : ان الله تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد فلا يجوز أن يقال في حقه انه حي أو عالم ، أو مريد ، أو موجود ، لأن هذه صفات تطلق على العبيد . وقال : إنما يقال في وصفه انه قادر ، موجد ، فاعل ، خالق ، محيي ، ومميت ، لأن هذه الصفات لا تطلق على العبيد .

وكان يقول : كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلما بكلامه . ومع هذه البدع التي حكيناها عنه كان يعاني الخروج ، وتعاطي السلاح ، وكان يحمل السلاح ، ويخرج على السلطان ، وينصب القتال معه ورافق سريج بن الحارث[1] في وقايعه ، وخرج على نصر بن سيار[2] حتى قتله سلم بن أحوز المازني في آخر أيام المروانية . وأكثر اتباعه اليوم بنواحي ترمذ ، وأهل السنة يكفرونهم لقولهم بأن علم الله حادث ، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون ، وان كلامه حادث وأهل القدر أيضا يكفرون لقولهم بخلق الأفعال .

---

(١) عبارة الطبري التي سقناها قبل هذه : أنه سماه الحارث بن سريج لا سريج بن الحارث .
(٢) تقدمت ترجمة نصر بن سيار .

الباب العاشر

في تفصيل مقالات البكرية وبيان فضائحهم

وهم أتباع رجل اسمه بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد[1] وكان في أيام النظام وكان يوافقه في قوله : ان الانسان هو الروح لا هذا القالب الذي تكون الروح فيه ؛ وكان يقول في التولد بقول أهل السنة ، وكان ينفرد بضلالات تكفره بها الكافة .

منها قوله : ان الله تعالى يرى يوم القيامة في صورة يخلقها يكون فيها ، ويكلم العباد من تلك الصورة .

ومنها انه كان يقول : من وجد منه كبيرة من أهل القبلة فهو منافق ، وعابد الشيطان ، وإن كان من أهل القبلة ، ويكون في الدرك الأسفل من النار مع المنافقين خالداً مخلداً . ومع هذا كان يقول : انه مؤمن مسلم .

وكان يقول : في علي وطلحة والزبير انهم اذنبوا ذنوباً كفروا بذلك وصاروا مشركين ، ولكن الله يغفر لهم لأن النبي ﷺ قال : ان الله تعالى اطلع على أهل بدر وقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وكان يقول : مقالا لا يقبله عقل العاقل

---

(١) سماه « صاحب الميزان » بكر بن زياد الباهلي ، وذكر عن ابن حبان انه قال عنه : « دجال يضع الحديث عن ابن المبارك » انظر « ميزان الاعتدال » ١ : ٣٤٥ . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « المقالات » ١ : ٣١٧ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢١٢ .

وذلك انه كان يقول : ان الصبيان في المهد لايجدون ألما حتى لو حرقوا ، وقطعوا ، وقرضوا بالمقراض وهم يكون ، ويضجون ، ويصيحون ولا ينالهم من ذلك الم بحال . وكان مع هذه البدع يتكلم في الفقه ويقول : بتحريم الثوم ، والبصل .

وكان يقول : متى ما تحرك ريح في الجوف وجب به الطهارة ، ومن كان هذا حاله في انتحال مثل هذه البدع لم يعد خلافه خلافاً في الشريعة ونسأل الله سبحانه وتعالى العصمة من مثل هذه الأقوال الفظيعة .

الباب الحادي عشر

في تفصيل مقالات الكرامية وبيان فضائحهم

وجملة الكرامية ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائقية ، واسحاقية .

ويعد جميعهم فريقاً واحداً اذ لا يكفر بعضهم بعضا ، وزعيمهم محمد بن كرام[1] كان من سجستان فنفى عنها فوقع في غرجستان فاغتر بظاهر عبادته اهل شومين ، وافشين ، وانخدعوا بنفاقه وبايعوه على خرافاته وخرج معه قوم الى نيسابور في ايام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فاغتر بما كان يريه من زهده جماعة من اهل السواد فدعاهم الى بدعه ، وافشى فيهم ضلالاته ، واتبع بها قوم من اتباعه ، وتمردوا على نصرة جهالاته وما احدثه من البدع في الاسلام اكثر من ان يمكن جمعه في هذا المختصر . ولكننا نذكر من كل نوع شيئاً يتنبه به العاقل عن فساد ما كان ينتحله .

منها : انه كان يسمي معبوده جسما، وكان يقول: له حد واحد من الجانب الذي ينتهي الى العرش ولا نهاية له من الجوانب الأخر. كما قالت الثنوية في معبودهم انه نور متناه من الجانب الذي يلي الظلام، فأما من الجوانب الخمس الأخر فلا يتناهى. وقد ذكر في كتاب

---

(١) هو ابو عبد الله : محمد بن كرام السجستاني ، الزاهد ، شيخ الطائفة الكرامية . انظر «العبر» ١ : ١٠ . واختلفوا في ضبط كرام ، والاكثرون على انه بفتح الكاف وتشديد الراء («اللباب» ٣ : ٣٢ ، و «لسان الميزان» ٥ : ٣٥٣).

وانظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٠٨ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢١٥.

عـذاب القبـر ان معبـوده احدي الذات ، أحـدي الجوهر ، واطلـق عليه اسم الجوهر كما اطلقه النصارى . واتباعـه يتبـرأون من اطـلاق اسـم الجوهـر ، ويطلقون عليه اسم الجسم . كامتناع المعروف بشيطان الطاق من الـروافض من اطلاق اسم الجسم عليه ، ثم قوله على انه صورة انسان . فكان ما فروا اليه شراً مما فروا عنه . ومما ذكر في ذلك الكتاب قوله انه تعالى مماس للعرش والعرش مكان له . ولما نظر اتباعه اليه فروا مما فيه من الشنعة فقالوا : لا نقول انه مماس للعرش ، ولكنا نقول انه ملاق للعرش . وليت شعري اي تفرقة بينهما لولا غباوة الخلق وغفلتهم عن التحقيق . وسأل بعض اتباع الكرامية في مجلس محمود بن سبكتكين ـ سلطان زمانه رحمه الله[1] ـ إمام زمانه ابا اسحاق الاسفرايني رحمه الله عن هذه المسئلة فقال : هل يجوز ان يقال الله سبحانه وتعالى على العرش ، وان العرش مكان له ؟ فقال : لا . وأخرج يديه ووضع احدى كفيه على الأخرى وقال : كون الشيء على الشيء يكون هكذا . ثم لا يخلوا ان يكون مثله او يكون اكبر منه او اصغـر منـه . فلا بد من مخصص خصه ، وكل مخصوص يتناهى ، والمتناهى لا يكون إلهـاً ، لانـه يقتضي مخصصاً ومنتهى وذلك علم الحدوث فلم يمكنهم ان يجيبوا عنه فاغروا به رعاعهـم حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه . فلما دخل عليه وزيره ابو العباس الاسفرايني قال له محمود (كـجابودي ؟ اين هم شهرى توخداي كراميان رابسرايشان به زد) .

ولما ورد عليهم هذا الالزام تحيروا فقال قوم منهم :انه اكبر من العرش وقال قوم انه مثل العرش . وارتكب ابن المهاجر منهم قوله ان عرضـه عرض العـرش . وهـذه الأقوال كلها متضمنة لاثبات النهاية وذلك علم الحدوث لا يجوز ان يوصف به صانع العالم .

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على اطلاقه قبلهم واحد من الامم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم : بأن معبودهم محل الحوادث[2] تحدث في ذاته اقواله ؛

---

(١) هو احد الملوك الغزنوية وهو فاتح الهند ، توفي سنة / ٤٢١ هـ .

(٢) وقد اخذ ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة في صراحة . ومذهبه على اللف والدوران . وقد ذكر في كتاب «الفرقان» =

وارادته ، وادراكه ، للمسموعات والمبصرات ، وسموا ذلك سمعاً ، وتبصراً ، وكذلك قالوا : تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش . زعموا ان هذه اعراض تحدث في ذاته . تعالى الله عن قولهم . قالوا : ان هذه الحوادث هي الخلق ، والقدرة ، تتعلق بهذه الحوادث ، والمخلوق يقع تحت الخلق لا تتعلق به القدرة ، فالخلق عندهم هو القدرة على التخليق ، وهو قوله لما يريد أن يخلقه كن جوهراً ، وهذا يوجب ان يحدث في ذاته كاف ، ونون ، وجيم ، وواو ، وهاء ، وراء ، والف ، وسمع ، وارادة . قالوا : واذا اراد اعدام شيء يقول له افن فيصير الشيء فانيا . والافناء والاعدام يكونان في ذاته لا يفنيان ، وهذا يوجب ان يكون الشيء موجوداً معنى لوجود الاعدام ، والايجاد في ذاته على زعمهم ، وان قالوا انهما يغنيان عن ذاته حكموا بتعاقب الحوادث وهو اول ما يستدل به على حدوث الأجسام . كيف وقولهم يوجب ان الحوادث في ذاته سبحانه اضعاف الحوادث في العالم . فاذا دلت حوادث العالم على حدوثه فما هو أضعاف تلك الحوادث اولى ان يدل على حدوث محلها ولم يجد هؤلاء في الامم من يكون لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس فرتبوا مذهبهم على قولهم . وذلك ان المجوس قالوا : تفكر « يزدان » في نفسه انه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه في مملكته ، فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة فخلق منها الشيطان . فلما سمعت الكرامية هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته سبحانه . تعالى الله عن قولهم . فلزمهم ان يجوزوا حلول الالم واللذة ، والشهوة ، والموت ، والعجز ، والمرض عليه فان من كان محلا للحوادث لم يستحل عليه هذه الحوادث كالاجسام .

ومما احدثوه من البدع قولهم : ان كل اسم يشتق له من افعاله كان ذلك الاسم ثابتاً له في الازل . مثل الخالق ، والرازق ، والمنعم . وقالوا : انه كان خالقاً قبل ان خلق ، ورازقاً قبل ان رزق ، ومنعماً قبل ان انعم . فقيل لهم اذا لم يكن خلق

= ص ٢١ فقال : وثم طائفة كثيرة تقول إنه تعالى تقوم به الحوادث وتزول وأنه تعالى كلم موسى عليه الصلاة والسلام بصوت وذلك الصوت عدم ، وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم » اهـ .

فبماذا يكون خالقاً ، فقالوا : خالق بخالقية ، ورازق برازقية ثم طردوا ـ سخنت عيونهم ـ فقالوا : عليم بعالمية ، قادر بقادرية ، لا بعلم ، ولا بقدرة ، وان كان له علم وقدرة . فلحقوا بالمعتزلة في قولهم انه عليم قادر لا بقدرة ، وزادوا عليهم قولهم ان له علماً ، ثم امتنعوا ان يقولوا انه في الازل خالق بخلقه او لخلقه قالوا . اذا لم يكن خلق لا يمكن ان يقال انه خالق بخلقه . وهذا يوجب عليهم ان لا يمكنهم القول بأنه خالق في الازل اذلا خالق بلا خلق . كما لا يمكنه القول بأنه خالق لخلقه اذلا خالق بلا خلق ، كما لا خالق للخلق الا بخلق .

وقولهم بالخالقية والعالمية احداث لفظ لم يتكلم به عربي ، ولا عجمي ، ولا تعجب منهم ان يحدثوا مثل هذه العبارة ، وقد تكلم زعيمهم في كتاب القبر مما هو اعجب منه فقال : باب كيفوفية الله . فلا يدري العاقل مم يتعجب من لفظه الذي اطلقه ، او من حسن معرفته بمواضع العربية . وليت شعري كيف اطلق الكيفية عليه ، ولعله اراد ان يخترع من نفسه عبارة لم يسبق اليها تليق بعقله فانه قد قال في هذا الكتاب لما اراد ان يعبر عن مكان معبوده فقال : له حيثوثية يختص بها واراد ان يتكلم على خالقيه فقال : اذا قال لك الشكاك باحوقيتهم . وهذا الكتاب الملقب بعذاب القبر اصل مذهبهم ، وحكمه في الوصف والمعنى كما ذكرت لك . ولما اغتر بهم بعض أغمار الولاة نفق لهم سوق تطاولوا به على الرعايا ، فلحق بهم اقوام مسهم شيء من الفضل في باب الأدب فاستحيوا من اظهار كتاب الملقب بعذاب القبر ، فوضعوا كتاباً آخر سموه بهذا الاسم ونسبوه اليه وهم يظهرونه وأخفوا اصله الذي صنفه .

واعلم ان من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام . وقولهم ان كلام الله قديم ، وقوله حادث وليس بمحدث ، وله حروف واصوات ، وانما هو قدرته على التكليم والتكلم . واي عاقل يسوغ تفسير الكلام بالقدرة . وقالوا : كلامه ليس بمسموع ، وقوله مسموع . ومن سوء اختيارهم لحوقهم بالمعتزلة في القول بالواجبات العقلية قبل ورود الشرع ، وفي القول بايجاب اشياء وحظر اشياء على الله تعالى ، وترتيبهم عليه شريعة كما رتبها عليهم . ومن كانت هذه مقالته لم يكن في

نفسه الانقياد للعبودية ، وانما يطلب درجة المساواة معه . ونعوذ بالله من قول يؤدي الى ذلك .

ومن بدعهم في باب النبوة والرسالة قولهم : ان النبوة والرسالة عرضان حالان في الرسول والنبي والنبوة ليست هي المعجزة ، ولا الوحي ، ولا العصمة . ويزعمون ان من حصل فيه ذلك المعنى وجب على الله تعالى ان يرسله الى الخلق رسولاً بذلك المعنى ، فاذا ارسله يكون مرسلاً ولم يكن قبله مرسلاً ولهذا المعنى يقولون : ان النبيﷺ في القبر رسول وليس بمرسل ، والذي عليه أهل السنة انه في القبر رسول ومرسل على معنى ان الله تعالى ارسله وانه أدى رسالته ، وهذا الاسم مستحق له وان كان قد فرغ من ذلك الفعل كما ان المؤمن في قبره مؤمن على معنى ان هذا الاسم مستحق له فيما تقدم من فعله . وكذلك في العرف والعادة يطلق اسم ما فعله الانسان من قبيح وان كان قد فرغ من فعله . كما يسمى حاجاً ، وغازياً، او سارقاً ، او زانياً ، وان كان قد فرغ من فعله . وكذلك اسم الحرف كالخياط، والنجار ، والصفار وان كان فارغاً من فعله ، ولا عاقل يستجيز ان يقول ان المسمى بالرسول مشتغل بادآء رسالته في قبره ، كما ان المسمى لهذه الاسماء التي عددناها لا يكون مشتغلاً بفعله الذي سمي به ولكنه يكون مستحقاً لوصفه بما سبق منه من فعله . واعلم بان هذا الذي قالوه في وصف الرسول من ان هذا المعنى فيه عندهم عرض خلق فيه قبل ان اوحى اليه ليس بكسب ولا له فيه كسب ، وما لا يتعلق بكسبه لا يكون له عليه أجر بحال كخلقه وخلقه ولونه وكونه .

ومن بدعهم في باب الإمامة ان علياً ومعاوية كانا امامين محقين في وقت واحد ، وكان واجباً على أتباع كل واحد منهما طاعة اميره . ولو كان كما قالوا لوجب ان يكون كل واحد منهما ظالماً في مقاتلة صاحبه . لان من زاحم إماماً عادلاً محقاً كان مبطلاً ظالماً .

ومن بدعهم في باب الايمان قولهم : ان الإيمان قول مجرد لا هذا القول الذي يقوله القائل الآن انه لا إله إلا الله . ولكن هذا القول الذي صدر عن ذرية آدم في

بعث الميثاق حين قال الله تعالى : « وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى»[1] ويقولون : ان ذلك القول قول باق ابداً لا يزول حكمه الا ان يرتد عنه فحينئذ يزول حكمه . وقالوا : ان الزنديق او المنافق اذا قال بلسانه لا إله إلا الله وفي قلبه النفاق والزندقة فهو مؤمن حقاً ، وإيمانه كايمان الانبياء والمرسلين . وقالوا : ان المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ كان إيمانهم كايمان جبريل ، ومكائيل ، وجميع الانبياء والاولياء .

ومن خرافاتهم في باب الفقه قولهم : ان الصلاة جائزة في ارض نجسة ، وفي مكان نجس ، وفي ثياب نجسة ، وانها جائزة وان كان بدنه نجساً وزعموا ان الطهارة من النجاسة ليست بواجبة ، ولكن الطهارة من الحدث واجبة ، وزعموا ان غسل الميت ليس بواجب ، ان الصلاة عليه ليست بواجبة ولكن تكفينه ودفنه واجب وزعموا ان الصلاة المفروضة والحج المفروض لا يحتاجان الى النية ويكفي فيهما النية السابقة في الذر الاول وكذلك في جميع الفرائض ، ولكن النوافل تجب فيها النية لانهم لم يقبلوها في الذر الاول . وليتهم علموا انهم من اين يقولون هذا ، ومن اين علموا انه قد عرضت عليهم الفرائض بتفاصيلها وقبولها فان كانوا يبنون هذا على ما في القرآن ، وليس في القرآن اكثر من عرض كلمة الايمان عليهم .

ومن حماقاتهم مع ما حكيناه من جهالاتهم في الفروع ، والاصول ، ان زعيماً من زعمائهم كان يريد تفصيل الكلام على الفقه ، وكان يقول ان علم الشافعي ، وأبي حنيفة جملته لا تخرج من سراويل امرأة ، ومن تكلم على سبيل التحقير على علم الشريعة ، وقصد الازراء بائمة الدين ، وتكلم فيهم وفي علم الشريعة بمثل هذا الكلام كان بعيداً من ان يكون له حظ من الديانة ، وكان من متأخريهم رجل يقال له ابراهيم بن مهاجر وكان يقول : ان الاسم عرض في المسمى قائم به . وكان مع ذلك يقول : ان الله تعالى جسم . وكان يقول : ان قول القائل الله ، الرحمن ، الرحيم ، الخالق ، الرازق كلها اعراض في المسمى . وكان يجري ذلك في اسماء الناس . وكان

---

(١) الاعراف : ١٧٢ .

يقول : ان الزاني ليس بجسم بل هو عرض في جسم ، وان الحد يكون حداً على الجسم لا على الزاني . وهكذا كان يقول في السارق وغيره من الاسماء . وهذا يوجب ان يكون معبوده عرضاً لاذات الباري جل جلاله ومن أراد ان يجمع كتاباً يحصر فيه فضائحهم طال عليه الامر وتعذر عليه الحصر . فنسأل الله التوفيق والعصمة من كل الحاد وبدعة .

الباب الثاني عشر

في تفصيل مقالات المشبهة وبيان فضائحهم

وجملة المشبهة صنفان : صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات . وصنف منهم يشبه صفاته بصفات اغياره .

واول من افرط في التشبيه من هذه الأمة السبأية[1] من الروافض الذين قالوا بآلهية علي كرم الله وجهه حتى أحرق على قوماً منهم ، فازدادوا بعده عتواً في ضلالتهم ، وقالوا : الآن علمنا على الحقيقة انه الاله . لان النبي ﷺ قال : (لا يعذب بالنار الا رب النار)[2] .

ـ ثم البيانية : اتباع بيان بن سمعان[3] الذي كان يقول ان معبوده نور صورته صورة انسان ، وله اعضاء كاعضاء الانسان ، وان جميع اعضائه تفنى إلا الوجه .

ـ ثم المغيرية : اتباع مغيرة بن سعيد العجلي[4] الذي كان يقول : ان للمعبود اعضاء واعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

---

(١) هم اتباع عبد الله بن سبأ ، رأس الفتنة وموقدها : وهو الذي قال لعلي : أنت الاله حقاً ، فنفاه علي الى المدائن :- انظر «التعريفات » ص / ٧٩ .

(٢) وفي لفظ ابي داود ٢ : ٢١٩ : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن ارتد . بلفظ : «لا تعذبوا بعذاب الله » رواه احمد في مسنده ١ : ٢١٧ باللفظ السابق .

(٣) سبقت ترجمة بيان بن سمعان .

(٤) سبقت هذه الفرقة ، والحديث عن المغيرة صاحبها .

ـ ثم المنصورية : اتباع ابي منصور العجلي [1] الذي كان يقول : انه صعد الى السماء الى معبوده وان معبوده مسح على رأسه وقال يا بني بلغ عني .

ـ ثم الخطابية [2] : الذين كانوا يقولون : بالهية الأئمة . وكانوا يقولون : ان ابا الخطاب الاسدي إله .

ـ ثم الحلولية [3] الذي كانوا يقولون : ان الله تعالى يحل في صورة الحسان . ومتى ما رأوا صورة حسنة سجدوا لها .

ـ ومن جملة المشبهة المقنعية : وهم مبيضة [4] ما وراء النهر يدعون إلهية المقنع .

ـ ومن جملتهم الهشامية : اتباع هشام بن الحكم الرافضي [5] الذي كان يقيس معبوده على الناس ، وكان يزعم ان معبوده سبعة اشبار بشبر نفسه ، وأنه يتلألأ كما تتلألأ النقرة البيضاء من كل جانب .

ـ ومن جملتهم الهشامية وهم اتباع هشام بن سالم الجواليقي الذي كان يزعم : ان معبوده على صورة انسان ، ولكن نصفه الاسفل مصمت ، ونصفه الاعلى مجوف . وله شعر اسود على رأسه ، وان قلبه منبع الحكمة نبع الماء من العيون .

ـ ومن جملتهم اليونسية : اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي الذي كان يقول : حملة عرش الرحمن يحملونه وان كان هو اقوى منهم ، كما ان رجل الكركي تحمل بدنه وان كان بدنه اقوى من رجله .

وكان داود الجواربي [7] من جملة المشبهة يثبت لمعبوده جميع اعضاء الانسان . وكان يقول : أعفوني عن الفرج واللحية . والكرامية من جملة المشبهة لقولهم بانه

(١ ـ ٤) سيأتي الحديث عن هذه الفرق قريباً.

(٥) قد سبق ذكر الهشامية في عداد الامامية .

(٦) قد تقدم ذكر اليونسية في عداد الإمامية .

(٧) ذكره السمعاني في «الانساب» عند الكلام على الهشامي ، وقد ذكر الاشعري في «المقالات» ١ : ٢٥٨ ، والتميمي في «الفرق بين الفرق» ص / ٢٢٨ .

جسم وله حد ونهاية ، وانه محل الحوادث ، وانه مماس للعرش ملاق له . فهؤلاء كلهم مشبهة ذاته بالذوات . واما مشبهة الصفات فهم المعتزلة البصرية الذين اثبتوا ارادة حادثة كارادات الانسان . قالوا انها من جنس ارادتهم ، وشبهوا كلامه بكلام الخلق وقالوا : انه عرض حال في جسم . وكذلك الكرامية شبهوا في الصفات فقالوا : ان ارادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وارادتهم .

والزرارية من الروافض : اتباع زرارة بن اعين زعموا ان حياته، وعلمه ، وقدرته ، وسمعه وبصره ، كحياة الخلق ، وعلمهم ، وقدرتهم ، وسمعهم ، وبصرهم . وزعموا انها كلها حادثة مثل صفات الاجسام .

والشيطانية من الروافض :زعموا انّ الله تعالى لا يعلم الشيء قبل ان يكون حتى يكون ، وان علمه محدث كعلوم العباد . ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم، ولم يبق له في ذلك شبهة فاستغنى بذكرها عن اقامة الحجة عليها.

الباب الثالث عشر
في بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون في زمرة المسلمين ولا يكونون من جملة الإثنين والسبعين وهم أكثر من عشرين فرقة

١ - الفرقة الاولى :

منهم السبأية[1] اتباع عبد الله بن سبأ وقد ذكرنا من مقالتهم طرفاً ونزيدها شرحاً وبياناً ، وذلك انه كان ذلك انه كان من غلاة الروافض وكان يقول : في اول امره ان عليا كان نبيا . ثم زاد على ذلك فقال : كان إلها . وكان يقول . هو الاله في الحقيقة ، وكان يدعو الخلق الى مقالته فاجابته جماعة اليها في وقت على كرم الله وجهه . فلما رفع خبره الى علي امر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما حتى قال الشاعر في معناه :

لِتَرْمِ الحوادثُ بي حيث شاءَتْ　　اذَا لَمْ تَرْمِ بي في الحُفْرَتَيْنِ

ولما احرقهم علي رضي الله عنه نفى عبد الله بن سبأ الى ساباط المداين . فلما قتل علي قال عبد الله بن سبأ . ان علياً حي لم يقتل ، ولم يمت ، وانما الذي قتل شيطان تصور بصورته وتوهمت الناس انه قتل كما توهم اليهود والنصارى ان المسيح قتل . قال : وهذا التوهم منهم خطأ وهذا القول منهم كذب بل هو في السماء ، وعن قريب ينزل وينتقم من اعدائه . وقال بعضهم : انه في الغيم والرعد صوته والبرق سوطه ، واذا سمعوا سوط الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين . وقال

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٧٤ ، و «المقالات» ١ : ٨٥ . و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٣ .

اسحاق بن سويد العدوي في صفتهم :

برئْتُ من الخوارجِ لَسْتُ منهم ... من الغزّالِ منهم وابنِ بابِ
ومن قومٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيّا ... يَرُدُّون السَّلاَمَ عَلَى السَّحَابِ
ولكني احِبُّ بِكُلِّ قَلْبي ... واعْلَمُ أنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولَ الله والصِّدِّيقَ حُبّا ... به أَرْجُو غَداً حُسْنَ الثَّوَابِ

ووافق ابن السوداء عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي في مقالته هذه ، وكانا يدعوان الخلق الى ضلالتهما ويقولان اذا نزل من السماء تفتح له عينان في مسجد الكوفة احداهما من العسل ، والأخرى من السمن ، وشيعته يأكلون منهما .

واعلم ان ابن السوداء كان رجلاً يهودياً، وكان قد تستر بالاسلام اراد ان يفسد الدين على المسلمين، فتعلق بهؤلاء ووافقهم فيما كانوا فيه لهذا الغرض الفاسد ، والعجب من هؤلاء يلعنون ابن ملجم ، ويزعمون ان الذي قتله ابن ملجم كان شيطاناً، ومن قتل شيطانا كان محموداً ، فكيف يلعنونه مع هذه العقيدة .

٢ ـ الفرقة الثانية :

منهم البيانية[1] اتباع بن سمعان التميمي الذي كان يقول بامامة محمد بن الحنفية وقد ذكرناهم قبل . غير ان كثيراً من اتباعه يقولون انه كان نبيا . وانه نسخ بعض شريعة محمدﷺ . وقالوا : هو المراد بقوله «هذا بيان للناس»[2]. وقوم من اتباعه قالوا انه كان الها وقالوا : انه روح الاله قد حل فيه ، وانه يحل في الانبياء والأئمة ، وينتقل من واحد الى واحد آخر ، وقالوا : ان روح الاله قد انتقل عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية الى بيان . وكان يدعي لنفسه الالهية على معنى الحلول ، وكان يدعي انه يعرف اسم الله الاعظم ، وانه يدعو به الزهرة فتجيبه ، ولما وصل خبره الى خالد بن عبد الله القسري صلبه وكفى الله شره .

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٥٢ ، و «المقالات» ١ : ٦٦ و «الكامل» لابن الأثير ٥ : ٨٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٦ .

(٢) آل عمران : ١٣٨ .

٣ ـ الفرقة الثالثة :[١]

منهم المغيرية اتباع مغيرة بن سعيد العجلي . وكان في الابتداء يدعي موالاة الامامية . وكان يقول : بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي . وكان يستدل بما روى ان النبي ﷺ قال: «ان المهدي يوافق اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي»[٢] .

وكان يقول : ان هذا محمد بن عبد الله ، والنبي عليه السلام محمد بن عبد الله . فلما استقام له التقدم بين الروافض ادعى النبوة لنفسه ، وكان يدعي انه يعرف اسم الله الاعظم ، وانه يحيى به الموتى ويهزم به الجيوش . وكان يقول : ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله خرافات كثيرة كان يلبس بها على اتباعه . ولما رفع خبره الى خالد بن عبد الله القسري صلبه . وتعرف اتباعه اليوم بمحمدية الروافض لقوله بإمامة محمد بن عبد الله .

٤ ـ الفرقة الرابعة :[٣]

منهم الحربية اتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وكان على دين البيانية وكان يدعى ان روح الاله انتقل عن عبد الله بن محمد الحنفية اليه ، وكان يدعى لنفسه الالهية على معنى الحلول .

٥ ـ الفرقة الخامسة :[٤]

منهم المنصورية وهم اتباع ابي منصور العجلي وكان يدعي ان الإمامة انتقلت اليه من الباقر ، وكان يدعي انه رفع الى السماء ، وان الله مسح على رأسه ، وانزله الى

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة : «الملل والنحل» ١ : ١٧٦ ، و «المقالات» ١ : ٦٨ . و «النجوم الزاهرة» ١ : ٢٨٣ ، «وتاريخ ابن الاثير» ٥ : ٨٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٣٨ .

(٢) اخرجه ابو داود في سننه ٢ : ٢٠٧ : في اول كتاب المهدي وابن حبان انظر الموارد : ٤٦٤ باب ما جاء في المهدي .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٦٨ و ٩٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٣ .

(٤) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٣ . و «الملل والنحل» ١ : ١٧٨ .

الارض. وكان يقول. انما هو الكسف الذي في قوله تعالى : «وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم»[1] وهذه الفرقة ينكرون القيامة ، والجنة ، والنار ، ويقولون ان الجنة نعيم الدنيا ، والنار محن الدنيا وعادتهم الخنق يستحلون خنق مخالفيهم ، وبقيت فتنتهم الى ايام يوسف بن عمر الثقفي والى العراق ، فلما عرف حالهم صلب العجلي وانقطعت فتنتهم .

٦ ـ الفرقة السادسة : [2]

منهم الجناحية وهم من جملة الغلاة اتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يزعمون ان روح الاله تحل في الانبياء والأئمة ، وتنتقل من بعضهم الى بعض ، وكانوا ينكرون القيامة ؛ والجنة والنار ويستحلون الزنا ، واللواطة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة ، ولا يرون وجوب الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، ويؤولون ذلك على موالاة قوم من أهل البيت ويدعون ان عبد الله بن معاوية لم يمت ، وانه في جبل اصفهان الى ان يخرج والمشهور ان ابا مسلم صاحب دولة بني العباس بعث اليه عسكراً فصلبوه وقتلوه .

٧ ـ الفرقة السابعة : [3]

هم الخطابية اتباع ابي الخطاب الاسدي . وهم خمس فرق هم يقولون ان الإمامة كانت في اولاد علي الى ان انتهت الى محمد بن جعفر الصادق ويقولون ان الأئمة كانوا آلهة وكان ابو الخطاب يقول في ايامه ان اولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله واحباؤه ، وكان يقول ان جعفراً إله فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده ، وكان ابو الخطاب يدعي بعد ذلك الالهية .

وكان اتباعه يقولون : ان جعفراً كان إلهاً الا ان ابا الخطاب كان افضل منه ،

---

(١) الطور : ٤٤ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٦٧ . و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٥

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٥ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٧٩ و«دائرة المعارف للبستاني ١ : ٤٨٣ ، و «الخطط» ١ : ٣٥٢ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٧ .

والخطابية يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم . وخرج ابو الخطاب على والي الكوفة في ايام المنصور فبعث عسكراً اليه فاسروه وامر بصلبه في كناسة الكوفة . واتباعه كانوا يقولون : ينبغي ان يكون في كل وقت امام ناطق ، وآخر ساكت . والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب .

ويقولون : ان علياً كان في وقت النبي صامتاً ، وكان النبي ﷺ ناطقاً . ثم صار علي بعده ناطقاً . وهكذا يقولون في الأئمة الى ان انتهى الامر الى جعفر . وكان ابو الخطاب في وقته إماماً صامتاً ، وصار بعده ناطقاً، واتباع ابي الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق :

١ ـ منهم المعمرية :[١] كانوا يقولون ان الإمام بعد ابي الخطاب رجل اسمه معمر ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون ابا الخطاب . وكانوا يقولون : ان الدنيا لا تفنى . وكانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الارواح .

٢ ـ ومنهم الربيعية :[٢] اتباع ابي ربيع . وكان يقول ان جعفراً كان إلهاً ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه الناس. بل كان ما يراه الناس صورة مثاله ، وكانوا يقولون : انه لا مؤمن الا والله تعالى يوحي اليه . وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى : «وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً»[٣]، وكان يقول: معناه بوحي الله . وكان يقول : اذا جاز ان يوحي الى النحل كما ورد في قوله تعالى : «واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون»[٤]، لم لا يجوز أن يوحى الينا . وكان يقول : قد يكون فيما بينهم من هو افضل من جبريل ، ومكائيل ، ومحمد عليهم السلام . وان الواحد منهم اذا انتهى الى النهاية رفع الى الملكوت ، وهم يرون الذين رفعوا الى الملكوت غدوة وعشياً .

---

(١) انظر في شان هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٧ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٨٠ و«الفرق بين الفرق» ص /٢٤٨ .
(٢) انظر في شان هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٧ ، و«الملل والنحل» ١ : ١٨٠ و«الخطط» ٢ : ٣٥٢، و «الفرق بين الفرق» ص /٢٤٨ .
(٣) آل عمران : ١٤٥ .
(٤) النحل : ٦٨ .

٣ ـ ومنهم العمروية :[1] اتباع عمرو بن بيان العجلي . وهؤلاء كانوا يعبدون جعفراً ويرونه إلهاً . .

٤ ـ ومنهم المفضلية :[2] اتباع مفضل الصيرفي . وكان يقول بالهية جعفر ويتبرأ من أبي الخطاب .

٥ ـ ومنهم الخطابية المطلقة :[3] وكانوا يقولون انه لم يكن بعد ابي الخطاب إمام .

٨ ـ الفرقة الثامنة

الغرابية :[4]

وكانوا يقولون ان الله تعالى بعث جبريل الى علي فغلط وجاء الى محمد . قالوا : وانما غلط لانه كان يشبه محمداً . وكان اشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب من اجل هذا سموا غرابية . وهؤلاء كانوا يلعنون صاحب الريش يعنون به جبريل عليه الصلاة والسلام وقد انزل الله سبحانه في صفة اليهود حين قالوا ان جبريل عدو لنا ولم يكونوا يلعنونه قوله تعالى : «من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين »[5] وهؤلاء اولى بهذه الصفة لأنهم يلعنونه واليهود ما كانوا يلعنونه .

واعلم ان من هؤلاء الغرابية قوم يقال لهم المفوضة[6] كانوا يقولون : ان الله تعالى خلق محمداً وفوض اليه تدبير العالم . فكان هو الخالق للعالم، ثم انه فوض بعده الى علي تدبير العالم . فهؤلاء القوم شر من المجوس الذين قالوا : ان الله خلق الشيطان وفوض اليه الامر فكان الشيطان يخلق الشرور . لان هؤلاء قالوا بالتفويض

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في «المقالات» ١ : ٧٨ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨١ و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٤٩ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٧٨ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٨١ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٠ .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٠ .

(٤) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥١ .

(٥) البقرة : ٩٨ .

(٦) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥١ .

في الشر والخير ، وهؤلاء شر من النصارى حين قالوا : ان عيسى كان إلهاً ، وكان المدبر الثاني للعالم ، لان هؤلاء نقلوه من شخص الى شخص، واولئك اقتصروا على المسيح .

ومن الغرابية ايضاً قوم يقال لهم الذمية[1] كانوا يقولون ان علياً بعث محمداً حتى يدعو الخلق الى إلهيته . فجاء محمد وادعى الرسالة من إله آخر ويذمون محمداً ﷺ بهذا السبب ولهذا سموا الذمية .

٩ ـ الفرقة التاسعة :

منهم الشريعية ، والنميرية .

والشريعية[2] اتباع رجل كان يدعى شريعاً . وكان يقول : ان الله تعالى حل في خمسة اشخاص . في محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وكانوا يقولون : ان هؤلاء آلهة ولهؤلاء الخمسة خمسة اضداد .

ثم كان قوم منهم يقولون ان اضدادهم مذمومون . وقوم منهم يقولون انهم لا يذمون لان فضل هؤلاء لا يتبين الا باضدادهم وهذا الشريعى كان يدعي لنفسه الالهية .

وكان النميري[3] خليفته وكان يدعي لنفسه مثله بعده . وجملة النميرية ، والشريعية والخطابية ، وكانوا يدعون الهية جعفر الصادق ، وكانوا يقولون ان جعفراً دفع اليهم جلداً مكتوباً فيه كل علم يحتاجون اليه . وكانوا يقولون لا يقرأ ما في ذلك الجلد إلا من كان على دينهم ، وقال هارون بن سعد العجلي في صفتهم :

أَلَـمْ تَرَ إنَّ الـرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا ... وكُلُّهُـمُ في جَعْفَـرٍ قال مُنْكَرا
فطـائفـةٌ قالـوا : إلَـهٌ ، ومِنهُمُ ... طَوائفُ سَمَّتْـه النبـيَّ المُطَهَّرا
وَمِنْ عَجَبٍ لم أقضه جلـد جفرهم ... بَرِئْـتُ إلَـى الرَّحمـنِ مِمَّـن تَجَعْفَرَا

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥١ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٢ . و«المقالات» ١ : ٨٢ .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٨٤ ، و«الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٢ .

برئتُ إلى الرَّحمن من كُلّ رافِضٍ بصير بباب الكُفْر في الدِّين اعْوَرَا
ولَــو قيل إنَّ الفيلَ ضَبٌّ لَصدَّقُوا ولــو قيل زَنْجِــيٌّ تحــوَّلَ احْمَرَا
وأخْلَفَ من بَوْلِ البَعيرِ فإنّه إذَا هُوَ للإقبــال وُجِّــهَ أدْبَرَا

١٠ ـ الفرقة العاشرة :

منهم الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الاسلام ، كان غرضهم افساد التوحيد على المسلمين . فمن جملتهم ما ذكرناهم من غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الاله في الأئمة كما حكيناه عنهم من قبل . وحدث بعدهم اقوام من الحلولية ، كالمقنعية بما وراء النهر ، والرزامية ، والبركوكية ، والحلمانية ، والحلاجية ، والعذافرة .

١ ـ اما الرزامية : فانهم افرطوا في موالاة ابي مسلم[1] صاحب الدولة العباسية وقالوا : ان الإمامة انتقلت من ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عبد الله بن عباس بوصية ابي هاشم، ثم انتقلت من محمد الى ابنه ابراهيم ، ثم من ابراهيم الى عبد الله الذي كان يدعي ابا العباس السفاح ، ومنه الى ابي مسلم . وهؤلاء يعترفون بموت ابي مسلم الا فريق منهم اسمهم ابو مسلمية قالوا : ان ابا مسلم حي ، وانه روح الاله انتقلت اليه ، وهم على انتظاره ويقولون : ان الذي قتله ابو جعفر المنصور كان شيطاناً تصور بصورة ابي مسلم .

٢ ـ واما المقنعية :[2] فهم مبيضة ما وراء النهر . وكان زعيمهم رجلاً كان يعرف بالمقنع وكان رجلاً قصاراً اعور من قرية من قرى مرو . كان قد نظر في شيء من الهندسة والنيرنجات ، وكان على دين الرزامية . ثم ادعى لنفسه الالهية

---

(١) هو ابو مسلم : هو عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل : عثمان ، الخراساني ، القائم بالدعوة الى العباسيين . قتله ابو جعفر المنصور في شعبان في سنة / ١٣٧ هـ ويقال :سنة / ١٣٦هـ ويقال : في سنة / ١٤٠ هـ . انظر «وفيات الاعيان» رقم : ٣٤٥.

وانظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات» ١ : ٩٤ ، و «الملل والنحل» ١ : ١٥٣ و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٦ .

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الملل والنحل» ١ : ١٥٤ ، و «الفرق بين الفرق» ص / ٢٥٧ وانظر «العبر» ١ : ٢٣٥ في حوادث سنة / ١٦١ هـ .

واحتجب من الناس فاغتر به جماعة من أهل جبل ابلاق ودامت فتنته اربع عشرة سنة ، ووافقه جماعة من الاتراك على كفره ، وكانوا يغيرون على المسلمين ويهزمون عساكر المسلمين في ايام المهدي بن المنصور وكان المقنع احل المحرمات لاتباعه ، واسقط منهم الصلاة والصوم؛ وجملة الفرائض، وكان يقول لا تباعه : انه هو الإله وانه يظهر مرة بصورة آدم ، وكان يظهر بعده في صورة كل واحد من الانبياء . وظهر في صورة علي ، ثم في صورة اولاده ، على الترتيب الذي ذكرناه ثم في صورة أبي مسلم ، وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم بعني به نفسه .

وكان يقول انما يظهر في هذه الصورة لان عبيدة لا يطيقون ان يروه في صورته الاصلية، وان من رآه في صورته الاصلية احترق . فالح عليه قومه وقالوا : نحن نريد ان نراك في الصورة الاصلية فقال : هذا شيء سأله قوم موسى فاحترقوا ، وذلك في القرآن في قوله : «واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون»[1] فقال قوم منهم رضينا بذلك ويجوز لنا ان نراك ونحترق ، فوعدهم يوماً وأمر فوضع له منبر في مقابلة الشمس وقت الضحوة ، وعلق مرآة مقعرة من الحديد الصيني فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج بينهما بالزاوية القائمة في مقابلة الباب الذي يدخلون منه ، ثم اذن لهم بعد ارتفاع النهار ، وامر برفع الستر . فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم ، وهرب الباقون من ذلك المكان فاغتر به القوم ولم يطالبوه بعد ذلك بالرؤية . وكانوا يتابعونه بعد فيما يأمرهم به ، واتخذ حصاراً « بكش » وكان عرض جداره مائة آجرة ، وكان قد احدث قدام الجدار ثلاثة خنادق، بين كل خندقين جدار . فبعث المهدي جنداً فيهم سبعون الف مقاتل ، واتبعهم سعد بن عمرو الجرشي مع عسكر آخر ، وكانوا يقاتلون المقنع سنين . فأمر هو باصلاح سلالم من الخشب ومن الحديد وكان يصنعها على عرض تلك الخنادق ، وبعث الى مولتان حتى حمل اليه عدد كثير من جلود الجواميس ، فملأها رملا وطرحها في الخندق ليعبر عليه العسكر . فلما رأوا تلك الحال استأمن اليه ثلاثون الفاً منهم وقتل الباقون ، وكان المقنع قد اصلح تنوراً اذاب فيه السكر ،

(١) البقرة : ٥٥.

والقطران ، فلما ضاق به الامر طرح نفسه فيه حتى ذاب ولم يبق منه شيء يظهر . فلما طلبه من بقي من اتباعه لم يجدوا منه شيئاً قالوا : انه رفع الى السماء واتباعه اليوم اكثر تلك القرى ، وبجبل ابلاق لا يصلون، ولا يصومون ولهم مساجد بنوها يستأجرون من يؤذن لهم فيها يستحلون أكل الميتة ، والخنزير، والزنا، حتى ان كل واحد منهم يستحل حليلة صاحبه، ويخفون هذه الأحوال عن عوام ابلاق.

٣ ـ وأما الحلمانية : أتباع رجل يقال له أبو حلمان الدمشقي . وكان أصله من فارس ولكنه أظهر بدعته في دمشق . وكان يقول : كل شخص حسن فروح الإله حال فيه ، وقومه اذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها ، وكان يقول : ان كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي فلا تكليف عليه ، وكل ما يشتهيه فهو حلال له .

٤ ـ وأما الحلاجية : فهم ينتسبون الى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج[1] من أرض فارس من بلد يقال له بيضاء ،وكان في أول أمره يتكلم على لسان الصوفية ويتعاطى العبارات التي تسميها الصوفية الشطح ، وهو ان يتكلم بكلام يحتمل معنيين . أحدهما : مذموم . والآخر : محمود . وكان يدعي في كل علم وافتتن به أهل العراق وجماعة من أهل طالقان خراسان ، واختلف المتكلمون ، والفقهاء ، والصوفية ، في حاله . أما المتكلمون فاكثرهم على أنه من الحلولية . وكان محتالا ممخرقا واليه ذهب القاضي أبو بكر[2] وحكى في كتابه كثيراً من حيله ،

---

(١) هو ابو المغيث ، الحسين بن منصور، الحلاج . نشأ بواسط والعراق ، وصحب ابا القاسم الجنيد ، والناس في امره مختلفون ، فمنهم من يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره وفي سنة / ٣٠٩ هـ امر المقتدر العباسي بضربه الف سوط، فإن مات منها وإلا ضربت عنقه، فاخرجوه عند باب الطاق ، واجتمع خلق كثير في العامة ، وضربه الجلاد الف سوط، ثم قطع اطرافه الاربعة، ثم جز رأسه، واحرق جثته فلما صارت رماداً القاه في دجلة، ونصب الرأس ببغداد على الجسر.

وقد قال عنه الامام الرفاعي الكبير في كتابه « البرهان » : « لو كان على الحق ما قال أنا الحق » . أنظر « وفيات الأعيان » ترجمة رقم : ١٨١ ، و« العبر » : ٢ : ١٣٨ ـ ١٤٤ ، و« الطبقات الكبرى » ١ : ١٢٦ .

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، الباقلاني ، البصري ، المتكلم على مذهب الأشعري ، الذي أيد اعتقاده ، ونصر طريقه . صنف كثيرا من التصانيف . وكان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وقوة الحجة ، وسرعة الجواب . توفي في آخر يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة/٤٠٣ هـ .أنظر ابن خلكان ترجمة رقم : ٥٨٠ . و« تاريخ بغداد » ٥ : ٣٧٩ ، و« شذرات الذهب » ٣ : ١٦٨ ، و« العبر » ٣ : ٨٦ .

وجماعة من متكلمي البصرة يقال لهم السالمية وهم من جملة الحشوية يتكلمون ببدع متناقضة ، قبلوه . وقالوا : انه كان صوفيا محققاً وله كلام في معان دقيقة في حقائق الصوفية . وكذلك الفقهاء اختلفوا في حاله . سئل أبو العباس بن سريج عن حاله لما أريد قتله فتوقف فيه ، وأفتى أبو بكر بن داود بجواز قتله ، وكذلك أهل التصوف اختلفوا في حاله . فرده عمرو بن عثمان المكي[1] وأبو يعقوب الأقطع[2] وردوا من كلامه أنه قال يوما للجنيد (أنا الحق) فقال له الجنيد أنت بالحق أي خشبة تفسد فظهرت فراسته حتى صلب بعد ذلك وقبله أبو العباس بن عطاء[3] وأبو عبد الله بن خفيف[4] وأبو القاسم النصرآبادي[5] وفارس الدينوري[6] . وقالوا : أظهر الله عليه أحوالا من الكرامات وكان من حقه أن يحفظ سره فيها فعاقبه الله تعالى بتسليط من كان يرده عليه حتى بقي حاله مشكلا ملبساً قالوا : والدليل على صحة باطنه انه كان يقطع يده ورجله ويقول حسب الواحد أفراد الواحد .

وحكى عنه أنه سئل يوما عن دينه فقال : ثلاث أحرف لا عجم فيها ، ومعجومان وانقطع الكلام . قالوا أراد به التوحيد والذين قالوا بتكفيره انما قالوه لما حكوا عنه انه كان يقول : كل من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذة ،وصفا حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية حل فيه روح الإلـه كما حل في عيسى عليه السلام ، ولا يريد شيئا الا كان كما أراد ، ويكون جملة فعله قول الله تعالى . وكان

---

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان ، المكي ، شيخ الصوفية ، وصاحب التصانيف في الطريق . صحب الخراز والجنيد ، وروى عن يوسف بن عبد الأعلى وجماعة . وتوفي في سنة/ ٢٩٧هـ انظر «العبر» ١ : ١٠٧ .

(٢) هو أبو يعقوب : اسحاق بن محمد ، شيخ الصوفية ، صحب الجنيد وغيره ، وكان من كبار العارفين ، توفي في سنة/ ٣٣٠ هـ . أنظر « العبر » ١ : ٢٢١ .

(٣) هو أبو العباس : أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الأزدي ، الزاهد ، أحد مشايخ الصوفية القانتين . توفي في ذي القعدة من سنة/ ٣٠٩ هـ بالعراق . أنظر « العبر » ١ : ١٤٤ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف ، الشيرازي ، الزاهد ، شيخ إقليم فارس . توفي في ثالث رمضان سنة/ ٣٧١ هـ عن خمس وتسعين سنة .

(٥) هو أبو القاسم : ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمويه ، النيسابوري ، النصراباذي ، الزاهد ، الواعظ ، شيخ الصوفية وشيخ المحدثين أيضاً ، مات في مكة في شهر ذي الحجة من سنة/ ٣٦٧ هـ .

(٦) هو فارس بن عيسى ، الصوفي ، من أصحاب الجنيد ، توفي في حدود سنة/ ٣٤٠ هـ .

يدعي لنفسه هذه المنزلة ، ووجد له كتب كتبها الى أتباعه عنوانها « من الهو هو رب الأرباب المتصور في كل صورة الى عبده فلان » واتباعه كانوا يكتبون اليه « يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات ، نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور ، وأنك الآن متصور في صورة الحسين بن منصور ونحن نستجيرك يا علام الغيوب » ويقال : أنه اختدع جماعة من خواص المقتدر ، فخاف المقتدر فتنه فعرض حاله على الفقهاء ، واستفتى فيه الفقهاء فوافق مراده فتوى أبي بكر بن داود فأمر حتى ضرب ألف سوط ، وقطعت يداه ورجلاه ، وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . ثم امر حتى انزل من خشبته وأحرق وطرح رماده في دجلة ، وأتباعه الذين من أهل طالقان قالوا : أنه حي وان الذي قتل كان شخصا القى عليه شبهه . والله أعلم بحقيقة الأمر .

٥ ـ واما العذافرة : فهم اتباع رجل ظهر في ايام الراضي بن المقتدر[١] سنةاثنين وعشرين وثلثمائة وهو أبو العذافر محمد بن علي الشلمغاني وكان يدعي أن روح الاله قد حل فيه ، وكان يسمي نفسه روح القدس ، وكان قد وضع لأصحابه كتاباً سماه كتاب « الحاسة السادسة » وكان قد أباح لهم اللواطة في ذلك الكتاب ، وأتباعه كانوا يبيحون له حرمهم ، وكانوا يقولون : انه إذا ألم بشخص وصل نوره اليه . فقتله الراضي بالله وظفر بجماعة من أصحابه مثل الحسين بن القاسم بن عبد الله وأبي عمران أبراهيم بن محمد بن المنجم[٢] ووجد الكتب التي كتبوها اليه فوجد فيها انهم قالوا في وصفه « أنه قادر على كل شيء » فعرضوا على الفقهاء الذين كانوا في زمانه مثل ابن سريج . فأظهروا التوبة فأفتى أبو العباس بن سريج بقبول توبتهم كما هو مذهب الشافعي ، وأفتى أبو الفرج المالكي على مذهب مالك أنه لا تقبل توبتهم إذا عثر عليهم ، وإنما تقبل توبتهم إذا أظهروا حالهم على الابتداء . فأمر الراضي بالله

---

(١) هو أبو اسحاق : أحمد ـ ويقال محمد ـ بن المقتدر بالله جعفر ، ولد في سنة/ ٢٩٧ ، ومات في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٩ هـ وله احدى وثلاثون سنة ونصف سنة . وأنظر في شأن هذه الفرقة : « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٦٤ .

(٢) هو ابراهيم بن أبي عون . انظر ما ذكر عنه الذهبي في « العبر » ٢ : ١٩٠ .

بقتلهما مع أبي العذافر وطرح رمادهم في دجلة بعد احراق جثثهم .

١١ ـ الفرقة الحادية عشرة :

منهم الخرمية [1] وهم فرقتان :

فرقة منهم كانوا قبل دولة الاسلام : وهم المزدكية كانوا يستحلون المحرمات كلها ، وكانوا يقولون : ان الناس كلهم شركاء في الأموال ، والحرم ، وقتلهم أنوشروان في أيام مملكته .

والفريق الثاني من الخرمية ظهروا في دولة الاسلام كالبابكية ، والمازبارية ، ويسمون المحمرة .

١ ـ فالبابكية : اتباع بابك الخرمي [2] الذي ظهر بناحية أذربيجان وكثرت أتباعه وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة الى أن أسر مع أخيه اسحاق وصلب بسر من رأى في أيام المعتصم .

٢ ـ وأما المازبارية : فهم أتباع مازبار [3] فانه كان يدعو الى دين المحمرة ،

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة في : « مروج الذهب » ٣ : ٣٠٥ ، و« الفرق بين الفرق » ص/ ٢٦٦ ، و« الملل والنحل » ١ : ٢٤٩ .

(٢) بابك : رجل فارسي مجوسي الأصل ، دخل في الاسلام وسمي الحسن ، وفي بعض الأصول الحسين . حدثته نفسه بان يسترجع ملك فارس ، فاستعصم بالجبل المعروف بالبذين من أصل الران . وفي سنة/ ٢٠١ هـ في عهد المأمون اظهر أمره واعلن العصيان . وفي سنة/ ٢١٢ جهز المأمون جيشاً بقيادة الطوسي ولكنه قتل . وفي سنة/ ٢٢٠ هـ جهز المعتصم جيشاً بقيادة الأفشين ، والتقى الجيشان فهزم الأفشين جيش بابك ، وقتل منهم نحو الألف . ثم هرب بابك الى موقان . ثم التقيا مرة أخرى في سنة/ ٢٢٢ هـ فهزمهم الأفشين هزيمة منكرة ، ونجا بابك فلم يزل الأفشين يتحيل له حتى أسره في جبال ارمينية . ثم أخذه الى المعتصم ، وفي سنة/ ٢٢٣ هـ أمر المعتصم بقطع أطرافه وصلبه . « العبر » ١/ في مواضع شتى انظرها في الفهرس ، و« مروج الذهب » ٤ : ٥٥ .

(٣) مازيار : أصله فارسي ، واسمه الأصلي مازيار بن مازن بن بنداد ، ودخل في الاسلام وتسمى محمداً . وكان صاحب جبال طبرستان . أعلن العصيان في عهد المعتصم سنة/ ٢٢٤ هـ . فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر ابن الحسين يأمره بحربه ، فسير اليه عمه الحسن بن الحسين فكانت له معه حروب كثيرة ، وما زال حتى اسره =

وظهر له أتباع في جبال طبرستان ، واليهم تنسب قنطرة المحمرة بجرجان وذلك من آثارهم ، وقبض عليه أيضا في أيام المعتصم وصلب أيضا بسر من رأى في مقابلة بابك الخرمي ، وللبابكية في تلك الجبال ليلة يجتمعون فيها على كل نوع من الفساد من الخمر ، والزمر وغير ذلك . ويجتمع فيها الرجال والنساء ، ثم يطفئون السراج والنيران ، ويقوم كل واحد منهم بواحدة من النساء اللاتي جلسن معهم كيفما يقع . وهؤلاء الخرمية يدعون أنه كان لهم ملك في الجاهلية اسمه شروين ، ويفضلونه على الأنبياء ، ومتى ما ناحوا على ميت لهم أخذوا باسمه ندبة ، ونياحاً تفجعا عليه .

١٣ ـ الفرقة الثانية عشرة :

منهم أهل التناسخ : وهم قوم من الفلاسفة قبل الاسلام وكان سقراط من جملتهم ، وكان في دولة الاسلام من أهل التناسخ فريقان . فريق من جملة القدرية ، وفريق من غلاة الروافض . وماني الثنوي[1] قال بالتناسخ في بعض كتبه ، وذكر ان أرواح الصديقين اذا خرجت من أبدانهم اتصلت بعمود الصبح الى أن تبلغ النور الذي فوق الفلك ويكونون في السرور دائما ، وأرواح أهل الضلالة تتناسخ في أجسام الحيوان فلا تزال تنتقل من حيوان الى حيوان الى أن يصفو من ظلمته ، فحينئذ يتوصل بالنور الذي فوق الفلك .

وقوم من اليهود أيضا يقولون بتناسخ الأرواح ويقولون انهم وجدوا في كتاب دانيال . أن الله تعالى مسخ بخت نصر في سبع صور من صور الدواب ، والسباع .

وأما الذين يقولون بالتناسخ من القدرية فهم أتباع أحمد بن خابط . وكان من أصحاب النظام وكان ينتسب اليه ويقول بالطفرة وينفي الجزء الذي لا يتجزىء ؛ وكان يقول : ان قدرة الله تعالى تنقطع حتى لا يقدر على أن يزيد في نعيم أهل الجنة

---

* وحمله الى سامرا . فضرب المازيار بالسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك . انظر « العبر » ١ : ٣٨٩ ، و « مروج الذهب » ٤ : ٩١ .

(١) وهو الذي تنسب اليه طائفة المانوية ، وكان في الأصل مجوسياً . أنظر في أمره « الملل والنحل » ١ : ٢٤٤ ، و « الفرق بين الفرق » ص/ ٢٧١ .

شيئا ، ولا أن يزيد في عذاب أهل النار شيئا ، وكان انتسابه اليهم بهاتين المقالتين ، ثم زاد عليهم القول بمذهب أهل التناسخ ، وكان أحمد بن بانوش من أصحابه ، وكان ينتسب اليه ويقول بالتناسخ ، وبينهما خلاف كثير في مواضع وكان ، أحمد بن محمد القحطي في زمان الجبائي يجمع بين القول بالاعتزال والتناسخ وكان عبد الكريم ابن أبي العوجاء[1] خال معن بن زائدة[2] في السر على دين المانوية وكان يقول بالتناسخ ، وكان في الظاهر ينتسب الى القدرية والرافضة ووضع كثيراً من الأحاديث اغتر بها الروافض وأفسد على الروافض صومهم ووضع لهم حساباً يغيرون به رءوس الشهور ، ونسب ذلك الى جعفر بن محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنه ، ولما ظهر خبر وضع الحساب أمر بقتله أبو جعفر محمد بن سليمان الهاشمي فصلب .

وبينهم خلاف كثير في معنى التناسخ كان أحمد بن خابط يقول : ان الله خلق الخلق في أبدان صحيحة وعقول تامة في دار ليست دار الدنيا ، وخلق لهم المعرفة به ، وأتم نعمته عليهم ، وأمرهم بشكره . وكان يقول : ان الانسان في الحقيقة هو الروح لا هذا القالب الذي نشاهده وان الروح هي عالم قادر .

وكان يقول : ان الحيوانات كلها جنس واحد ، وان جميع الحيوانات في محل التكليف . ثم كان يقول : أن من أطاعه في تلك الدار أقره هناك ، ومن عصاه هناك أخرجه منها الى النار ، وكل من عصاه في البعض وأطاعه في البعض بعثه الى دار الدنيا ، وألبسه هذه القوالب وابتلاهم تارة بالشدة ، وتارة بالراحة ، وتارة بالألم ، وتارة باللذة ، وجعل قوماً منهم في صورة الناس ، وقوماً في صورة الطيور ، وقوماً في صورة السباع ، وقوماً في صورة الدواب ، وقوما في صورة الحشرات كالحية وما أشبه ذلك وكانت درجاتهم في هذا المعنى على قدر معاصيهم . فمن كانت معصيته

---

(١) قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » رقم ١٥٦٧ في ٢ : ٦٤٤ : « عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة . زنديق مفتر . قال ابو أحمد بن عدي : لما أخذ لتضرب عنقه قال : لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديثاً أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام ، وقتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة » . . اهـ .

(٢) معن بن زائدة الشيباني : أحد الأبطال المغاوير ، كان أمير سجستان ، وفي سنة/ ١٥١ هـ في عهد المهدي قتله الخوارج غيلة . أنظر « المعارف » ص/ ٤١٣ .

أقل في تلك الدار كانت صورته في الدنيا أحسن ، ومن كانت معصيته هناك أكثر كان قالب روحه في الدنيا أقبح .

ويقولون : ان الحيوان في الحقيقة هو الروح ولا يزال في دار الدنيا ينتقل من قالب الى قالب على مقدار الطاعات والمعاصي من قوالب الناس والدواب حتى تتمحص طاعاته فينقل الى دار النعيم ، أو معاصيه فينقل الى دار الجحيم . وخالفه أحمد بن بانوش فقال : متى كان في صورة بهيمة لا يكون عليه تكليف . وكان أحمد ابن خابط يقول : بل يكون عليه التكليف ويكون التسخير للذبح ، والركوب عقوبة له . وكان أحمد بن بانوش يقول : من المكلفين من يكرر طاعاته حتى يصير مستحقا لان يصير نبياً أو ملكا .

وكان القحطي منهم يقول : ان الله تعالى لم يكلفهم ابتداء ولكنهم سألوا ان يكلفهم ليرفع به درجاتهم لأن الله تعالى عرفهم أنهم لا يدركون الدرجات الا بالتكليف ، وانهم ان عصوا يستحقون العقوبة ، وقالوا رضينا به . وكان يقول : هذا معنى قوله تعالى : «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً»[١] .

وكان أبو مسلم الحراني منهم يقول : ان الله تعالى خلق أرواحهم وكلف به من علم انه يعصيه لكنهم عصوا على الابتداء فنقلهم بالمسخ والنسخ الى قوالب مختلفة على قدر معاصيهم .

١٣ ـ الفرقة الثالثة عشرة :

خابطية القدر . أصحاب أحمد بن خابط[٢] وقد ذكرنا قوله في التناسخ ، وكان مشاركا للفضل الحدثي[٣] في ضلالاته . وهو أنه كان يقول : للخلق إلهان أحدهما

(١) الأحزاب : ٧٢ .

(٢) تقدم الحديث عنه ، وقد ذكرنا الخلاف في ضبط اسم أبيه .

(٣) انظر في أمره : « الفرق بين الفرق » ص/٢٧٧ .

قديم ، والآخر محدث وهو عيسى بن مريم ، وكان يقول : عيسى بن مريم ابن الله لا على معنى الولادة ، ولكن على معنى انه تبناه ، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة ، وهو الذي يقول الله تعالى فيه : «وجاء ربك والملك صفاً صفاً»[1] ويقول فيه : «هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور»[2]. قال : فقد خلقه الله على صورة نفسه . قال : وهو المراد بقول النبي ﷺ : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[3] وبقوله عليه الصلاة والسلام : (أن الله لما خلق العقل وقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر . فقال له . ما خلقت خلقا أكرم منك بك أعطي وبك آخذ[4]، وقولهم في هذا شر من قول الثنوية حين أضافوا الأفعال الى فاعلين اثنين .

١٤ ـ الفرقة الرابعة عشرة :

الحمارية من القدرية . وهم قوم من المعتزلة يسكنون عسكر مكرم . واختاروا من بدع القدرية ما هو شر وأقبح لركاكة عقولهم ، وسخافة معارفهم ، فأخذوا القول بالتناسخ من أحمد بن خابط ، وأخذوا من عباد بن سليمان الضمري قوله : ان الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا ناساً بعد المسخ . وأخذوا من جعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري[5] قوله : ان النظر الأول الذي تحصل به المعرفة فعل لا فاعل له وكان يقول : ان الخمر ليس من فعل الله ولكنه من فعل الخمار .

---

(١) الفجر : ٢٢ .

(٢) البقرة : ٢١٠ .

(٣) ورد هذا الحديث بألفاظ أخرجه بنحوه البخاري : في مواقيت الصلاة : باب فضل صلاة العصر، وباب فضل صلاة الفجر . وتفسير سورة (ق) . وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة» ومسلم : في المساجد : باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها ، وأبو داود : في السنة : باب في الرؤية ، والترمذي : في صفة الجنة : باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزوائد عن الزهد بسند ضعيف .

(٥) كان خالد بن عبد الله القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك بن مروان في سنة/ ١٠٦ هـ ، ثم ولي هشام أبا عبد الله يوسف بن عمر الثقفي العراق ومحاسبة خالد ، وسائر أعماله فحاسبه وعذبهم الى أن مات خالد تحت العذاب . أنظر « المعارف » في عدة مواضع ترشد اليها بالفهرس.

وكان يقول : ان من وضع اللحم حتى يدود كان الدود من خلقه ، ومن دفن الآجر والتبن حتى تولد منه العقرب كان العقرب من فعله ، ومن دفن الكمأة حتى صارت حية كانت الحية من فعله ، فنسبوا خلق الدود ، والحية ، والعقرب ، الى الانسان في هذه المواضع .

١٥ ـ الفرقة الخامسة عشرة :

منهم يزيدية الخوارج . اتباع يزيد الخارجي[١] وكان من البصرة ، ثم رجع الى جور فارس وكان علي رأى الاباضية من الخوارج . وكان يقول : ان الله تعالى يبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً ينسخ به شريعة محمد ﷺ . وكان يقول : اتباعه يكونون في الصائبة المذكورة في القرآن .

١٦ ـ الفرقة السادسة عشرة :

منهم ميمونية الخوارج . وهم اتباع رجل كان اسمه ميموناً[٢] وكان على مذهب العجاردة ثم خالفهم ورجع الى مذهب القدرية في باب القدر ، والارادة ، والاستطاعة . ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات ، وبنات البنين ، واباح لاتباعه التزوج بهن ، وكذلك اباح لهم التزوج ببنات الاخوة والاخوات ، وكان ينكر سورة يوسف ويقول انها ليست من القرآن .

١٧ ـ الفرقة السابعة عشرة :

منهم الباطنية[٣] وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال ، فان فتنة الدجال

---

(١) ورد هذا الاسم في أصول الدين ص / ٦٢ ، «يزيد بن أنيسة » . وانظر في شأن هذه الفرقة في : «الملل والنحل » ١ : ١٣٦ ، و «المقالات » ١ : ١٧٠ . و «الفرق بين الفرق » ص / ٢٧٩ .

(٢) سماه في «الملل والنحل»: «ميمون بن خالد» . وسماه المقريزي في «الخطط»٢ : ٣٥٤ : «ميمون بن عمران» .
وانظر في شأن هذه الفرقة في : «المقالات » ١ : ١٦٤ ، و «الملل والنحل » ١ : ١٢٩ ، و «الفرق بين الفرق » ص / ٢٨٠ .

(٣) انظر في شأن هذه الفرقة في : «الفرق بين الفرق » ص / ٢٨١ ، و«وفيات الاعيان » : ١ : ٤٠٩ عقب ترجمة ابن المغيث الحلاج ، و «تاريخ ابن الأثير» في حوادث سنة / ٢٧٨ هـ ، وسنة / ٢٨٦ هـ ، وسنة / ٢٨٩ هـ ، وسنة / ٣٠١ هـ ، وسنة / ٣١١ هـ ، وسنة / ٣١٧ هـ ، و «الخطط » ٢ : ٣٥٧ .

إنما تدوم اربعين يوما ، وفتنة هؤلاء ظهرت ايام المأمون وهي قائمة ، بعد. وانما ظهرت فتنتهم عن تدبير جماعة وهم عبد الله بن ميمون القداح وكان مولى جعفر بن محمد الصادق ، ومحمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يدعون (الجهاربجة)[1] الذين كانوا مع الملقب بدندان ومع ميمون بن ديصان كلهم اجتمعوا في سجن العراق ووضعوا مذهب الباطنية . فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم واول من قام بها محمد بن الحسين الملقب بدندان ابتدأ الدعوة في اكراد جبال توز حتى دخل في دعوته جماعة من أهل بدين ، ثم ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب الى عقيل بن أبي طالب[2] فلما اجابته جماعة ادعى انه من اولاد محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا ان محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة ، ثم ظهر في اتباعه رجل اسمه حمدان قرمط فدعا اهل البحرين ، وكان ابو سعيد الجنابي الذي تغلب على أهل البحرين من اتباعه واجابه جماعة . ثم خرج سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح الى المغرب وغير اسمه ونسبه فقال : انا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق واجابه جماعة من أهل المغرب ، ثم خرج منهم رجل كان يدعى ابا حاتم الى ارض الديلم فاجابته منهم جماعة ودخل في دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن علي المروزي في الوقت الذي كان يتولى هراة ومروروذ ، ولما قتل قام بدعوته فيما وراء النهر محمد بن احمد النسفي المعروف بالبزدوي . وابو يعقوب السجزي اقام دعوته بناحية سجستان . وهذا البزدوي صنف لهم كتاباً سمى واحداً منها كتاب «المحصول» وآخر كتاب «اساس الدعوة» وآخر كتاب «كشف الاسرار» وآخر كتاب «تأويل الشريعة» وذكر اهل التاريخ ان دعوة الباطنية ظهرت في ايام المأمون وانتشرت في ايام المعتصم ، ودخل في دعوتهم من حشم المعتصم رجل يقال له أفشين وكان بسببه يداهن بابك الخرمي حتى هزم عدداً من عساكر المسلمين حتى اجتمع ابو دلف

---

(١) اي الغلمان الاربعة .

(٢) هو اخو علي بن ابي طالب رضي الله عنه مات في زمن يزيد بن معاوية .

العجلي وقواد عبد الله بن طاهر وهزموا بابك الخرمي واسروه ، وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

وذكر اهل التواريخ ان الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من اولاد المجوس ، وكان ميلهم الى دين اسلافهم . ولكنهم لم يقدروا على اظهاره مخافة سيوف المسلمين . فوضعوا قواعد على موافقة اساس وضعوه حتى تغتر به الاغمار . وذلك ان الثنوية قالوا : ان للعالم صانعين احدهما النور يكون منه الخيرات والمنافع ، والآخر الظلمة يكون منه الشرور والمضار .

وقالوا : ان جملة الاجسام امتزجت منهما . ثم قالوا : ان كل واحد من هذين الاصلين له طبائع اربعة : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . ثم اقتدى بهم المجوس وقالوا : ان للعالم صانعين : (يزدان ، واهرمن) ثم غيرت الباطنية عباراتهم فقالوا : ان الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الاول ، والنفس هو الثاني ، وربما قالوا : العقل هو الاول ، والنفس هو الثاني ، وزعموا ان هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاربعة . وهذا بعينه قول المجوس حيث قالوا : ان مدبر العالم اثنان : احدهما قديم ، والآخر حادث حدث من فكرته ، الا ان المجوس قالوا : هما (يزدان واهرمن) والباطنية قالوا : هما العقل والنفس . وقد كان منهم من جملة البرامكة من سعى في اظهار عبادة النار بين المسلمين . فقال لهارون الرشيد ينبغي ان ترتب في الكعبة لحراق العود ، والند ، ليكون ذلك أثراً زائداً على من قبلك . واراد بذلك ان يجعل الكعبة بيت نار ، فلما وقف عليه علماء زمانهم عرفوا الخليفة حاله وصرفوه عن ذلك الرأي .

وكما ان الباطنية احتالوا في اصول الدين احتالوا في اختداع اتباعهم واستمالة قلوبهم فاباحوا لهم جملة اللذات والشهوات ، واباحوا لهم نكاح البنات والاخوات ، واسقطوا عنهم فرائض العبادات ، وتأولوا اركان الشريعة . فقالوا : معنى الفرائض موالاة زعمائهم ، وأئمتهم . ومعنى المحرمات تحريم موالاة ابي بكر وعمر ، وكل من خالف مذهب الباطنية .

وكانوا يؤولون الملائكة على دعاتهم الذين يدعون الى بدعتهم وقالوا : ان الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم من المسلمين من علماء اصحاب الحديث والرأي ، وكانوا يسمون موافقيهم على بدعهم المؤمنين، ومخالفيهم الحمير والظاهرية .

وكان من جملتهم رجل اسمه عبيد الله بن الحسين القيرواني[1] كتب رسالة الى سليمان بن الحسن القرمطي وكتب فيها : « اوصيك بتشكيك الناس في التوراة ، والانجيل، والقرآن ، فانه اعظم عون لك على القول بقدم العالم ، واوصيت اليك بان تعرف مخاريق الانبياء والامور التي ناقضوا فيها ، كما قال عيسى لليهود انالا ارفع شيئاً من شريعتكم ولا انسخ ثم رفع السبت ووضع بدله الاحد ، وغير قبلة موسى ، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتلوه، وينبغي ان لا تكون كصاحب الامة المنكوسة لما سألوه عن الروح لم يدر ما يقول فقال : «ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا» [2] وهم قبلوا منه ذلك. وينبغي ان لا تكون كموسى ادعى ما ادعاه ، ولم يكن له برهان سوى المخرقة وحيل الشعبذة، وذلكم المحق في زمانه قال: «فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى» [3] وانما سماه محقاً على مذهبه على معنى انه كان صاحب زمانه في دوره .

وذكر في تلك الرسالة فقال : «واعجب من هذا في دينهم ان الواحد منهم يكون له ابنة حسناء يحرمها على نفسه ويبيحها للاجنبي ،ولو كان له عقل لعلم أنه اولى بها من الرجل الأجنبي ، ولكنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون ابداً ، خوفهم بالقيامة والنار ، ومناهم الجنة ، واستعبدهم لهذا السبب فكيف لم يخف في نفسه مما خوفهم به حين استعبدهم في العاجل ولم يبال به» .ثم ذكر المدبر في آخر هذا الكتاب :

---

(١) هو عبيد الله الملقب بالمهدي، والد الخلفاء العبيديين الفاطميين، هلك في شهر ربيع الاول في سنة/٣٢٢ هـ بالمهدية التي بناها، وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة. انظر «العبر» ٢ : ١٩٣ .

(٢) الاسراء: ٨٥.

(٣) النازعات : ٢٤.

«انك واخوانك هم الوارثون الذين ورثوا الفردوس » واراد باخوانه الباطنية وزعم أنهم هم الذين يرثون الفردوس ، ثم فسر الفردوس فقال : «هو نعيم الدنيا ولذاتها التي حرمها على هؤلاء الجهال الذين تمسكوا بشرايع قوم من المتنبئين، هنيئاً لكم الراحات التي وصلتم اليها والخلاص من التكليفات التي ابتلوا بها » .

واعلم ان اول ما يحتالون به هؤلاء على السلاطين والعوام الذين لا خبرة لهم في العلوم تقبيحهم العلماء في اعين العوام يقولون : للواحد منهم ان علماءكم لا يعرفون شيئاً ، ولو شئتم لجربتموهم وعرفتم من حالهم ما يقولون . سلوهم لم وجب غسل الوجه في الوضوء ، والحدث خرج من موضع آخر ؟ وأي حكمة وأي عاقل يستحسن مثل هذا ؟ ولم وجب غسل جميع البدن من قطرة مني خرجت منه ؟ ولم يجب على كثير من الحدث والبول يخرج منه إلا غسل اعضاء من البدن قالوا : وهذا بالعكس اولى .

واسألوا منهم لم كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات ، وصلاة الصبح ركعتين كل واحد منهما في طرف من طرفي النهار ؟ ولم كان الركوع واحداً والسجود اثنين ؟ ولم لم يقطع فرج الزاني ، وتقطع يد السارق ؟ وهما جميعاً آلة الخيانة .

واسألوهم لم كان اللسان واحداً ، والأذن اثنتين ؟ والذكر واحداً ، والخصية اثنتين ؟ ولم كانت الأهداب ثابتة على جفن الانسان ، ولا يكون لسائر الحيوانات الأهداب الا على احد الجفنين ؟ ولم كان ثدي الانسان على صدره، وثدي سائر الحيوانات على بطنها ؟ ولم كان بعض الحيوانات يبيض، وبعضها يلد ؟ .

وإذا ظفروا بواحد من السلاطين والمحتسبين قالوا له : وضعت هذه الشريعة للحمير والعوام وانتم من جملة الخواص ينبغي ان يكون لدينك خاصية تخالف دينهم . ويقولون : ان النبي ﷺ لم يكن نبياً ، ولا رسولا ، ولكنه كان حكيماً اراد ان يستعبد العوام فكلفهم هذه التكاليف ولابد للخواص ان يتميزوا عنهم ولا ينقادوا لشيء لا اصل له .

وإذا وردت هذه الاسئلة على العامي تحير فيها ، ورجع الى واحد من اهل

العلم فيقول العالم : لا تسمع هذا الكلام ولا تغتر به لانه كلام الباطنية ، وهذا الذي تسألني عنه إنما هو امور امر الله بها فلا اعتراض عليه ، ولو امر بخلافه لكان يجوز. واشياء خلقها الله كان يجوز ان يخلق بخلافها لعموم قدرته . الا ترى ان الله تبارك وتعالى خلق بعض الحيوانات على رجلين ، وبعضها على اربع ، وبعضها خلق بلا رجل تمشي على بطنها ، وفيها ما يطير بالجناح ، وخلق بعضها يمشي على البر ولو سقط في الماء هلك ، وبعضها يعيش في البر والبحر ، وخلق بعض الاجسام بحيث ترسب في الماء مثل الحجر والحديد ، وبعضها يطفو على الماء كالخشب وغيره . فهذا كله دليل عموم قدرة الله تعالى وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» [1].

فإذا رجع العامي الى من لقنه تلك الاسئلة وذكر له الجواب الذي وصفه . قال له : قد علمت الآن انك لا تعرف شيئاً ،فشككه في امر الدين ، وفي حال العالم ، فأوهم بذلك الغر الغمر ان تحتها حكمة عظيمة يعرفها ويقولون اذا تحير العامي : لا يعرف اسرار هذه الأمور غيرنا . فاذا طالبهم العامي ببيانه يقولون : ليس هذا من الاسرار التي تفشي بلا عهد ولا ميثاق، فانها اسرار يعرفها الخواص . فيحلفونه بالله ، وبالرسول ، وبالعتاق ، والطلاق ، وتسبيل المال ، والنعم ؛ وان كان هذا اليمين لا خطر لها عندهم . فانهم لا يؤمنون بالله ، وبالرسول ، ولكنهم يريدون التهويل على المسلم. ويقولون ايضاً : لا نظهره الا بتقديم خير عليه فيطلبون مائة وتسعة عشر درهماً من السبيكة الخالصة . ويقولون : هذا تأويل قول الله تعالى : «واقرضوا الله قرضاً حسناً» [2] فالحاء، والسين، والنون، والألف، اذا جمع عددهم بحساب الجمل يكون مبلغه مائة وتسعة عشر فاذا سمع الغر هذا الكلام وبذل لهم العهد ، واعطى هذا المال، قال لهم : لم يبق إلا ان تهدوني الى طريقكم ، وتفشوا إلي اسراركم ، فيخافون أن يظهروا له حقيقة ما هم عليه ، فيظهرون له ما

---

(١) الانبياء : ٢٣ .

(٢) المزمل : ٢٠ .

يشبه ان يكون ظاهره دين الاسلام حتى لا يبادر الى الانكار عليهم ، ويستقر مع ذلك مقدار من خرافاتهم . ثم يلقون الامر اليه درجة درجة فيسلخونه من الدين سلخاً .

فمما يلقونه الى المبتدىء قولهم : ان الله تعالى خلق ذوات الاربع من الحيوانات فاختار منها واحداً وهو الظبية جعلها محلا للمسك الذي فيه تكون هذه الروائح الطيبة في هذه الجنة . ويعنون بالجنة دار الدنيا ونعيمها ، وخلق ذوات الاجنحة من الحيوانات واختار منها واحدة وهي النحلة ، وجعلها محلاً للشهد الذي منه اطيب الحلاوات في هذه الجنة ، وخلق الحيوانات التي تمشي وتتحرك على بطنها فاختار واحدة وهي دودة القز ، وجعل منها الابريسم الذي منه زينة هذه الجنة ، وخلق الناس واختار منهم محمداً ﷺ . فيستحسن المبتدىء هذا الكلام الذي يلقيه اليه ويقول : أتدري من محمد ؟ فيقول : نعم محمد رسول الله خرج من مكة وادعى النبوة ، واظهر الرسالة ، وعرض المعجزة ، فيقول ليس هذا الذي تقول الا كقول هؤلاء الحمير . يعنون به المؤمنين من أهل الاسلام . انما محمد انت فيستعيد السامع ويقول : لست أنا محمداً . فيقول له : الله تعالى وصف في هذا القرآن فقال : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم»(١) وهؤلاء الحمير يقولون من مكة . فيقول له الغر الغمر . على اي معنى نقول انا محمد ؟ فيقول : خلقك وصورك خلقة محمد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم ، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك انت علي ايضاً . عينك هي العين ، والأنف هي اللام ، والفم هي الياء . ثم يقول : ان الله ما خلق شيئاً الا على صورة محمد وعلي حتى الفارة خلقها على هذه الصورة . يوهمه بأن قول القائل محمد ﷺ وعلي رضي الله عنه لا لشخصين من الاشخاص المعينة . يريد النبي ﷺ والمسمى بعلي رضي الله عنه .

وكذلك يقولون : ان المراد باثبات الذات يرجع الى نفسك ، ويؤولون عليه

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

قول تعالى : «فليعبدوا رب هذا البيت»[1] ويقولون : الرب هو الروح ، والبيت هو البدن . يمهدون بكلامهم هذا ان لا إله ولا نبي سوى هذا البدن على التصوير الذي صوره حتى يقرروا عنده ان لاتكليف عليه ، ولا قطع له عن الراحة البشرية ، ويبتدؤن بالدعاء لأهل البيت ويجتمعون بالسلخ عن الديانة ، وربما دعوا الى الأئمة السبعة او الأئمة الاثني عشر ، فاذا اجابهم الجاهل وأنس بهم قالوا : هذه الأئمة ناس مثلك ليس لهم شرف عليك ؛ هذه اسماء تذكر ولها سر معلوم انها هي المدبرة للعالم بطباعها ، فيخرجونه عن الدين بمثل هذه الحيل . وان صادفوا من له حرص على التنسك والعبادة كلفوه الوصال في الصوم اياما ، حتى اذا ضعف المسكين ومل عن جميعه ورأوا منه السلامة الظاهرة دعوه الى ترك العبادات والاقبال على اللذات وصوروا له ان الاصل لهذه التكليفات في الأمور الشرعية مثل ما ذكرناه بشرط تفهم ، وربما صوروا للغر طريق التناسخ كما وصفناه قبل ، ثم يختمون كلامهم بنفي الشريعة ونفي الرسول والمرسل . نسأل الله سبحانه وتعالى ان يكفي المسلمين شرهم فما هم الا كما قال الله تعالى: «اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون»[2]. لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون.

---

(١) قريش : ٣.
(٢) النحل : ١٠٨.

الباب الرابع عشر

في بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام .
والله أعلم بعددهم ، وإنما نذكر منهم ما اشتهر من جملتهم
عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات

فمنهم قوم كانوا يعبدن صنما مصوراً ، وقوم كانوا يعبدون انساناً مثل الذين كانوا يعبدون جمشيد [1] والذين كانوا يعبدون نمروذ بن كنعان، والذين كانوا يعبدون فرعون وهامان وما اشبه ذلك .

ومنهم قوم كان عاداتهم عبادة ما يستحسنونه من الصور المختلفة وهم من جملة الحلولية ، ومنهم قوم كانوا يعبدون الشمس . والقمر ، والكواكب ، وقوم كانوا يعبدون بعض الكواكب ، مثل الشعرى، والجوزاء. وقوم كانوا يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وهم الذين قال الله تعالى في وصفهم : «ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى»[2] .

وقوم كانوا يعبدون حيطانا . وقوم كانوا يعبدون البقرة ، ومنهم قوم كانوا قبل دولة الاسلام يدعون سوفسطائية ينفون الحقائق ، وقوم يسمون السمنية ينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم ، وقوم يقال لهم الدهرية يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع .

ومنهم قوم يدعون أصحاب الهيولى يقولون بقدم أصل العالم ويقرون

---

(١) يقولون ان اسمه متوشلخ .
(٢) النجم : ٢٧ .

بحدوث الأعراض . وقوم من الفلاسفة يقولون بأن للعالم صانعا قديما ، ولكن يقولون أيضا ان العالم قديم كما أن صانعه قديم ، ويقولون بقدم الصنعة والصانع وعلى هذا المذهب كان برقلس .

وقوم من الفلاسفة يقولون ان الطبائع الأربع قديمة . وهي الأرض ، والماء ، والنار ، والهواء ، وزاد على هؤلاء قوم منهم فقالوا : ان هذه الأربعة قديمة والأفلاك والكواكب أيضاً قديمة ، وزاد قوم منهم طبيعة خامسة زعموا أنها قديمة .

ومنهم قوم يقال لهم المجوس وهم أربع فرق : الزروانية ، والمسخية ، والخرم دينية ، والبه آفريدية[1] وهؤلاء كلهم على مذهب المجوس يقولون « بيزدان » و « أهرمن » .

ومنهم قوم يقال لهم الصابئة . وهؤلاء قوم ينتحلون مذهب أصحاب الهيولى كما وصفناه ، ومنهم قوم يقال لهم البراهمة ينكرون جميع الأنبياء ، ولكنهم يقولون بحدث العالم وتوحيد الصانع ، ومنهم قوم يقال لهم اليهود . وقد ورد عن النبي ﷺ أنهم يفترقون على احدى وسبعين فرقة .

واعلم أن سبب تفرقهم ما ذكره جمهور المفسرين : أن قوماً من بني اسرائيل لما طالت عليهم المدة وقست قلوبهم ، تكلفوا ووضعوا كتباً كما كانوا يشتهونه ، وكانوا يدعون ان تلك الكتب من عند الله ، وكانوا يقولون : ان من خالفنا في هذا قتلناه ، ثم تفكروا فقالوا : جميع بني اسرائيل لا يمكن قتلهم ، ولكن لبني اسرائيل عالم هو حبرهم فيما بينهم كبير نعرض ما وضعناه عليه فان قبله صار من أتباعنا وان لم يقبله قتلناه حتى يصير جميع بني اسرائيل تبعاً لنا . فراسلوه فعلم الرجل ما في أنفسهم فكتب كتاب الله في رق رقيق ، بخط دقيق ، ووضع ذلك في قرن ، ثم تقلد ذلك القرن ، ولبس فوقه الثياب ، ثم جاء اليهم فعرضوا عليه ما كان عندهم ، ودعوه الى الايمان به . فاشار الى صدره حيث كان ذلك القرن وقال : نعم آمنت بهذا وما لي لا أؤمن به . وكان له أصحاب كانوا يراعون حاله حتى مات فوجدوا معه ذلك القرن .

---

(١) نسبة إلى (به آفريد) بكسر الفاء وسكون الهاء .

فقالوا : انه انما قال لهذا القرن آمنت به واختلفوا فيه ووقع الخلاف بسببه في بني أسرائيل حتى صاروا احدى وسبعين فرقة ، خيرهم اصحاب القرن .

وعلى الجملة جميع اليهود في أصل الدين فريقان :

قوم منهم ينكرون نبوة محمدﷺ وقوم لا ينكرون يقولون : آنه كان نبياً ولكن كان مبعوثا الى العرب دون العجم وهم العيسويون يكونون بأصفهان ، واعلم أن جميع اليهود في أصول التوحيد فريقان : فريق منهم المشبهة . وهم الأصل في التشبيه ، وكل من قال قولا في دولة الاسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم ، وأخذ مقالة من مقالهم الروافض وغيرهم ، ولهذا قال النبيﷺ : « الروافض يهود هذه الأمة » لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود .

الفريق الثاني منهم : هم القدرية ينكرون الرؤية ويقولون : ان الحيوانات يخلقون أفعالهم ، واكثر الأمم كان فيما بينهم جماعة من القدرية ، ولهذا قال النبيﷺ : « لعنت القدر ية على لسان سبعين نبياً » والقدرية الذين ظهروا في دولة الاسلام اخذوا طريقهم من قدرية اليهود ، وقد كان في عصرنا جماعة ممن ينتسب الى أصحاب الرأي ، ويتستر بمذهبهم ، وهو يضمر الالحاد والقول بالقدر ، وكان يراجع اليهود ويتعلم منهم الشبه التي يغرون بها العوام وكفاهم خزياً تعلمهم من اليهود واقتداؤهم بهم . والله سبحانه وتعالى يكفي المسلمين شرهم .

ومنهم قوم يقال لهم النصارى ، وقد روينا في الخبر ان النبيﷺ : قال« انهم يفترقون على اثنين وسبعين فرقة » ، وكانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام بعد ما رفع الى السماء احدى وثلاثين سنة ، وكانوا يجبرون على الاستقامة الى أن وقع بينهم وبين اليهود حرب .

وكان في اليهود رجل اسمه بولس[1] قتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم قال لليهود ان كان قوم عيسى على الحق ونحن قد كفرنا بهم يكون علينا غبن عظيم فانهم يدخلون الجنة ونحن ندخل النار ، ولكني احتال حيلة حتى أفسد عليهم دينهم ،

---

(١) تقدم الكلام عنه .

وكان له فرس اسمه عقاب ، وكان يقاتل عليه . فقام وعقر ذلك الفرس وأظهر الندم على ما كان منه ونثر التراب على رأسه ثم جاء الى النصارى متندما بظاهره فقالوا له من أنت ؟ فقال : أنا بولس كنت أشد عدواً لكم ولكني سمعت من السماء نداءين توبتك لا تقبل الا أن تتنصر . الآن تبت ورجعت الى دينكم . فأكرموه وأدخلوه كنيستهم فلازم بيتاً من بيوتها لم يخرج منه ليلا ولا نهاراً حتى تعلم الانجيل ، ثم خرج وقال سمعت من السماء ان توبتك قد قبلت وان صدقك قد عرف ، وانك قد أحببت وقبلت . ثم خرج الى بيت المقدس واستخلف رجلاً من نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ، ثم خرج الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت[1] وقال لهم : ان عيسى لم يكن ناساً ثم صار ناساً ، ولم يكن جسماً ثم صار جسماً ، وكان ابن الله ، وعلم يعقوب هذا القول ثم دعا رجلا كان اسمه ملكاء وقال له : ان الاله الذي لم يزل ولا يزال هو عيسى . ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة وقال له : أنت صاحبي خالصاً فاني أريد أن أفضي اليك سراً ينبغي ان لا تترك نحلتك هذه وتدعو الخلق اليها ، فقد رأيت عيسى عليه السلام البارحة في المنام وكان راضياً عني . فينبغي أن لا ترجع عن نحلتك بحال . فاني أريد أن أتقرب الى الله تعالى بقربان لرضاه عني أذبح نفسي قربانا . ثم قام ودخل المذبح وذبح نفسه .

فلما كان اليوم الثالث من وفاته قام كل واحد من أولئك الثلاثة ودعا الناس الى نحلته . وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس ، وكانوا يتقاتلون فيما بينهم وبقي بينهم ذلك الخلاف . ولم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر المروي في هذا الباب . وكان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولى . وكانوا في بعض دينهم مع اليهود ، وفي بعضه مع النصارى ، وابتدعوا من عند أنفسهم أموراً كثيرة تخالف الفريقين .

ومنهم قوم يقال لهم السامرة وهم من جملة اليهود ولكنهم خالفوا في أشياء ، واعلم أن جميع من ذكرناهم في هذا الباب من الفرق كفار الا ان أحكامهم في كفرهم مختلفة في الشريعة كما نذكره في كتب الفقه .

---

(١) قال الزبيدي : « لاهوت ، يقال لله ، كما يقال : ناسوت للإنسان » أنظر شرح القاموس مادة « ل هـ ت » .

الباب الخامس عشر

في بيان اعتقاد أهل السنّة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم ويقع في هذا الباب فصول ثلاثة :

أحدها : في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة .

الثاني : في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها .

الثالث : في بيان فضائلهم .

الفصل الأول : في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات . فهو :

١ ـ أن تعلم أن العالم بجميع أركانه ، وأجسامه ، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال ، والأقوال ، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئا ولا عيناً ، ولا ذاتا ، ولا جوهراً ، ولا عرضا ، والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال الى حال ، وحقيقة التغيرات ان تبطل حالة وتحدث أخرى ، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة ، وما كان ضروريا لم يفتقر الى الاستدلال عليه ، ولا يجوز أن يقال انها انتقلت من باطن الجسم الى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات . وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل ، فبطلانها يدل على حدوثها لأن القديم لا يبطل وانما قلنا ان القديم لا يبطل لأن خروج الذات عن صفة واجبة له في حال محال ، لأنها لو جاز خروجها عن تلك الصفة لصارت جائزة الوجود ، وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود كما أن جائز الوجود لا يصير واجب الوجود

بحال لأنها صفتان متناقضتان : واذا تقرر هذه الجملة « أن صفات الاجسام مخلوقة » ثبت « ان الاجسام مخلوقة » لأن ما لا يخلو من الحوادث لا يستحق أن يكون محدِثا (بالكسر) وما لا يستحق ان يكون محدثا كان محدَثا (بالفتح) مثلها ، وقد نبه الله تعالى في كتابه على تحقيق هذه الدلالة واثنى عليها وسماها حجة ، ومن على الخليل ابراهيم عليه السلام بالهام هذه الدلالة اياه وجعلها سبباً لرفع درجته حيث قال : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » إلى قوله : « نرفع درجات من نشاء ان ربك عليم حكيم »(١) : استدل بالتغير على حدوث الكواكب والشمس والقمر . ثم ان الله تعالى نبه على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج فقال : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »(٢) وقال : «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » الى قوله : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »(٣) .

٢ ـ وأن تعلم أن المخلوق لا بد له من خالق ، لأن الاجسام لو كانت بأنفسها مع تجانس ذواتها لم تختلف بالصفات ، والأوقات ، والأحوال ، والمحال ، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصصا قدم ما قدم ، وأخر ما أخر ، وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات ، لولاه لم يقع الاختصاص في شيء من الأوصاف ، لأن الاختصاص بأحد الجائزين يقتضي مخصصا لولاه لم يقع التخصيص به . وقد نبه الله تعالى على أصل هذه الدلالة بقوله : «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون »(٤) معناه أم خلقوا من غير خالق كأنه قال من غير شيء خلقهم لما تقرر من استحالة ثبوت

---

(١) الأنعام : ٧٥ ـ ٨٣ .

(٢) آل عمران : ١٩٠ .

(٣) البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٤) الطور : ٣٥ .

ما ثبت بوصف الخلق من غير خالق خلق ؛ ولا صانع دبر وصنع ، وأنت تعلم أيضا ان خالق الخلق قديم ، لأنه لو كان محدثا لافتقر الى مُحدِث . وكان حكم الثاني والثالث وما انتهى اليه كذلك . وكان كل خالق يفتقر الى خالق آخر لا الى نهاية . وكان يستحيل وجود المخلوق والخالق جميعا . لأن ما شرط وجوده بوجود ما لا نهاية له من الأعداد قبله لم يتقرر وجوده لاستحالة الفراغ عما لا نهاية له لتنتهي النوبة الى ما بعد . وأصل هذه الدلالة في القرآن وهو قوله : «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[1] » فبين أنه كان قبل ما يشار اليه بأنه محدث . وقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم[2]» والقيوم مبالغة من القيام وهو الثبات والوجود، وهذا دليل على اتصافه بالوجود في جميع الأحوال ، وانه لا يجوز وصفه بالعدم بحال وذلك حقيقة القدم . وقوله : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير[3] » و «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»[4]. فان البركة هي الثبات . وأصله من البرك والبركة والبروك ، وتبارك مبالغة في معناه ، وهذا يوجب له الوجود في جميع الأحوال لم يزل ولا يزال ، وقد ورد في خبر عمران بن حصين ان النبيﷺ قال : « كان الله ولم يكن معه شيء[5] » وهذا يوجب السكون في جميع الأحوال .

٣ ـ وأن تعلم ان خالق العالم واحد . لأنه لو كان اثنين ولم يقدر احدهما على كتمان شيء من صاحبه كانت قدرتهما ناقصة متناهية ، وان قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كان علم كل واحد منهما ناقصاً متناهيا ، ومن كان علمه أو قدرته متناهيا ناقصا لم يكن إلها صانعا ، بل كان مخلوقا مصنوعا وقد نبه الله على هذه

---

(١) الحديد : ٣ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) الملك : ١ .

(٤) الفرقان : ١ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٤ : ٢٨١ بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء قبله » ورواه أحمد في مسنده ٤ : ٤٣١ بلفظ : « كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء » .

الدلالة بقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[1] » . وقال : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلا[2] » . وفي تحقيق التوحيد وردت سورة الاخلاص الى آخرها وقوله تعالى : « قل إنما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد[3] » .

٤ ـ وأن تعلم ان الخالق لشيء ثابت موجود لا يجوز وصفه بالعدم . لأن الخالق لا يكون خالقا الا بأن يكون قادراً ، ولا يكون قادراً الا والقدرة قائمة والمعدوم لا يقبل هذه الصفات وقال الله في تحقيقه : « الله لا اله الا هو الحي القيوم[4] » وقال تعالى : « فتبارك الله رب العالمين[5] » وذلك يوجب الثبات والقيام والوجود في جميع الأحوال من غير تغير ولا زوال .

٥ ـ وأن تعلم أن الباري سبحانه وتعالى لا يجوز وصفه بالحاجة فانه يلزمه أن يخرج من وصف الحاجة الى وصف الاستغناء وذلك يتضمن بطلان صفة وحدوث صفة . والقديم سبحانه وتعالى لا يجوز عليه البطلان ولا الحدوث واصله قوله سبحانه وتعالى : « والله الغني وانتم الفقراء[6] » بين بهذا ان صفة الحاجة والافتقار عليه محال .

٦ ـ وأن تعلم أن خالق العالم قائم بنفسه . ومعناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه ، وعن محل يحله ، وعن مكان يقله . قال الله تعالى : « الله لا اله الا هو الحي القيوم[7] » مبالغة عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه ، أو موجد يوجده . او مكان يحله .

---

(١) الأنبياء : ٢٢ .
(٢) الاسراء : ٤٢ .
(٣) الانبياء : ١٠٨ .
(٤) البقرة : ٢٥٥ .
(٥) غافر : ٦٤ .
(٦) محمد : ٣٨ .
(٧) آل عمران : ٢ .

٧ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه يرى وتجوز رؤيته بالابصار ، لأن ما لا تصح رؤيتـه لم يتقـرر وجـوده كالمعـدوم ، وكل ما صح وجـوده جازت رؤيتـه كسائر الموجودات . ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة منها قوله تعالى : «تحيتهم يوم يلقونه سلام [١]» واللقاء إذا اطلق في اللغة وقع على الرؤية خصوصاً حيث لا يجوز فيه التلاقي بالذوات والتماس بينهما . ومنها قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة [٢] » . ومنها قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون [٣] » ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤ ية الرب جل جلاله . وقد ورد عن الرسول ﷺ تفسير هذه الآية بذلك ومنها قوله في قصة موسى عليه السلام : « قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني [٤] » ولو لم تكن الرؤ ية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة وأيضاً فانه سبحانه وتعالى قال في جوابه : « لن تراني » ولم يقل لن أُرَى ، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى ، لأنه لو كان لا يصح رؤ يته لكان يقول لن أرى ، ولما خص نفي الرؤ ية به . ومنها قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [٥] » يبين أن جميع الأبصار لا تدركه . مفهومه أن بعضها يدركه . ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك . فقال : «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة [٦] » وان الوجوه الباسرة محجوبة عنه كما فرق بين الفريقين في قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه [٧] » فالوجوه السود محجوبة عنه ، والوجوه البيض الناضرة ناظرة اليه ، ثم أن النبي ﷺ خص لاصحابه هذه الحالة . فقال : « انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون في رؤ يته [٨] » وفي الحديث قيد تحمل عليه آية الرؤ ية فكأنه قال : لا تدركه الأبصار في غير القيامة وتدركه يومئذ فان المطلق يحمل على المقيد .

٨ ـ وأن تعلم أن الخالق لا يشبه الخلق في شيء ، لأن مثل الشيء ما يكون

---

(١) الأحزاب : ٤٤ .
(٢) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٣) يونس : ٢٦ .
(٤) الأعراف : ١٤٣ .
(٥) الأنعام : ١٠٣ .
(٦) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٧) آل عمران : ١٠٦ .
(٨) قد تقدم ذكره .

مشاركا له في جميع أوصافه الجائزة والواجبة والمستحيلة ، ويعبر عنه بان المثلين كل شيئين ينوب أحدهما مناب صاحبه ، ويسد مسده ، واصله قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] » وقوله : « ولم يكن له كفواً أحد » . وقوله : « هل تعلم له سميا[2] » .

٩ ـ وأن تعلم أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية ، لأن الشيء لا يكون مخصوصاً بحد الا ان يخصه مخصص بذلك الحد ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه ، والصانع لا يكون مصنوعا ولا محدوداً ولا مُخَصَّصاً وأصله في كتاب الله تعالى قوله تعالى : «**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**»[3] الآية مع قوله : « **فأتى الله بنيانهم من القواعد**[4] » ومع قوله : « **الرحمن على العرش استوى**[5] » ولو كان مخصوصاً بحد ونهاية وجملة لم يجز أن يكون منسوبا الى أماكن مختلفة متضادة ، وكان لا يجوز ان يكون مع كل واحد ، وان يكون على العرش وان يأتي ببنيان قوم سلط عليهم الهلاك . فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفي الحد والنهاية ، واستحالة كونه مخصوصا بجهة من الجهات . وفي الجمع بين هذه الآيات دليل على أن معنى قوله : « **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**[6] » انما هو بمعنى العلم باسرارهم . ومعنى قوله : « **فأتى الله بنيانهم من القواعد**[7] » أي خلق في بنيان القوم معنى من زلزلة ورجف يكون ذلك سبب خرابه كما قال : « **فخر عليهم السقف من فوقهم**[8] » وان معنى قوله : « **الرحمن على العرش استوى**[9] » معناه قصد الى خلق العرش كما قال : « **ثم استوى الى السماء وهي دخان**[10] » ويكون معنى على في هذا الموضع بمعنى الى ، أو يكون العرش في هذه الآية بمنزلة المملكة كما يقال : ثل عرش فلان . إذا زال ملكه وكما قال الشاعر :

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) مريم : ٦٥ .
(٣) المجادلة : ٧ .
(٤) النحل : ٢٦ .
(٥) طه : ٥ .
(٦) المجادلة : ٧ .
(٧ و ٨) النحل : ٢٦ .
(٩) طه : ٥ .
(١٠) فصلت : ١١ .

قـد نال عرشـا لم ينلـه نائل جن ولا أنس ولا ديار

وقد روى في الخبـر عن النبي ﷺ ما تحقـق به المعنى الـذي بينـا على هذه الظواهر . وذلك أنه ﷺ قال : (كان ملك يجيء من السماء وآخر من الأرض السابعة فقال كل واحد منهما لصاحبه من أين تجيء قال من عند الله)[1]. ولو كان له حد ونهاية استحال كونه في جهتين مختلفتين . فتقرر به استحالة الحـد والنهـاية ، وان جملـة الملكوت تحت سلطانه وقدرته وعلمه ومعرفته .

١٠ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر لأن الجسم يكون فيه التأليف ، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال ، وكل ما كان له الاتصـال أو جاز عليه الاتصال يكون له حد ونهاية . وقد دللنا على استحالة الحد والنهاية على الباري سبحانه وتعالى وقد ذكر الله تعالى في صفة الجسم الزيادة فقال : « وزاده بسطة في العلم والجسم[2] » . فبين ان ما كان جسما جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على الباري سبحانه .

١١ ـ وأن تعلم ان القديم سبحانه ليس بعَرَضٍ لأن العـرض ممـا يستحيل بقاؤه ، ولا يكون الخالق الا باقياً أيضا فان العرض لا يقوم بنفسه ، ولا يكون الخالق الا قائما بنفسه ، ودليله من كتاب الله تعالى فانه سبحانه اطلق اسم العرض على شيء يقل بقاؤه أو لا يعد باقيا في العرف والعادة حيث قال : « تريدون عرض الدنيا[3] » و « هذا عارض ممطرنا[4] » .

١٢ ـ وان تعلم ان الباري سبحانه وتعالى يستحيل عليه الولد والزوجة لأن ذلك لا يكون الا بالاتصال والمماسة وذلك يوجب الحد والنهاية . وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى وحقق الله ذلك بقوله : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[5] » .

---

(١) وهذا لم يثبت .
(٢) البقرة : ٢٤٧ .
(٣) الانفال : ٦٧ .
(٤) الاحقاف : ٢٤ .
(٥) الاخلاص : ٣ - ٤ .

١٣ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له في المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له ، والمملوك يستحيل أن يكون خارجا من ملك الخالق وهذا تحقيق قوله : « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا [١] » .

١٤ ـ وأن تعلم أن الحركة ، والسكون ، والذهاب ، والمجيء ، والكون في المكان ، والاجتماع ، والافتراق ، والقرب ، والبعد من طريق المسافة ، والاتصال ، والانفصال ، والحجم ، والجرم ، والجثة ، والصورة ، والحيز ، والمقدار ، والنواحي ، والأقطار ، والجوانب ، والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لأن جميعها يوجب الحد والنهاية . وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى . وأصل هذا في كتاب الله تعالى وذلك أن ابراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال : « لا أحب الآفلين [٢] » فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقاً .

١٥ ـ وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول ، وعرض ، وعمق ، وألوان ، وهيئات مختلفة ينبغي ان تعتقد ان صانع العالم بخلافه ، وانه قادر على خلق مثله ، والى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله : العجز عن درك الادراك ادراك . ومعناه اذا صح عندك ان الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير ، والتركيب ، والقياس على الخلق صح عندك أنه خلاف المخلوقات . وتحقيقه انك اذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله : « هو الله الخالق البارىء المصور [٣] » وما كان مُصَوَّراً لم يكن مُصَوِّراً ، كما أن من كان مخلوقاً لم يكن خالقاً .

١٦ ـ وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلا

---

(١) الاسراء : ١١١ .
(٢) الأنعام : ٧٦ .
(٣) الحشر : ٢٤ .

للحوادث لم يخل منها وإذا لم يخل منها كان محدثا مثلها . ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام : « لا أحب الآفلين» بين به ان من حل به من المعاني ما يغيره من حال الى حال كان محدثا لا يصح أن يكون إلها .

١٧ ـ وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد ، والنهاية ، والمكان ، والجهة ، والسكون ، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى لأن ما لا يكون محدثا لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث ، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام .

١٨ ـ وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص ، والآفة ، لأن الآفة نوع من المنع ، والمنع يقتضي مانعا وممنوعاً ، وليس فوقه سبحانه مانع وقد نبه الله تعالى عليه بقوله : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون[١] » والسلام هو الذي سلم من الآفات ، والنقائص ، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع ، ويعلم بذلك ان لا طريق للآفات ، والنقائص والموانع اليه وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله : « ذو العرش المجيد[٢] » والمجد في كلام العرب كمال الشرف ومن كان لنوع من النقص اليه طريق لم يكمل شرفه ولم يجز وصفه بقوله مجيد . فلما اتصف به سبحانه علمنا أنه لا طريق للنقص اليه .

١٩ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية ، والكمية ،والأينية[٣]، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو ، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو ، ومن لا أول له لا يقال له مم كان ، ومن لا مكان له لا يقال فيه اين كان . وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ، ونفي الابتداء والأولية . وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اشفى البيان حين قيل له

(١) الحشر : ٢٣ .
(٢) البروج : ١٥ .
(٣) قصده لا يجوز عليه المكان كما بينه بعدُ .

اين الله ؟ فقال : ان الذي أيَّن الأين لا يقال له أين . فقيل له كيف الله ؟ فقال : ان الـذي كيف الـكيف لا يقـال لـه كيف . واعلـم أن الله تعـالى ذكـر في سورة الاخلاص ما يتضمن اثبات جميع صفات المدح والكمال ، ونفي جميع النقائص عنه وذلك قوله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد [١] » في هذه السورة بيان ما ينفي عنه من نقائص الصفات وما يستحيل عليه من الآفات بل في كلمة من كلمات هذه السورة وهو قوله : «الله الصمد[٢]» والصمد في اللغة على معنيين : أحدهما أنه لا جوف له وهذا يوجب أن لا يكون جسما ولا جوهراً لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف . والمعنى الثاني للصمد هو السيد الذي يرجع اليه في الحوائج ، وهذا يتضمن اثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل كما نذكره فيما بعد ، لأن من لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع اليه في الحوائج المتباينة . وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بين صفات النفي والاثبات وقال : « فاعلم انه لا إله الا الله[٣] » وقد نبه عليه الرسول ﷺ فقال : (من عرف نفسه فقد عرف ربه[٤]) معناه من عرف نفسه بالعجز ، والضعف ، والنقص ، والقصور ، عرف أن له رباً موصوفا بالكمال يصح منه جميع الأفعال . فلولاه لم يتم بالعبد العاجز شيء من الواردات عليه . وفي هذا المعنى ورد قول النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله[٥] » اي ابتدئوا بالفكرة في خلق الله حتى اذا عرفتم الخلق بالعجز عرفتم أن له خالقا قادراً موصوفا بأوصاف الكمال ، ومن ابتدأ بالنظر في الخالق أداه الى ما لا يصح من تشبيه ، أو تعطيل .

---

(١) الاخلاص : ١ - ٢ .

(٢) الاخلاص : ٢ .

(٣) محمد : ١٩ .

(٤) - قال النووي : ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع أنه لا يعرف مرفوعاً . وانما يحكى عن يحيى ابن معاذ الرازي في قوله .

(٥) هذا ورد باسناد فيه ضعف خفيف عن ابن عباس .

٢٠ ـ وأن تعلم أن صانع العالم حي ، قادر ، عالم ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير، لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفا باضدادها، وأضدادها نقائص وآفات تمنع صحة الفعل . فصحت ثبوت هذه الصفات له من وجهين : أحدهما : دلالة الفعل . والثاني : نفي النقائص ، وقد دلت على اثبات هذه ظواهر نصوص القرآن . وردت جميعها في الأسماء التسعة والتسعين التي استفاضت بها الأخبار في أسماء الرب جل جلاله .

قال الله تعالى : « الله لا اله الا هو الحي القيوم[1] » وقال : « وتوكل على الحي الذي لا يموت[2] » وقال : « وعنت الوجوه للحي القيوم[3] » وقال : « قل هو القادر[4] » وقال « وهو بكل شيء عليم[5] » وقال : « علام الغيوب[6] » وقال : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء[7] » وقال : « وهو الحكيم العليم[8] » والحكيم من وقع أفعاله على موافقة ارادته . وجاء في صفته ، الرحمن ، الرحيم ، والغفار ، والغفور ، والكريم ، والتواب . وكل ذلك يرجع الى ارادته للتوبة والنعمة ، والمغفرة ويدل على ارادته . ومما يدل على اثبات كونه متكلما قوله تعالى : «من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه[9]» والاذن من صفات الكلام وقوله : « إنه غفور شكور[10]» و«صبار شكور »[11] وشكره للعباد مدحه اياهم على طاعته وذلك من صفات الكلام ، وورد في أسمائه « المجيب » وذلك يتم بالكلام . ومن أسمائه

---

(١) آل عمران : ١ .
(٢) الفرقان : ٥٨ .
(٣) طه : ١١١ .
(٤) الأنعام : ٦٥ .
(٥) الأنعام : ١٠١ .
(٦ ـ ٧) سبأ : ٤٨ و٣ .
(٨) الزخرف : ٨٤ .
(٩) البقرة : ٢٥٥ .
(١٠) فاطر : ٣٠ .
(١١) لقمان : ٣١ .

« الباعث » وذلك مما يدل على الكلام ، ولا يتم بعث الرسل الا بالـكلام وكذلك « الشهيد » معناه أنـه يشهـد أنه أرسله بالصـدق يوم القيامـة . وذلك لا يتـم الا بالكلام . وكذلك « المؤمن » ومعناه أنه يصدق أنبياءه ولا يتم ذلك الا بالـكلام . وورود « السميع ، والبصير » في الكتاب والسنة أظهر من أن يخفى .

٢١ ـ وأن تعلم أن له حياة ، وقدرة ، وعلماً ، وارادة ، وكلاما ، وسمعاً ، وبصراً ، لأن من كان موصوفا بهذه الأوصاف ثبتت له هذه الصفات . ولا يجوز ان يكون غير الموصوف بها موصوفاً بهذه الصفات ، كما لا يجوز أن توجد الصفات من غير أن يكون الموصوف بتلك الأوصاف موصوفا بها . وقد ورد في اثبات العلم له آي كثيرة كقوله تعالى : « انزله بعلمه[١] » « ولا يحيطون بشيء من علمه[٢] » « قد أحاط بكل شيء علما[٣] » وورد في اثبات القدرة له : « ذو القوة المتين[٤] » والقوة والقدرة واحد في العربية . وورد في اثبات الارادة « فعال لما يريد[٥] » « وما تشاؤون الا أن يشاء الله[٦] » فيه دليل على اثبات الارادة والمشيئة .

٢٢ ـ وأن تعلم أن صانع العالم باق لأنا قد دللنا على أنه قديم ، ولا يكون القديم الا باقياً . وقد ورد في أسمائه البديع الباقي ، وورد في اسمائه الحي القيوم ، والقيوم مبالغة من القيام ، وذلك يتضمن كونه باقيا .

٢٣ ـ وأن تعلم أن له بقاء لان ما وصف بكونه باقيا ثبت له البقاء ، وما لا بقاء له لا يكون باقيا بحال . لأن الموجود لو كان باقيا بلا بقاء لكان مستغنيا عن القدرة ، ولوجب منه ان يكون كل موجود في أول حال وجوده قديما ، والمحدث لا يجوز أن يكون قديما بحال ، وينبه على هذا المعنى قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام[٧] » .

---

(١) النساء : ١٦٦ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .
(٣) الطلاق : ١٢ .
(٤) الذاريات : ٥٨ .
(٥) البروج : ١٦ .
(٦) التكوير : ٢٩ .
(٧) الرحمن : ٢٧ .

٢٤ ـ وأن تعلم أنه لا يجوز فيما ذكرناه من صفات القديم سبحانه أن يقال انها هي هو أو غيره ، ولا هي هو ولا هي غيره ، ولا أنها موافقة أو مخالفة ، ولا انها تباينه أو تلازمه ، أو تتصل به أو تنفصل عنه ، أو تشبهه أو لا تشبهه ، ولكن يجب ان يقال : انها صفات له موجودة به ، قائمة بذاته ، مختصة به . وإنما قلنا انها « لا هي هو لان هذه الصفات لو كانت هي هو لم يجز أن يكون هو عالما ، ولا قادراً ، ولا موصوفا بشيء من هذه الأوصاف . لأن العلم لا يكون عالما ، والقدرة لا تكون قادرة ، ولا موصوفا بشيء من هذه الصفات ، وانما قلنا لا يقال أنها غيره ، لان الغيرين يجوز وجود أحدهما مع عدم الآخر ، ولما استحال هذا المعنى في الذات والصفات لم يجز فيه الخلاف المغاير ، وانما قلنا لا هي هو ولا هي غيره لأن في نفي كل واحد منهما اثبات الآخر . وقد بينا استحالة الاثبات فيه . وانما قلنا لا يقال انها توافقه ، أو تخالفه ، أو تباينه ، أو تشبهه . لان جميع ذلك يتضمن المغايرة ، وذلك يتضمن جواز عدم احدهما مع وجود الآخر وذلك محال .

٢٥ ـ وأن تعلم ان ما يمتنع اطلاقه من هذه العبارات التي ذكرناها على الذات والصفات ، يمتنع اطلاقها ايضاً على كل صفة منها مع سائر الصفات . فلا يجوز ان يقال : علمه قدرته ، ولا ان يقال : انه غيرها ، او يخالفها ، أو يوافقها ، او يشبهها ، او لا يشبهها ، لأن جميع ذلك يتضمن اثبات المغايرة وذلك يتضمن جواز وجود احدهما مع عدم الآخر ، وذلك محال في الصفات بعضها مع بعض وقد نبه رسول الله ﷺ في خبر عمران بن الحصين على ما يتضمن هذا المعنى الذي وصفناه حين قال : «كان الله ولم يكن معه شيء غيره »[1] وذلك اثبات الصفات ونفي المغايرة بينها .

٢٦ ـ وأن تعلم أن كل صفة قامت بذات الباري جل جلاله لم تكن إلا ازلية قديمة ، لما قد بينا قبل ان حدوث الحوادث في ذاته لا يجوز .

٢٧ ـ وأن تعلم ان العدم لا يجوز عليه ولا على شيء من صفاته ، لأنا قد دللنا

---

(١) وقد تقدم تخريج هذا الحديث .

على قدم ذاته وصفاته والقديم لا يبطل وقد دللنا عليه لان البطلان علم الحدوث . ولهذا قال ابراهيم الخليل «لا احب الأفلين » استدل بأفوله وبطلانه على حدوثه .

٢٨ ـ وأن تعلم ان علمه سبحانه عام في جميع المعلومات ، وقدرته عامة في جميع المقدورات ، وارادته عامة في جميع الارادات علمها على ما هي عليه واراد ان يكون ما علم ان يكون ، واراد ان لا يكون ما علم ان لا يكون ، ولا يجرى في مملكته ما لا يريد كونه لان شيئاً من صفاته هذه لو اختص ببعض لما صح ان يكون عاماً . وما كان مختصاً به متناهياً في ذاته اقتضى مخصصاً يخصه بما اختص به وذلك علم الحدوث ، ومما يدل على اوصافه من كتاب الله تعالى قوله : «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة »[1] » وقوله تعالى : « وكان الله بكل شيء عليماً»[2] وقوله تعالى في معنى القدرة : «والله على كل شيء قدير»[3] وقوله تعالى : «الله خالق كل شيء»[4] وهل يكون الخلق الا بالقدرة ، وذلك يدل على عموم القدرة في جميع المقدورات . وجاء في عموم الارادة قوله تعالى : «انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » [5] وفي هذه الآية دليل على عموم ارادته وعلى أن كلامه قديم لأنه بين انه لا يخلق شيئاً الا ان يقول له كن ، ولو كان ذلك محدثاً لكان مفعولاً له بكن ، وكذلك الثاني والثالث ويتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له . ومما يدل على عموم كلامه في متعلقاته ونفي النهاية عنه قوله تعالى : «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً» [6] . وإذا تقرر عموم قدرته وعلمه فاعلم انه يجوز ان يقال في وصفه سبحانه انه عالم بكل شيء . كما يجوز ان يقال انه عالم بجميع المعلومات . ويجوز ان يقال أنه سبحانه وتعالى قادر على جميع المقدورات ، ويستحيل ان يقال انه قادر على كل شيء على هذا الاطلاق ، لان القديم شيء يستحيل ان يتعلق به القدرة ،

---

(١) يونس : ٦١

(٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) المائدة : ١٧ .

(٤) الزمر : ٦٢ .

(٥) النحل : ٤٠ .

(٦) الكهف : ١٠٩ .

والذي جاء في القرآن من اطلاق القول بانه «على كل شيء قدير» دخله ضرب من التخصيص ومعناه : على كل شيء مقدور قدير ولهذا قال أهل المعرفة ان آية العلم لم يدخلها التخصيص ، وآية القدرة دخلها تخصيص . فاما كون العلم والقدرة لم يدخلها التخصيص فبمعنى ان يقال في العلم انه عام في جميع المعلومات ، وفي القدرة انها عامة في جميع المقدورات .

٢٩ ـ وأن تعلم ان كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت [١] لان الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر ، وذلك مستحيل على القديم سبحانه ، وما دل من كتاب الله تعالى على أن متعلقات الكلام لا نهاية لها دليل على انه ليس بحرف ولا صوت لوجوب التناهي فيما صح وصفه به .

٣٠ ـ وأن تعلم ان كلام الله قديم ، وكلام واحد أمر ونهي ، وخبر واستخبار على معنى التقدير ، وكل ما ورد في الكتب من الله تعالى باللغات المختلفة ، العبرية ، والعربية ، والسريانية ، كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله تعالى ، ولو جاء اضعاف اضعافه لم تستغرق معاني كلامه ، لمعاني كلام الله تعالى لا تستغرقها عبارات المعبرين ، كما ان معلومات علم الله لا يستغرقها عبارات المعبرين ، ومقدورات قدرته لا يمكن ضبطها بالحصر والتحديد ، وعلى هذه الجملة يدل قوله تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » [٢] . وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي» [٣] الآية كما وصفناه قبل .

٣١ ـ وأن تعلم أنه اذا تقرر استحالة التخصيص على صفاته القائمة بذاته ووجوب عمومها في متعلقاتها ثبت به عموم قدرته في جميع مقدوراتها ، وثبت انه سبحانه قادر على اماتة جميع الخلق ، وابطال جميع الموجودات ، وعلى أن يخلق

---

(١) وفتاوى كبار اهل العلم في الرد على القائلين بالحرف والصوت مدونة في كتاب «نجم المهتدي ورجم المعتدي» لابن المعلم القرشي ، فمن شاء فليراجعه وهذا الكتاب محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم / ٦٣٨ علم الكلام . وفيه من الحجج القاصمة لظهور المشبهة والملاحدة والمعطلة .

(٢) النمل : ٤٠ .

(٣) الكهف : ١٠٩ .

اضعاف ما خلق كيف شاء، ومتى شاء واين شاء ، وانه سبحانه وتعالى قادر على بعث الرسل ، وانزال الكتب ، واظهار المعجزات الدالة على صدقهم فانه قادر على الحشر والنشر ، وثواب اهل الطاعات ، وعقاب اهل المعاصي كما قال الله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده»[1] . وقال سبحانه : « وإذا القبور بعثرت»[2] . وقال جل جلاله : « قال من يحيي العظام وهي رميم»[3] وقال تعالى : « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»[4] وقال : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»[5] وقال تعالى : « وعرضوا على ربك صفاً»[6] وقال تعالى : « لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً»[7] .

٣٢ ـ وأن تعلم انه سبحانه وتعالى لا اعتراض عليه في جميع ما يأتيه او يذره . لا يقال فيما فعله لم فعله ؟ ولا فيما تركه لم تركه ؟ لأن الاعتراض انما يتوجه الى من صدر قوله عن-امر آمر ، ونهى ناه ، وزجر زاجر . وانما يتوجه الأمر على من اذا خالف كان للعقوبة اليه سبيل ، ولا سبيل للعقوبة الى الله تعالى ، فلا يتوجه عليه الامر ،

واذا لم يتوجه عليه الأمر استحال عليه الاعتراض، ولهذه النكتة قلنا : انه لا يجوز عليه سبحانه حظر ولا وجوب ، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا المعنى بقوله : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »[8] . وقال سبحانه وتعالى : هو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون »[9] . وقال سبحانه وتعالى : « ألا له الخلق والأمر »[10] . وقال سبحانه وتعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »[11] .

٣٣ ـ وأن تعلم انه سبحانه وتعالى حكيم في جميع افعاله ، وحقيقة الحكمة في

---

(١) الروم : ٢٧ .
(٢) الانفطار : ٤١ .
(٣) يس : ٧٨ .
(٤) الكهف : ٤٧ .
(٥) البقرة : ٢٨١ .
(٦) الكهف : ٤٨ .
(٧) الكهف : ٤٨ .
(٨) القصص : ٦٨ .
(٩) القصص : ٧٠ .
(١٠) الاعراف : ٥٤ .
(١١) الانبياء : ٢٣ .

افعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وارادته ، وهو الحكمة في افعال الحكماء في الشاهد ، لان من فعل فعلاً لا يقع على موافقة ارادته يقال انه لم يرتبه على حكمة منه فيه . فاذا حصل مراده فيه يقال انه حكيم في فعله ، ولا يمكن ان يقال في شيء من افعاله انه كان ينبغي ان يوقعه على خلاف ما اوقعه ، لانه يتصرف في ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله . ولهذا قلنا ان شيئاً من افعاله لا يكون ظلماً ، وانه سبحانه يستحيل الظلم في وصفه لانه لا يتصرف في غير ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله . ومن تصرف في ملكه فليس بظالم في أفعاله . قال الله تعالى : « **تنزيل من حكيم حميد** »[١] وقال : « **وكان الله بكل شيء عليما** »[٢] . وقال سبحانه وتعالى : « **أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون** »[٣] .

٣٤ ـ وان تعلم ان الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة ، والمعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة في زمان التكليف موافقاً لدعواه وهو يدعو الخلق الى معارضته ويتحداهم ان يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين به صدق من يظهر على يده . وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيداً بمعجزة او معجزات كثيرة تدل على صدقه . وقد اخبر الله تعالى عن كثير منها فذكر في قصة موسى عليه السلام . فلق البحر ، وقلب العصا حية ، واليد البيضاء ، وفي قصة داود وسليمان تليين الحديد ، وتسخير الريح ، والشياطين ، والطيور وجميع دواب الارض في البر والبحر ، وفي قصة عيسى عليه السلام ، احياء الموتى ، وابراء الأكمه ، والابرص ، وذكر في صفة المصطفى ﷺ انه يدعو مخالفيه الى معارضة ما اتى به من القرآن أو سورة منه فقال تعالى : « فأتوا بسورة من مثله »[٤] فكان القرآن

---

(١) فصلت : ٤٢ .
(٢) الأحزاب : ٤٠ .
(٣) المؤمنون : ١١٥ .
(٤) البقرة : ٢٣ .

معجزة له قاهرة لأعدائه ، الى معجزات كثيرة سواها ظهرت على يده بخلاف العادة مثل : تكليم الذراع ، وتسبيح الحصى في يده، ونبوع الماء من بين اصابعه ، وحنين الجذع عند مفارقته ، واجابة الشجرة عند دعوته ، وانشقاق القمر في وقته ، كل ذلك قريب من مائتي معجزة ذكرنا اكثرها في «الاوسط» كل ذلك مشهور في كتب الأخبار والتواريخ مذكور ، اتفق اهل النقل على وجودها ، ونقولها بطرق يجب القطع على معناها .

٣٥ ـ وأن تعلم ان المعجزة لا يجوز ظهورها على ايدي الكذابين ، لان التفرقة بين الصادق والكاذب من حيث الدليل امر متوهم ، ولا سبيل اليه الا بتخصيص الصادق بالمعجزة ، فلو انها ظهرت على يد الكاذب بطريق التفرقة وجب به تناهي القدرة وذلك مستحيل في الحقيقة . وايضاً فان حقيقة المعجزة هي الدلالة على صدق صاحب المعجزة ، ومن المحال الذي لا يعقل، خروج الشيء عن حقيقته . فكيف يظهر دليل الصدق على يد من هو كاذب في قوله وذلك متضمن لقلب الحقائق وقد بين الله تعالى في كتابه ان المعجزة حجة الصادقين حيث قال : «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» [1] وقوله تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» [2] ولو أنها ظهرت على أيدي الكذابين لم تكن دلالة الصدق .

٣٦ ـ وأن تعلم انه لا يجب على الخلق شيء الا بأمر يرد من قبل الله تعالى على لسان رسول مؤيد بالمعجزة ، وان كل من اتى فعلاً او ترك امراً لم يقطع له بثواب ولا عقاب من قبل الله تعالى . اذ لا طريق في العقل الى معرفة وجوب شيء على الخلق ، لأنه لو كان في العقل طريق الى معرفة الوجوب في كل شيء فان الوجوب له حقيقة واحدة ، فلو جاز معرفته مضافاً الى شيء جاز معرفته مضافاً الى كل شيء ، وكان يجب ان يعرف بالعقل جميع الواجبات من غير ورود شرع ، واصله في كتاب الله وهو

---

(١) النمل : ٦٤ .

(٢) هود : ١٣ .

قوله سبحانه : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً »[1] فأمن من العقوبة من قبل الرسل فلو تقرر قبله وجوب واجب لم يؤمن العقوبة على تركه وقوله سبحانه : «وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً »[2]وقوله تعالى : « ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك»[3] وقوله تعالى : « ألم يأتكم نذير »[4] وقوله تعالى : « وجاءكم النذير[5] »وقوله تعالى : « ألم يأتكم رسل منكم »[6]وقوله تعالى : «إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده» الى قوله « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[7] فبين ان لا دليل على الخلق الا قول الرسل فبان به ان مجرد العقول لا دليل فيه على الخلق من قبل التعبد والذي يؤيد قولنا فيه ان من زعم ان العقل يدل على وجوب شيء يفضي به الامر الى اثبات الوجوب على الله سبحانه وتعالى ، لانهم يقولون اذا شكر العبد الله وجب على الله الثواب . ثم لا يزال الوجوب دائراً بينهما وذلك يؤدي الى ما لا يتناهى . واي عقل يقبل توجه الوجوب عليه ولا واجب الا بموجب وليس فوقه سبحانه موجب .

٣٧ ـ وأن تعلم ان الله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب وبين الثواب والعقاب وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم . وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة . وكل ما قالوه فهو صدق، وكل ما فعلوه فهو حق ، والعلم الدال على وصفهم ذلك قيام المعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم ، وصحة قولهم . وقد اخبر عنه سبحانه أوجب التوحيد والشريعة . وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه جملة وتفصيلاً . فالجملة في قوله تعالى :(إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده[8]) إما التفصيل ففي مثل قوله تعالى: « ولقد أرسلنا نوحاً »[9] وقوله

---

(١) الاسراء : ١٥ .

(٢) القصص : ٥٩ .

(٣) طه : ١٣٤ .

(٤) الملك : ٨ .

(٥) فاطر : ٣٧ .

(٦) الزمر : ٧١ .

(٧ و٨) النساء : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٩) المؤمنون : ٢٣ .

تعالى : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات» [1] وقوله تعالى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون» [2] وقد نبه على الجملة أيضاً في قوله : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » [3]

٣٨ ـ وأن تعلم ان محمداً صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة جاءنا بالصدق في رسالته وفي جميع افعاله واقواله . وكان معجزته القرآن تلاه على الخلق وتحداهم الى معارضته . وطلب الطاعة منهم وقال لهم متى اتيتم بسورة من مثله فلا طاعة لي عليكم . فاجتهد اهل اللغة في اسقاط طاعته عن انفسهم وعن أموالهم وذراريهم فلم يمكنهم ، ولو امكنهم أن يدفعوه عن أنفسهم وأموالهم وأهاليهم بكلام يأتون به لما قصدوا الحرب والمسايفةالتي فيها القتل ، والأسر، والاسترقاق ، والنهب ، والغصب والسلب في الذخائر والأموال . فلما لم يأتوا علمنا انهم اعرضوا عن الاتيان به للعجز عنه ؛ كما ان سحرة فرعون في زمان موسى عجزوا عن معارضته فبان به كونه محقاً في دعوته . وكما ان عيسى عليه السلام في ايامه اعجز الاطباء عن مثل ما اتى به . واعلم ان تحقيق نبوة المصطفى ﷺ ظاهرة في كتاب الله تعالى حين قال تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً)[4] وحيث قال : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[5] وذلك مذكور في غير موضع من الكتاب وقال في وصف معجزته :(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) [6] الآيتين .

٣٩ ـ وأن تعلم ان الذي بعث به المصطفى ﷺ هو الاسلام . وان معجزته دليل على صدقه في جميع ما اخبر به : فمما اخبر به قوله ﷺ : (ان لا نبي بعدي)[7] وقوله

(١) غافر : ٣٤ .
(٢) يونس : ٧٥.
(٣) النساء : ١٦٤ .
(٤) الاحزاب : ٦٤.
(٥) الاحزاب : ٤٠
(٦) البقرة : ٢٣ .
(٧) اخرجه بمعناه احمد في مسنده ٢ : ٣٩٨، وابو داود ٢ : ٢٠٢ : في اول كتاب الفتن : ذكر الفتن ودلائلها.

ﷺ : (بني الاسلام على خمس . شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) [1] وبين انها واجبة الى يوم القيامة لا تنقطع ولا ترتفع . واخبر انهم يحيون في القبور ، ويسألون عن الدين ثم يعاقب العصاة، وينعم اهل الطاعات الى وقت المحشر وما بعده . ومما اخبر عنه هو الحشر والنشر، واقامة القيامة وانها كائنة لا يعرف وقتها الا الله، وان الخلق يحشرون ويحاسبون، ثم يخلد اهل الجنة في الجنة في نعيم دائم وأنهم يرون ربهم زيادة في كرامتهم واتماماً لفضله عليهم . ويخلد الكفار والمرتدون في عذاب جهنم لا محيص لهم عنها بحال . وان قوماً من العصاة يعاقبون في النار ثم يخرجون منها بشفاعة المصطفى ﷺ وبشفاعة العلماء ، والزهاد ، والعباد ، وشفاعة اطفال المؤمنين ، فمن لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الايمان فانه يخرج من النار برحمة الله جل جلاله . وكثير من عصاة المؤمنين يغفر لهم قبل ادخال النار اما بشفاعة الرسول ، واما برحمة الجبار . ولا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان . واعلم ان المؤمن لا يصير كافراً بالمعصية ولا يخرج بها عن الايمان لأن معصيته كائنة في طرف من الأطراف لا تنافي ايماناً في القلب . وقد قال الله تعالى : «انا لا نضيع أجر من أحسن عملا» [2] وقال ﷺ (لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر) [3] اي من الكفر . ومثقال ذرة من الإيمان اعتقاد مستخلص عن الشرك ، والافك ، والشك ، والشبهة كما وصفناه . ومتى ما اختلط به شائب من شوائب الكفر والبدع لم يستحق صاحبه اسم الايمان كما بينه الشافعي رحمه الله في قوله : الشرك يشركه الشرك والاسلام لا يشركه الشرك . وقوله : الحلف في الصفة كالحلف في العين . وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله: « وما يؤمن أكثرهم بالله

---

(١) وقد تقدم ذكره .

(٢) الكهف : ٣٠ .

(٣) انظر مسند احمد ١ : ٣٩٩ ، وابو داود ٢ : ١٨٠ ، كتاب اللباس : باب ما جاء في الكبر ، واخرجه مسلم : في الايمان .

إلا وهم مشركون»[1] فتقرر به ان العقائد المشروطة في وصف الايمان ما لم تسلم عن انواع البدع والالحاد لم يكن ايماناً على الحقيقة . وقد ورد في معنى الشفاعة قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»[2] .

وقد روى انس بن مالك أن النبيﷺ قال في تفسير هذه . « إذا جاء يوم القيامة طلب الخلق الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام فيقولون عليهم السلام : اذهبوا لمحمد عليه الصلاة والسلام فانه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتيه الخلق ويسألونه الشفاعة قال . فاستأذن على الله فيأذن لي فاسجد ويلهمني الله محامد لم يلهمني مثلها قبله . فاحمده ثم أرفع رأسي من السجود فيقال لي : قل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع . فلا أزال أشفع حتى أخرج من النار كل من قال لا إله الا الله[3] » وورد في شفاعة الأطفال « يظل الفرط محبنطئا على باب الجنة يقول لا أدخل حتى يدخل أبواي »[4] . وقال النبيﷺ :(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[5] فبين أن أهل الكبائر يومئذ لا ييأسون من رحمة الله تعالى . والأخبار في هذا الباب ظاهرة مستفيضة لا ينكرها من له معرفة بموارد الاخبار . وقد ورد في وصف الحساب والميزان قوله تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»[6] . وقد ورد في الأخبار ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الذي يوزن به الأعمال . فلما رآه سقط وغشي عليه ، فلما أفاق قال : من ذا الذي يطيق أن يملأ هذا من الحسنات ؟ فقال يا داود : إذا رضيت عن عبدي ملأت هذا بتمرة واحدة . ومما جاء في الحساب قوله تعالى : «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها»[7] وقوله تعالى : « وكل انسان الزمناه طائره في

---

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) الاسراء : ٧٩ .

(٣) أخرجه البخاري : في الرقاق : باب صفة الجنة والنار . ومسلم : في الأعيان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(٤) اخرج أحمد في مسنده ٤ : ١٠٥ بنحو هذا اللفظ .

(٥) أخرجه الترمذي : في صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة . وأبو داود : في السنة : باب في الشفاعة . وابن ماجه : في الزهد : باب ذكر الشفاعة .

(٦) الأنبياء : ٤٧ .

(٧) الكهف : ٤٩ .

عنقه[1] » وقوله تعالى : « فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً[2] » وقوله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية[3] » وقوله تعالى : « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية » .

وقد ورد في الخبر عن المصطفى ﷺ : (ان صحف الأعمال توزن فمن زادت حسناته على سيآته دخل الجنة [4]) . وقد ورد في معنى الحوض قوله تعالى : «انا أعطيناك الكوثر» . وقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعس نعسة ثم رفع رأسه فضحك وتبسم ثم قال : « أتعرفون لماذا ضحكت فقالوا الله ورسوله أعلم . فقال : نزلت علي في هذه الساعة سورة (انا أعطيناك الكوثر) . أتعرفون ما الكوثر . ؟ الكوثر نهر في الجنة أعده الله لي ، ولذلك النهر حوض تأتيه أمتي يوم القيامة ، وأوانيه عدد الكواكب أو أكثر ،وقد يأتيه من يمنع من ذلك . فأقول يا رب انه من أمتي ، فيقول ما تدري ما أحدث بعدك[5] ثم وصف النبي ﷺ ذلك الحوض في أخبار كثيرة فقال : « حصاه من الياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر ، والدر والمرجان ، وحمأته من المسك ، وترابه من الكافور أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، خروجه يكون من تحت سدرة المنتهى ، طوله وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ومن توضأ منه لم يشعث أبداً ، تحوم حوله طيور أعناقها كأعناق الابل فقال أبو بكر ، وعمر ما أنعم تلك

---

(١) الاسراء : ١٣ .

(٢) الانشقاق : ٧ ـ ٩ .

(٣) القارعة : ٦ ـ ١ .

(٤) هناك احاديث كثيرة في وزن الأعمال يوم القيامة ، وردت بالفاظ كثيرة وقد قال البيهقي في كتابه الاعتقاد ص/ ٣١١ : فالايمان بالميزان واجب . وأنظر مسند أحمد ٢ : ١٠٥ وأخرج مسلم بمعناه ٣ : ١٤٢ : كتاب التفسير : سورة هود .

(٥) أصل الحديث في الصحيحين وورد في الترمذي وغيره ما معناه ولفظ البخاري ٤ : ١٤١ : في صفة الجنة : باب في الحوض قال : انا فَرَطُكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما احدثوا بعدك .

الطيور . فقال النبي ﷺ : أنعم منها من يأكلها » . وقد ورد في معنى ما ذكرناه من ان المؤمن لا يكون بالمعاصي كافراً ، ولا يخرج من الايمان ، ولا يكون خالداً مخلداً في النار واحد من المؤمنين لقوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[1] »وقوله : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[2] وقال النبي ﷺ : «لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان[3] » وقد ورد في معنى احياء الموتى في القبور ما لا يحصى من الآي والأخبار والآثار حتى لا يوجد موافق ولا مخالف الا وهو يقرأ في التشهد ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار . ومر المصطفى ﷺ بقبرين فقال : (انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير . اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول[4]) وقد ورد في الدعوات المأثورة عن المصطفى ﷺ « أعوذ بالله من الكفر ، والفقر ، وعذاب القبر[5] » وقد وردت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ في صفة منكر ونكير ، وذكر انهما يسألان في القبر فقال عمر رضي الله عنه : أو يكون معي عقلي ؟ قال : نعم . قال أنا أكفيهما . وانما أراد بهذا الكلام أني أصف لهم الايمان ، وكل من خرج من الدنيا على صفة الايمان ووصف لهما دينه لم يستعرضا له ، وكانا له مبشراً وبشيراً ، وقالا له : نم نومة العروس الى يوم القيامة ، فان وصف بخلافه والعياذ بالله منه قالا له : نم نومة المنهوش . وقد ورد في الخبر الظاهر ان المنكر والنكير قد يسألان بعضهم فيقولان من ربك ؟ فيقول ربي الله . فيقولان من رسولك ؟ فيقول محمد عليه السلام . فيسألانه عن صفة الرب وصفة الرسول فيقول : لا ادري سمعت الناس يقولونه وكنت أقول معهم . فيقولون له لا دريت ويعذبانه فيمن يعذب . وأصل

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) الكهف : ٣٠ .

(٣) ولفظ مسلم : يخرج من النار من قال :لا إله إلا الله وفي قلبه من الايمان ما يزن بُرَّة » رواه في كتاب الايمان . باب كون النهي عن المنكر من الايمان وورد في النسائي : في الايمان : باب تفاضل أهل الايمان وابن ماجه : في الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه : ١ : ١٢٥ : كتاب الطهارة : باب التشديد في البول عن ابن عباس .

(٥) وعند الترمذي الاستعاذة من الهم ، والكسل ، وعذاب القبر .

هذه المسألة في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه في صفة آل فرعون : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**[1] » ولو كان المراد بالأول عذاب النار لما ورد القيامة بعده بالذكر وقوله سبحانه في صفة المؤمنين : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء**[2] » وقوله تعالى خبرا عنهم : « **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا**[3] »وأراد به الاماتة عند الخروج من الدنيا والاحياء في القبر ثم الاماتة فيه ، ثم الاحياء يوم الحشر والنشر ، ولا يمكن حمله الا على الاحياء بعد حلول الموت . والمواتية لا تسمى موتاً في عرف اهل اللغة ، ولا ينكر ما استفاض به الاخبار ونطقت به الآيات من الاحياء في القبر الا من ينكر عموم قدرة الله تعالى ، ومن انكر عموم قدرته سبحانه وتعالى كان خارجاً عن زمرة اهل الاسلام .

٤٠ ـ وأن تعلم أن الصراط حق ، والجنة والنار مخلوقتان ،وكل ذلك وارد في القرآن وفي الأخبار الظاهرة عن المصطفى ﷺ على وجه لا يُبقي شكا ولا شبهة لمن ترك العصبية . وقد صرح الله تعالى بذكر النار والجنة ووجودهما واعداد الجنة للمؤمنين والنار للكافرين ، وانزال آدم عليه السلام في الجنة ثم اخراجه منها واهباطه الى الأرض ، وما ورد عن الرسول ﷺ أنه دخل الجنة ليلة المعراج ، ورأى فيها قصراً لعمر رضي الله عنه وقال لعمر : « ما منعني أن أدخله إلا غيرتك[4] » فبكى عمر رضي الله عنه وقال : أوعليك كنت أغار يا رسول الله . وقال ﷺ : « سمعت حسه فالتفت فإذا هو بلال[5] » وكان ذلك من صفات الموجودات . فان المعدوم لا يتصف بهذه الصفات ، ومن تأمل ما ورد فيه من الآي ، والأخبار ، والآثار لم يستجز انكاره .

٤١ ـ وأن تعلم ان الاجماع حق ، وما اجتمع عليه الأمة يكون حقاً مقطوعا

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) ابراهيم : ٢٧ .

(٣) غافر : ١١ .

(٤) أخرج الطبراني ما معناه عن انس ، وأخرجه احمد كذلك .

(٥) اخرجه احمد عن ابن عباس .

على حقيقته قولا كان أو فعلا لقوله ﷺ : « لا تجتمع امتي على الضلالة[1] » ولو جاز اتفاقهم باجمعهم على الكذب لجاز اتفاقهم على كتمان شيء من الشريعة ، ولبطل به الاعتماد على الدلالة الموصلة الى التكاليف الشرعية ، ولسقط التكليف والشريعة ، ولكان العلم بالبلدان النائية والقرون الخالية ، والملوك الماضية متعذراً اذ لا سبيل الى معرفتها الا بالنقل على التظاهر والتواتر ، والاتفاق عليه من أهل النقل ، وأصل الاجماع من كتاب الله تعالى قوله سبحانه وتعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا[2] » .

٤٢ ـ وأن تعلم أن من جملة ما اجتمع عليه المسلمون ان عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من أهل الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم أجمعين . وأجمعوا أيضا على أن نساءه ، وأولاده ، وأحفاده كلهم كانوا من أهل الجنة ، وأنهم كانوا مؤمنين وانهم كانوا من أعلام الدين لم يكتموا شيئا من القرآن ولا من أحكام الشريعة ، وكذلك أجمعوا على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول ﷺ وعلى أنهم لم يكتموا شيئا من القرآن والشريعة ، بل ساروا أحسن سيرة ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين ، وقد اثنى الله تعالى في كتابه عليهم حيث قال تعالى : «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراةومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيما[3] » . وقال ﷺ في صفة أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما :

---

(١) ولفظ ابن ماجه : « ان امتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم » رواه في سننه : كتاب الفتن ورواه احمد بلفظ «لن تجتمع أمتي الا على هدى » ٥ : ١٤٥ . وهذا الحديث اسناده ضعيف .

(٢) النساء : ١١٥ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر »[1] وقال في صفة عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟[2] » وقال في صفة علي رضي الله عنه : « أقضاكم علي[3] » وقال في صفة الحسن والحسين رضي الله عنهما : « انهما سيدا شباب أهل الجنة[4] » وقال في فاطمة رضي الله عنها : « سيدات نساء العالمين أربع ، فاطمة ، وخديجة ، وآسية ، ومريم بنت عمران » « وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[5] » وأخرج هذا الكلام مخرج عادة العرب في تفضيلهم الثريد حتى قالوا : ثردوا ولو بالماء . وقال في عائشة : « انها لفقيهة » . وقال في وصف فاطمة : « ان فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها ، ويسوؤني ما يسوؤها[6] » وقال في فضل أصحابه أجمعين : « كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم[7] وقال في وصف ابن مسعود رضي الله عنه : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد[8] » وقال في وصف أبي ذر الغفاري : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرءاً أصدق لهجة من أبي ذر[9] » وقال في صفة أبي عبيدة الجراح : « أمين أمتي[10] » وقال في الزبير : « ان

---

(١) اخرجه ابن ماجه في سننه ١ : ٥٥ وهذا غير ثابت .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : في المناقب : ١٩ .

(٣) ورد بالفاظ شتى عند أحمد وغيره مرفوعاً وموقوفاً .

(٤) أخرجه الترمذي : في المناقب ، وأخرجه أحمد في مسنده ٣ : ٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ٣ : ٢٩٧ : كتاب الأطعمة : باب الثريد عن أبي موسى الأشعري ، وأحمد في مسنده ٣ : ١٥٦ .

(٦) أول الحديث في الصحيحين ، وما زاد فقد أخرجه احمد بمعناه ، والبيهقي كذلك . أنظر البخاري ٢ : ٣٠٢ : باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ .

(٧) رواه البيهقي ، واسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ اصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » انظر : كشف الخفا ١ : ١٣٢ . وهذا الحديث اسناده ضعيف .

(٨) أخرجه البيهقي والديلمي وغيرهما .

(٩) أخرجه أحمد في مسنده ٢ : ١٦٣ .

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ٢ : ٣٠٥ : باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح عن أنس بن مالك بلفظ : ان لكل أمة أميناً وان أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

في كل أمة حواري وحواري أمتي الزبير»[1] . والأخبار في فضل الصحابة رضي الله عنهم اكثر من ان يحتمله هذا المختصر والمقصود ههنا أن تعلم أن الخلفاء الراشدين كانوا على الحق ، وان جملة أصحاب رسول الله ﷺ كانوا محقين ، مؤمنين ، مخلصين ، صادقين ، وكان تقديمهم لمن قدموه ، وتقريرهم في ما قرروه حقاً وصدقا ، وكلهم كانوا يقولون لأبي بكر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ، وكانوا يخاطبون عمر ، وعثمان ، وعلياً ، وكذلك علي رضي الله عنه كان يخاطبهم بذلك وكان يخاطب بمثله في أيامه .

٤٣ ـ وان تعلم ان كل من تدين بهذا الدين الذي وصفناه من اعتقاد الفرقة الناجية فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم . فمن بدعه فهو مبتدع ، ومن ضلله فهو ضال ، ومن كفره فهو كافر ، لأن من اعتقد ان الايمان كفر ، وان الهداية ضلالة ، وأن السنة بدعة ، كان اعتقاده كفرا وضلالة وبدعة واصل هذا مأخوذ من قول النبي ﷺ : « من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء به أحدهما[2] » فجاء من هذه الجملة انا لا نبدع الا من بدعنا ، ولا نضلل الا من ضللنا ، ولا نكفر الا من كفرنا وقد أنصف القارة من راماها .

٤٤ ـ وأن تعلم ان كل ما يجب معرفته في أصول الاعتقاد يجب على كل بالغ عاقل ان يعرفه في حق نفسه معرفة صحيحة صادرة عن دلالة عقلية لا يجوز له أن يقلد فيه ولا ان يتكل فيه الأب على الابن ، ولا الابن على الأب ، ولا الزوجة على الزوج ، بل يستوي فيه جميع العقلاء من الرجال والنساء . وأما ما يتعلق بفروع الشريعة من المسائل فيجوز له أن يقلد فيه من كان من أهل الاجتهاد ، فان في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : ٢ : ٣٠٢ : باب مناقب الزبير بن العوام عن جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة بلفظ : إذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء به أحدهما ؛ وفي المعجم الكبير للطبراني زيادة ان كان الذي قيل له كافراً فهو كافر والا رجع الى من قال »

تكليف التعليم وتحصيل أوصاف المجتهدين على العموم قطع الخلق عن المعاش ثم المعاد وما كان في اثباته سقوطه وسقوط غيره كان ساقطا في نفسه ، وقد ذكر الله تعالى الأصول والفروع ، فذم التقليد في الأصول وحث على السؤال في الفروع ، فأما مذمة التقليد في الأصول ففي قوله تعالى : « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون[1] » وفي آية أخرى « مقتدون » وأما الحث على السؤال في الفروع ففي قوله تعالى : « فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[2] » .

٤٥ ـ وأن تعلم أن السؤال واجب عند الحاجة ووقوع الحادث لأنه لو لم يسأل وعمل من ذات نفسه وأخطأ أو أصاب لم يكن فعله امتثالا لأمر الله تعالى ولم يجز أن يكون عبادة يتقرب بها المتعبد ، ولهذا امر الله بالسؤال في قوله : « فاسألوا أهل الذكر » وهذا كما أن المسلمين اجمعوا على أن الأعمى يسأل عن القبلة ثم يصلي إليها ، فان لم يسأل وأصاب لم يعتد بصلاته ،وكانت الاعادةواجبة عليه . كذلك العاميُّ اذا عمل من ذات نفسه أو سأل مَنْ ليس من أهل السؤال فأصاب في عبادته لم يعتد له بفعله ؛ وكانت الإعادة واجبة عليه . هذا في العبادات على قول اكثر أهل السنة .

فأما في العقود اذا وافق الشرط المعتبر فيه من غير سؤال كان جائزاً . لأن النية فيها غير معتبرة وهي في العبادة معتبرة . وحقيقة النية ان يوقع فعله امتثالا لامر الآمر بطريقه ، فاذا عدل عن الطريق المأمور به لم يكن امتثالا لأمر الآمر فلم يصح الاعتداد به .

٤٦ ـ وان تعلم ان من كان من أهل التقليد في أحكام الشريعة فانه يجب عليه السؤال ولا يجوز له أن يسأل كل أحد إذ لو جاز ذلك لجاز ان يعمل من ذات نفسه إذ

---

(١) الزخرف : ٢٢ .
(٢) النحل : ٤٣ .

لا فرق بين شخص وشخص اذا لم يعتبر فيه صفات المجتهدين . ولهذا قال الله تعالى : « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**[1] »وقال ﷺ : «ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[2] » فثبت بهذا أن على العامي اذا أراد السؤال ضربا من الاجتهاد حتى يميز بين من يكون أهلا لمعرفة ما يسأل عنه ، وبين من لا يكون أهلا له . ويحصل له المعرفة بطول الدراية والتسامع .

٤٧ ـ وأن تعلم أن من حصل له ما ذكرناه من المعارف المشروطة في صحة الاعتقاد فواجب عليه اظهاره والاقرار به عند الحاجة اليه والمطالبة به ، ولا يجوز له جحوده ولا كتمانه قال الله تعالى : « **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**[3] »وحقيقة الايمان أن يصحح المعرفة بما ذكرناه من شروط الايمان ، ويقر به عند التمكن منه والأمان على النفس والمال والحرم والاسباب ، وان أنكره عند المخافة من غير أن يغير من اعتقاده شيئاً فلا حرج عليه فيه قال الله تعالى : « **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**[4] » .

واعلم ان جميع ما ذكرناه من صفات عقائد الفرقة الناجية يجب معرفته في صحة الايمان ، وقد شرحناه وقرنا كل واحد منها بدليل عقلي وآخر شرعي ليورد من احكمه على الخصم المقر بالشريعة الأدلة الشرعية ؛ وعلى الخصم المنكر للشريعة من طبقات الملحدين الأدلة العقلية فيقوى على الفريقين بما جمعناه من الطريقين ، ولا تكاد تنفذ عليه حيل أهل الالحاد والبدعة والخدعة عن الديانة .

واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف في شيء منه

---

(١) الأنبياء : ٧ .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة ، ورواه مسلم ليس مرفوعا بل من كلام ابن سيرين .

(٣) العنكبوت : ٤٦ .

(٤) النحل : ١٠٦ .

بين الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله . وجميع اهل الرأي والحديث مثل مالك(١) والاوزاعي(٢) وداود(٣) والزهري(٤) والليث بن سعد(٥) وأحمد بن حنبل(٦) وسفيان الثوري(٧) وسفيان بن عيينة(٨) ويحيى بن معين(٩) واسحق بن راهويه(١٠) ومحمد بن

---

(١) هو إمام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر ، الاصبحي . وهو صاحب «الموطأ» المشهور المتداول ولد سنة / ٩٣ هـ ويقال : سنة / ٩٤ ، ومات في سنة / ١٧٩ هـ : انظر «العبر» ١ : ٢٧٢ ، و «مشاهير علماء الامصار» رقم / ١١١٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٥ .

(٢) هو إمام الشاميين ابو عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو ، الفقيه ، روى عن خلف كثير من التابعين ، ولد في سنة / ٨٠ هـ ، ومات ببيروت في الحمام سنة / ١٥٧ هـ . انظر «العبر» ١ : ٢٢٧ ، و «مشاهير علماء الامصار» رقم : ١٤٢٥ ، و «وفيات الاعيان» رقم / ٣٣٤ .

(٣) هو ابو سليمان داود بن علي بن خلف الاصبهاني ولد في الكوفة سنة ٢٠٠ هـ وقيل ٢٠٢ هـ وتعلم في البصرة وبغداد ونيسابور ، توفي في بغداد سنة ٢٧٠ هـ . انظر «الفهرست» لابن النديم ٢١٦ - ٢١٧ ، «الوفيات» ١ : ٢١٩ - ٢٢٠ «لسان الميزان» ٢ : ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٤) هو ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، الزهري ، المدني ، احد الأئمة الكبار . توفي في سنة / ٩٤ هـ . ويقال : في سنة / ١٠٤ هـ . انظر «العبر» ١ : ١١٢ .

(٥) هو ابو الحارث الشيباني سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، ولد في قلقشندة بمصر سنة ٩٤ هـ ، كان محدثاً فقيهاً بارزاً ، توفي سنة ١٧٥ هـ . انظر الطبقات لابن سعد ٧ : ٥١٧ ، «والفهرست» ١٩٩ ، و «حلية الاولياء» ٧ : ٣١٨ ، «والوفيات» ١ : ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٦) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، تعلم هناك اللغة والحديث . وقع له مع المأمون «محنة» لانه رفض رأي الاعتزال ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ في بغداد . انظر «التاريخ الكبير» ١ : ٢ ، «الفهرست» ٢٢٩ ، «حلية الاولياء» ٩ : ١٦١ - ٢٢٣ ، «تاريخ بغداد» ٤ : ٤١٢ - ٤٢٣ ، «وفيات الاعيان» ١ : ٢٠ - ٢١ «التهذيب» ١ : ٧٢ - ٧٦ .

(٧) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد مسروق الثوري الكوفي ولد سنة ٩٥ هـ ، وكان محدثاً زهراً ومتكلماً انظر «الطبقات» ٦ : ٣٧١ - ٣٧٤ ، «التاريخ الكبير» ٣ : ٩٣ . و «المشاهير» لابن حبان / ١٦٩ - ١٧٠ ، و «الفهرست» ٢٢٥ ، و «تاريخ بغداد» ٩ / ١٥١ - ١٧٤ .

(٨) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، الكوفي ، المكي ، ابو محمد . ولد بالكوفة في النصف من شعبان ، وطلب الحديث ولقي الكبار ، توفي سنة ١٩٦ هـ في النصف من شعبان . انظر معجم المؤلفين ٤ : ٢٣٥ ، «والفهرست» ١ : ٢٢٦ ، و «تهذيب التهذيب» ٤ : ١١٧ ، و «الحلية» ٧ : ٢٧٠ - ٣١٨ .

(٩) . هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري ، البغدادي (ابو زكريا) محدث حافظ ، عارف بالرجال ، ولد بقرية نقيا سنة ١٥٨ هـ وتوفي بالمدينة سنة ٢٣٣ هـ في ذي القعدة . انظر «معجم المؤلفين» ١٣ : ٢٣٢ ، و «تاريخ بغداد» ١٤ : ١٧٧ ، «الفهرست» ١ : ٢٣١ .

(١٠) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن عطية المروزي المعروف بابن راهويه . محدث فقيه ولد سنة ١٦١ هـ وقيل ١٦٣ هـ وغير ذلك وتوفي سنة ٢٣٨ هـ ، وهو ابن ٧٧ سنة . انظر «معجم المؤلفين» ٢ : ٢٢٨ ، و «الفهرست» =

اسحق الحنظلي (١) ومحمد بن أسلم الطوسي (٢) ، ويحيى بن يحيى (٣) ، والحسين بن الفضل البجلي (٤) ، وابي يوسف (٥) ، ومحمد (٦) ، وزفر (٧) ، وابي ثور (٨) . وغيرهم من أئمة الحجاز ، والشام ، والعراق ، وأئمة خراسان ، وما وراء النهر ، ومن تقدمهم من الصحابة ، والتابعين، واتباع التابعين . ومن اراد أن يتحقق ان لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة فلينظر فيما صنفه ابو حنيفة رحمه الله في الكلام وهو كتاب «العلم » وفيه الحجج القاهرة على اهل الالحاد والبدعة ، وقد تكلم في شرح اعتقاد المتكلمين وقرر احسن طريقة في الرد على المخالفين وكتاب «الفقه الاكبر» الذي اخبرنا به الثقة بطريق معتمد واسناد صحيح عن نصير بن يحيى (عن ابي مطيع) عن ابي حنيفة وما جمعه ابو حنيفة في الوصية التي كتبها الى ابي عمرو عثمان البتي ورد فيها على المبتدعين . ولينظر فيما صنفه الشافعي في مصنفاته فلم يجد بين مذهبيهما تبايناً بحال . وكل ما حكى عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فانما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجاً لبدعته . ومن لا يبالي ان يتدين بما لا حقيقة له في دينه لا يبالي نسبة

= ١ : ٢٣٠ ، و «شذرات الذهب » ٢ : ٨٩ ، و « الحلية» ٩ : ٢٣٤ .

(١) فاضل ، سمع منه السمعاني . كان حياً قبل ٥٦٢ هـ . انظر «ايضاح المكنون » ٢ : ٣٠٥ و «معجم المؤلفين » ٧ : ٣٣.

(٢) هو محمد بن اسلم الطوسي ، الكندي ، محدث ، ومفسر ، ومتكلم توفي سنة ٢٤٢ هـ انظر «معجم المؤلفين » ٩ : ٥٢ . و «كشف الظنون » ٥٨ : ١٦٨٥ ، و «الوافي » ٢ : ٢٠٤ .

(٣) هو يحيى بن يحيى النيسابوري توفي سنة ٢٢٦ هـ.

(٤) لم نقف على ترجمته .

(٥) هو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي . ولد سنة ١١٣ هـ . صاحب أبي حنيفة توفي سنة ١٨٢ هـ . انظر الفهرست ٢٠٣ ، و «تاريخ بغداد » ١٤/ ٢٤٢ - ٢٦٢

(٦) هو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، ولد بواسط سنة ١٣٢ هـ وشب بالكوفة حيث سمع من أبي حنيفة وتأثر به . ولي منصب القضاء بالرقة وعزل توفي في سنة ١٨٩ هـ . انظر الطبقات ٧ :٢ ، و «الفهرست » ٣ : ٢٠٤ و «الوفيات » ١ : ٤٥٣ ، و «شذرات الذهب » ١ : ٣٢١ .

(٧) هو ابو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس العنبري ، احد تلاميذ ابي حنيفة المشهورين ولد في سنة ١١٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٨ هـ . انظر «الفهرست » ٢٠٤ ، «والوفيات » ١/ ٢٣٧ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٣ .

(٨) هو ابو ثور إبراهيم بن خالد ، الكلبي ، البغدادي ، الفقيه ، احد الاعلام . تفقه بالشافعي ، وسمع من ابن عيينة وغيره توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر «العبر » ٢/ في عدة مواضع ، وطبقات الشافعية ١/ ٢٢٧ ، و «شذرات الذهب » ٢/ ٩٣

الخرافات الى أئمة الدين لأن من كذب على الله تعالى ورسوله ﷺ لا يبالي ان يكذب على أئمة المسلمين ، وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلداً فيها . وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة الى أبي حنيفة تستراً به ، فلا يغر نك ما أدعوه من نسبتها اليه فان أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبوه اليه ، والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه اليهم أهل الغواية والضلالة وبالله التوفيق

ـ الفصل الثاني من هذا الباب
في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة :

اعلم ان الذي تحقق لهم هذه الصفة أمور . منها قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »[1] والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول سبب محبة الرب للعبد ، فكل من كان متابعته للرسول ﷺ ابلغ واتم كانت المحبة له من الله أكمل واتم ، وليس في فرق الأمة اكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ واكثر تبعاً لسنته من هؤلاء ولهذا سموا اصحاب الحديث ، وسموا بأهل السنة والجماعة . ومنها ان النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال : «ما انا عليه واصحابي » وهذه الصفة تقررت لأهل السنة لأنهم ينقلون الاخبار والآثار عن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج ، والروافض ، ولا من قال من القدرية : ان شهادة اثنين من اهل صفين غير مقبولة على باقة بقل . ومن ردهم وطعن فيهم لا يكون متابعاً لهم ولا ملابساً بسيرتهم . ومنها ما جاء في رواية اخرى انه ﷺ سئل عن الفرقة الناجية فقال : (الجماعة) . وهذه صفة مختصة بنا . لأن جميع الخاص والعام من اهل الفرق المختلفة يسمونهم اهل السنة والجماعة ، وكيف يتناول هذا الاسم الخوارج وهم لا يرون الجماعة ، والروافض وهم لا يرون الجماعة ، والمعتزلة وهم لا يرون صحة

---

(١) آل عمران : ٣١.

الاجماع . وكيف تليق بهم هذه الصفة التي ذكرها الرسول ﷺ .

ومنها انهم يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واجماع الأمة والقياس ، ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة ويحتجون بجميعها . وما من فريق من فرق مخالفيهم الا وهم يردون شيئاً من هذه الأدلة . فبان انهم اهل النجاة باستعمالهم جميع اصول الشريعة دون تعطيل شيء منها .

ومنها ان اهل السنة مجتمعون فيما بينهم لا يكفر بعضهم بعضاً وليس بينهم خلاف يوجب التبريء والتكفير . فهم اذاً أهل الجماعة قائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله كما قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(١) قال المفسرون : أراد به الحفظ عن التناقض وما من فريق من فرق المخالفين الا وفيما بينهم تكفير وتبرى يكفر بعضهم بعضاً ، كما ذكرنا من الخوارج والروافض ، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضاً وكانوا بمنزلة اليهود ، والنصارى حين كفر بعضهم بعضاً حتى قالت اليهود : «ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »(٢) وقال الله سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »(٣) .

ومنها ان فتاوى الامة تدور على اهل السنة والجماعة فريقي الرأي والحديث ، ومعظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجتمعون على طريقهم وهو الغالب على بلاد المسلمين . فهم اذاً اهل الجماعة من سائر الوجوه ، وكلهم متفقون على رد مذهب الروافض ، والخوارج ، والقدرية ، من اهل الاهواء والبدع .

ومنها ان عبد الله بن عمر رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ في تفسير قوله سبحانه وتعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه »(٤) (ان الذين تبيض وجوههم هم

---

(١) الحجر : ٩ .

(٢) البقرة : ١١٣ .

(٣) النساء : ٨٢ .

(٤) آل عمران : ١٠٦ .

الجماعة ، والذين تسود وجوههم هم اهل الاهواء) وأهل الاهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ولا السنة .

ومنه قوله تعالى :«ان الذين فرقوا دينهم وكانواشيعاً لست منهم في شيء» (١) فتبين ان الذين فارقوا دينهم أو فرقوا دينهم هم ليسوا على طريق الحق ، وجميع من ذكرناهم من فرق المخالفين يفرقون فيا بينهم كما وصفناه من اختلافهم فبان به انهم مفارقون للدين ، وأهل السنة والجماعة متمسكون به بعروة الاسلام وحبل الدين ، مجتمعون في اصولهم غير متفرقين ، فكانوا هم اهل النجاة دون من خالفهم في هذه الصفة .

ـ الفصل الثالث

من فصول المفاخر لأهل الاسلام وبيان فضائل اهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم

اعلم انه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الاسلام من المعارف ، والعلوم ، وانواع الاجتهادات ، إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى ، والسهم الأوفر .

أما العلوم فاولها الرقي في مدارج الفضل والأدب الذي هو ترجمان جميع العلوم ، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدينا والآخرة ، اذ لا سبيل الى تفسير القرآن واخبار الرسول ﷺ . الا بمعرفة الأدب ، وجملة الأئمة في النحو واللغة من اهل البصرة والكوفة في دولة الاسلام كانوا من أهل السنة والجماعة ، واصحاب الحديث والرأي . ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض ،

---

(١) الانعام : ١٥٩ .

والخوارج ، والقدرية ، مثل ابي عمرو بن العلاء[1] الذي قال له عمرو بن عبيد القدري : قد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالى يصدق وعده ووعيده ، فاراد بهذا الكلام ان ينصر بدعته التي ابتدعها في ان العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون. فقال ابو عمرو : فأين انت من قول العرب ان الكريم اذا اوعد عفا ، واذا وعد وفى ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

واني اذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم ، وكذلك لم يكن في أئمة الأدب احد إلا وله انكار على أهل البدعة شديد، وبعد من بدعهم بعيد . مثل الخليل بن احمد[2] ويونس بن حبيب[3] وسيبويه[4] والاخفش[5] والزجاج[6] والمبرد[7] وابي حاتم

---

(١) هو مقرىء البصرة الإمام ابو عمرو بن العلاء ، المازني ، احد القراء السبعة. قال عنه ابو عبيدة : كان ابو عمرو اعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وايام العرب ، مات سنة / ١٥٤ هـ انظر «العبر» ١ : ٢٢٣ ، و«شذرات الذهب» ١ : ٢٣٧.

(٢) هو إمام النحاة وشيخ امامهم : ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، الفراهيدي ، الازدي ، البصري ، صاحب العربية والعروض. صنف كتاب العين في اللغة ، وعليه تخرج سيبويه . توفي في ارجح الاقوال في سنة / ١٧٥ هـ ، ويقال قبلها ، ويقال بعدها ، انظر «العبر» ١ : ٢٦٨.

(٣) هو من اصحاب ابي عمرو بن العلاء سنة ١٨٢ هـ.

(٤) هو إمام اهل البصرة في العربية ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، مصنف «الكتاب» الذي يعد مفخرة التآليف في العربية. كانت وفاته على الصحيح في سنة / ١٨٠ هـ عن بضع ثلاثين سنة . انظر «العبر» ١ : ٢٧٨.

(٥) هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، المجاشعي ، اخذ عن سيبويه وكان اسن منه ، وصحب الخليل قبل ان يصحب سيبويه ، وقرأ على الكسائي كتاب سيبويه ، وتوفي سنة / ٢١٥ هـ . انظر « طبقات الزبيدي » ص/ ٧٤.

(٦) هو ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ابو اسحاق) النحوي ، اللغوي ، المفسر ، اقدم اصحاب المبرد قراءة عليه توفي سنة ٣١١ هـ . وقيل غير ذلك انظر «معجم المؤلفين» ١ : ٣٣ ، و«الفهرست» ١ : ٦٠ ، وتاريخ بغداد ٨٩ - ٩٣.

(٧) هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن حسان الازدي ، المعروف بالمبرد (ابو العباس) اديب ، نحوي ، لغوي ، نسابه . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ، وتوفي ببغداد في ذي الحجة سنة ٢٨٥ هـ. انظر «معجم المؤلفين» ١٢ : ١١٤ ، و«الفهرست» ١ : ٥٩ ، و«شذرات الذهب» ٢ : ١٩٠ - ١٩١.

السجستاني (١) وابن دريد(٢) والازهري(٣) وابن فارس(٤) والفارابي(٥) وكذلك من كان من أئمة النحو واللغة مثل الكسائي(٦)، والفراء(٧) والاصمعي(٨) وابي زيد الأنصاري (٩) وابي عبيدة(١٠) وابي عمرو الشيباني(١١) وابي عبيد القاسم بن سلام(١٢)

---

(١) هو سهل بن محمد بن يزيد الجشمي السجستاني (ابو حاتم)، نحوي ، لغوي ، عروضي ، مقرىء . ولد سنة ١٧٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ . انظر «معجم المؤلفين» ٤ : ٢٨٥ ، و«الفهرست» ١ : ٥٨ ، و«وفيات الاعيان» ١ : ٢٧٣ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، الازدي البصري ، (ابو بكر) ، أديب ، شاعر ، لغوي ، نسابة . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وقرأ على علمائها وتوفي ببغداد ودفن بالخيزرانية سنة ٣٢١ هـ . انظر «تاريخ بغداد» ١٩٥ - ١٩٧ ، و«الفهرست» ١ : ٦١ ، «وفيات الاعيان» ٦٢٩ - ٦٣٢ - «وطبقات الشافعية» ٢ : ١٤٥ .

(٣) هو محمد بن احمد بن طلحة ، الازهري ، (ابو منصور) ، اللغوي توفي سنة ٣٧٠ هـ . انظر كشف الظنون١ : ٥١٥ .

(٤) هو ابو الحسين احمد بن فارس ، القزويني ، اللغوي ، صاحب «مجمل اللغة» المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، انظر «كشف الظنون» ٢ : ١٦٠٥ .

(٥) هو اسحاق بن ابراهيم الفارابي (ابو ابراهيم) اديب لغوي ، سكن زبيد توفي سنة ٣٥٠ هـ وقيل غير ذلك. انظر «الانساب»٢ / ٤١٥ و «معجم الادباء» ٦ : ٦٥ .

(٦) هو علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي ، الكوفي ، المعروف بالكسائي (ابو الحسن) مقرىء ، مجود ، لغوي . نشأ بالكوفة ، واستوطن بغداد وهو احد القراء السبعة وتوفي برنبويه احدى قرى الري سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك . انظر «الفهرست» ١ : ٢٩ و «الانساب» ٤٨٢ ، و «تاريخ بغداد» ١١ : ٤٠٣ - ٤١٥ .

(٧) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، الاسلمي ، المعروف بالفراء الديلمي (ابو زكريا) ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ . انظر وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٠١ - ٣٠٤ ، و «الفهرست» ١ : ٦٦ .

(٨) هو عبد الملك بن قريب والكلام فيه طويل توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٩) هو سعيد بن اوس بن ثابت بن زيد بن قيس الانصاري (أبو زيد) ، لغوي ، اديب ، نحوي ، ولد سنة ١١٩ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥ هـ . وقيل غير ذلك . انظر «معجم المؤلفين» ٤ : ٢٢٠ ، و «الفهرست» ١ : ٥٤ ، و «وفيات الاعيان» ٢ : ٢٦١ .

(١٠) هو معمر بن المثنى (ابو عبيدة) توفي سنة ٢٠٩ هـ .

(١١) هو اسحاق بن مرار الشيباني ، الكوفي (ابو عمرو) . اصله من رمادة الكوفة ، نزل بغداد توفي سنة ٢٠٥ هـ . وفي رواية ٢٠٦ وقيل غير ذلك . انظر «معجم المؤلفين» ٢ : ٢٣٨ ووفيات الاعيان : ١ : ٨٠ - ٨١ ، والفهرست ١ : ٦٨ ، وتاريخ بغداد : ٦ : ٣٢٩ - ٣٣٢ .

(١٢) هو القاسم بن سلام (ابو عبيدة) ولد بهراة سنة ١٥٠ هـ واخذ عن خلف وتوفي بمكة سنة ٢٢٢ هـ وقيل غير ذلك . انظر «تاريخ بغداد» ١٢ : ٤٠٣ - ٤١٦ ، و «الفهرست» ١ : ٧١ و «شذرات الذهب» ٢ : ٥٤ ، و «تذكرة الحفاظ» ٢ : ٥ ، ٦ .

وما منهم احد إلا وله في تصانيفه تعصب لأهل السنة والجماعة ، ورد على اهل الالحاد والبدعة ، ولم يقر واحد في شيء من الاعصار من اسلاف اهل الادب بشيء من بدع الروافض والقدرية غير ان جماعة من المتأخرين من اهل الادب تدنسوا بشيء من ذلك تقرباً الى «ابن عباد» طمعاً في شيء من الدنيا والرياسة ، واظهروا شيئاً من الرفض والاعتزال ، ومن كان متدنساً بشيء من ذلك لم يجز الاعتماد عليه في رواية اصول اللغة وفي نقل معاني النحو ، ولا في تأويل شيء من الاخبار ، ولا في تفسير آية من كتاب الله تعالى .

وثانيها: علم تفسير القرآن ، ولم يكن في جميع من نسب اليه شيء من اصول تفسير القرآن من وقت الصحابة الى يومنا هذا من تلوث بشيء من مذهب القدرية ، والخوارج ، والروافض ، مثل الخلفاء الراشدين الذين تكلموا في التفسير ، ومثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ، ومثل المشاهير من التابعين ، واتباع التابعين الذين تكلموا في التفسير كسعيد بن جبير [1] وقتادة [2] وعطاء [3] وعكرمة [4] ومكحول [5] وعطية [6] ومن كان بعدهم

---

(١) هو ابو عبد الله بن سعيد بن جبير الاسدي ، الكوفي ، ولد سنة ٤٥ هـ وتتلمذ على عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر ، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ . انظر «المعارف» ٢٢٧ - ٢٢٨ ، و«حلية الأولياء» ٤/ ٢٧٢ - ٣٠٩. و «الوفيات» ١ : ٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدسي ولد سنة ٦٠ هـ .وكان مقرىء فقيهاً .روى عن انس بن مالك توفي سنة ١١٨ هـ . انظر «المعارف» ٢٣٤ ، التهذيب ٨ : ٣٥١ الطبقات ، ٧ : ٢٢٩ - ٢٣١ .

(٣) هو ابو محمد عطاء بن ابي رباح اسلم القرشي سنة ٢٧ هـ ادرك مائتين من صحابة رسول الله ﷺ توفي سنة ١١٤ هـ . انظر «الطبقات» ٥ : ٤٦٧ ، و «المعارف» ٣٢٧ . «وحلية الأولياء» ٣ : ٣١٠ ، «وتذكرة الحفاظ» ٩٨ .

(٤) هو مولى ابن عباس والكلام فيه طويل توفي سنة ١٠٥ هـ.

(٥) هو مكحول بن شهراب بن شاذل الهذلي ، (ابو عبد الله) اصله من فارس ، وولد بكابل ، ورحل بطلب الحديث الى العراق ، فالمدينة ، واستقر بدمشق ، وتوفي بها . انظر «الفهرست» ١ : ٢٢٧ ، و «معجم المؤلفين» ١٢ : ٣١٩ .

(٦) هو عطية بن سعد بن جنادة ، العوفي ، الكوفي ، (ابو الحسن) توفي سنة ١١١ هـ . انظر «الطبقات» ٦ : ٢١٢ ، و«المعارف» ٢٥٩ ، و «التهذيب» ٧ : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

كالواقدي[1] ومحمد بن اسحاق بن يسار [2] والسدي [3] وغيرهم ممن كان بعدهم الى أن انتهت النوبة الى محمد بن جرير الطبري[4] واقرانه .

وكان الزجاج رأسا في نصرة أهل السنة والرد على أهل البدعة ، وكذا الفراء قبله وقد ردا في كتابيهما المصنفين في المعاني على القدرية ، والخوارج ، والروافض . وصنف بعض متأخري القدرية في تفسير القرآن على موافقة بدعتهم وذلك لا يتداوله من أهل صنعة التفسير الا مخذول . وقد جمعنا في كتابنا المعروف « بتاج التراجم » ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما احدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف .

وثالثها : العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى ﷺ ، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات ومعرفة السلف الصالح ، ولا يدخل في تلك الصنعة الا أهل السنة والجماعة . وكذلك علوم القرآن لاحظ في شيء منها لأحد من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، وكيف يكون فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادة ونقصاً ، ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث ، بل لا يبالي بان يقدم عليهم بالتضليل والتكفير . وقد ندر فيما بين أهل القرآن والحديث من يتلبس

---

(١) هو محمد بن عمر الواقدي ، (ابو عبد الله) ولد سنة ١٣٠ هـ . في المدينة ، وتوفي سنة ٢٠٧ هـ في بغداد . انظر «الطبقات » ٥ : ٤٢٥ - ٤٣٣ ، و «المعارف » ٢٥٨ ، و «تاريخ بغداد » ٣ : ٣١، والفهرست ٩٨ - ٩٩ . و «معجم المؤلفين»١١/ ٩٥ - ٩٦ . وقد ذكر الصفدي أنه ضعيف انظر الوافي ٤ : ٢٣٨ وقال أحمد : هو كذاب . اهـ .

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يسار ، المطلبي ، المدني ، (ابو بكر ، ابو عبد الله) توفي ببغداد سنة ١٥١ هـ وقيل غير ذلك ، ودفن بمقابر الخيزران . انظر «تاريخ بغداد » ١ : ٢١٤ ، و «الوفيات » ١ : ٦١١ - ٦١٢ ، و «معجم المؤلفين » ٩ : ٤٤ ، و «الفهرست » ١ : ٩٢ و « تذكرة الحفاظ » ١: ١٦٣ - ١٦٤ . وقد وهّاه بعض الحفاظ .

(٣) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة ، السدي (أبو محمد) عاش في الكوفة وروى عن بعض الصحابة توفي سنة ١٢٨ هـ . انظر «التاريخ الكبير » ١ / ١/ ٣٦١ ، و «المعارف » ٩١ و «معجم المؤلفين » ٢ : ٢٧٦ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) ، مفسر ، محدث ، مؤرخ وفقيه ، ولد بآمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ هـ أو أول ٢٢٥ هـ واستوطن بغداد . واختار لنفسه مذهباً في الفقه ، وتوفي ليومين بقيا من شوال في بغداد . انظر « تاريخ بغداد » ٢ : ١٦٢ ، و « وفيات الأعيان » ١ : ٥٧٧ ، و « الفهرست » ١ : ٢٣٤ ، ولسان الميزان : ١٠٠ - ١٠٣ .

بصنعتهم وهو يضمر سوء بدعته ونحن نذره وسوء سريرته لا نعتد به .

ورابعها : علوم الفقه ويختص بالتبحر فيه أصحاب الحديث وأصحاب الرأي . ولم يكن قط للروافض ، والخوارج ، والقدرية ، تصنيف معروف يرجع اليه في تعرف شيء من الشريعة ، ولا كان لهم أمام يقتدي به في فروع الديانة .

وخامسها : علوم المغازي ، والسير ، والتواريخ ، والتفرقة بين السقيم والمستقيم وليس لأهل البدعة من هو رأس في شيء من هذه العلوم فهي مختصة بأهل السنة والجماعة .

وسادسها : علم التصوف ، والاشارات ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ ، بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة ، والحلاوة ، والسكينة ، والطمأنينة وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي من مشايخهم قريباً من ألف ، وجمع اشاراتهم وأحاديثهم ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب الى شيء من بدع القدرية ، والروافض ، والخوارج ، وكيف يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم يدور على التسليم ، والتفويض ، والتبري من النفس ، والتوحيد بالخلق والمشيئة . وأهل البدع ينسبون الفعل ، والمشيئة ، والخلق ، والتقدير الى أنفسهم . وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد .

وسابعها : أنّ لأهل السنة والجماعة التفرد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين . منها ما هو مبسوط يكثر علمه ، ومنها ما هو لطيف يصغر حجمه في أعصار مختلفة من عصر الصحابة الى يومنا هذا ، في نصرة الدين ، والرد على الملحدين ، والكشف عن أسرار بدع المبتدعين ، ولم يكن لواحد من متقدمي القدرية والروافض والخوارج تصنيف في هذا النوع يظهر ويتداول . وهل كان لهم علم حتى يكون لهم فيه تصنيف ؟ بلى قوم من متأخريهم تكلفوا جمع شبه يخادعون به القوم عن أديانهم ، وصنفوا فيها تصانيف أكثرها لا يوجد إلا بخط المصنف . إذ كان الاشتغال بنقلها من قبيل تعطيل الوقت بالمقت . وقيض الله تعالى في عصرنا في كل اقليم من أقاليم العالم سادة من أعلام أئمة الدين صنفوا في نصرة الدين ، وتقوية ما عليه أهل

السنة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه . مثل القاضي الامام أبي بكر الأشعري وله قريب من خمسين ألف ورقة من تصانيفه في نصرة الدين والرد على أهل الزيغ والبدع لا تكاد تندرس الى يوم القيامة . مثل : كتاب (الهداية) وكتاب (نقض النقض) وكتاب (التقريب في الأصول) والكتاب الكبير في الأصول يشتمل على عشرة آلاف ورقة وكتاب (الكسب) وكتاب (التمهيد) وغير ذلك من التصانيف التي لا يكاد يتفق مثلها الا لمن وافقه التوفيق .

ومثل الامام أبي اسحاق الاسفراييني رحمه الله الذي عقمت النساء عن ان يلدن مثله ، ولم تر عيناه في عمره مثل نفسه ، وكان شديداً على خصمه ، يفرق الشيطان من حسه ، قدس الله روحه وله تصانيف في أصول التوحيد ، وأصول الفقه كل واحد منها معجز في فنه . منها : كتاب (الجامع) وهو كتاب لم يصنف في الاسلام مثله ، ولم يتفق لأحد من الأئمة في شيء من العلوم مثل ذلك الكتاب ، ومن حسن احكامه انه لا طريق لأحد من المخالف والموافق الى نقضه لحسن تحقيقه واتقانه ، ولا يتجاسر أحد لأن يتصدى لنقضه للطف صنعته في وضعه ، وله في دقائق الفقه والمقدرات كتاب حير به الافهام ، ولا يهتدي لحله الا من انفق دهره على حسه . وله عدد كثير من لطائف التصانيف يهتدي بها الناس في أصول الدين مثل : (المختصر في الرد على أهل الاعتزال والقدر) ولم يوجد في الاسلام كتاب مثل حجمه يجمع ما يجمعه من النكت في الرد على أهل الزيغ والبدع . وكتاب (الوصف والصفة) لم ير كتاب في مثل حجمه يجمع من الفوائد في أصول الدين ما يجمعه وكتاب (تحقيق الدعاوي) وهو في لطافة حجمه يتضمن الطرف التي يتوصل بها الى ابانة بطلان الباطل من المقالات وتصحيح الصحيح منها جميعها في سبع طرق من يهدي اليها لم تخف عليه كيفية الرد على شيء من مقالات الملحدين والمبتدعين ، وكتاب (شرح الاعتقاد) الذي لا يطلع على علومه أحد إلا استبان له طريق أهل السنة على وجه لا يتخالجه فيه شيء من الشك والشبهة وله في الأصول كتاب (ترتيب المذهب) وكتاب (المختلف في الأصول) لم يجمع مثلهما في علم أصول الفقه بعد الشافعي .

ومثل الاستاذ أبي بكر بن فورك الاصفهاني رضي الله عنه الذي لم ير مثله في نشر دينه ، وقوة يقينه ، وله أكثر من مائة وعشرين تصنيفاً في نشر الدين ، والرد على الملحدين ، وتحقيق أصول الدين ، وله في الاسلام آثار ظاهرة ولو لم يخرج من مجلسه من المتزهدين والأقوياء في نصرة الدين الا الاستاذ الامام أبو منصور الأيوبي رضي الله عنه وهو الذي كان يفر من حسه شيطان كل ملحد على وجه الأرض ، لقوة نظره ، وحسن عبارته ، ولطافته في الرد على خصمه وله كتاب (التلخيص) ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة في الرد على أهل الالحاد والبدعة سوى ذلك الكتاب في حسن بيانه ، ولطافة ترتيبه ، وتهذيبه كان فيه الكفاية في حسنه ، مع ما له من التصانيف الأخر التي تداولتها أيدي أهل الأقاليم بحسن البيان ولطافة التنميق .

ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم ، إلا من كان فرد زمانه ، وواحد أقرانه في معارفه وعلومه ، وكثرة الغرر من تصانيفه ، وهو الامام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي قدس الله روحه ، وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب (الملل والنحل) في أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أنه يتمكن من مثله لكثرة ما فيه من فنون علمه ، وتصانيفه في الكلام ، والفقه ، والحديث ، والمقدرات[1] التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر لم يسبق الى مثل كتبه في هذه الأنواع مع حسن عبارته ، وعذوبة بيانه ، ولطافة كلامه ، في جميع كتبه .

وقد تأملنا ما جمعه هؤلاء الأئمة في أصول التوحيد من الكتب البسيطة ، والوجيزة ، ومن تقدم من سادة الأئمة ، وأعيان أهل السنة والجماعة ، فجمعنا نكتهم في كتاب (الأوسط) بعبارات قريبة وألفاظ وجيزة ، اتباعاً لآثارهم وبناء على مقالاتهم ، والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف في الفقه ، والفرائض ،

---

(١) أي الحساب .

والمقـدرات ، والـكلام ، والتفسـير ، والتعبير ، بالفـارسية ما شاء الله بفضلـه وجوده .

وأما أنواع الاجتهادات الفعلية التي مدارها على أهل السنة والجماعة في بلاد الاسلام فمشهورة مذكورة ، مثل المساجد والرباطات المثبتة في بلاد أهل السنة . اما في أيام بني أمية ، واما في أيام بني العباس مثل مسجد دمشق المبني في أيام الوليد بن عبد الملك وكان سنياً قتل في أيامه ما شاء الله من الخوارج والروافض ، والقدرية ، وبنى أخوه مسلمة بن عبد الملك المسجد بالقسطنطينية . وما قام الى هذه المدة بعمارة مسجد مكة والمدينة إلا من كان من أهل السنة والجماعة ، لم يكن لواحد من أهل بدع الخوارج والروافض ، والقـدرية ، فيه سعي وكان بعض المصريين يتغلبـون ويسعون في عمارة شيء منه لكن لا موقع لما كانوا يفعلونه مع سوء اعتقادهم كما قال الله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر [1]» وكما قال تعالى : « قل انفقوا طوعا أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين [2] » .

وقد تكلمنا قبل ، على سوء طريقهم وعظم فتنتهم فيما بين المسلمين ، ومن كانت هذه طريقته لم يكن له بعمارته المسجد موقع عند الله تعالى وعند المسلمين ، ومن آثارهم الاجتهادية سدهم ثغور الاسلام والمرابطة بها في أطراف الأرض مثل ثغور الروم ، وثغور أرمينية ، وانسداد جميعها ببركات أصحاب الحديث . وأما ثغور بلاد الترك فمشتركة بين أهل الحديث والرأي ، وليس لأهل الأهواء في شيء من الثغور مرابطة ولا أثر ظاهر ، بل هم أشد ضلالة ، فبان لك بما ذكرناه من مساعي أهل السنة والجماعة في العلوم والاجتهادات ، انهم أهل الاجتهاد ، والجهاد . والجهاد في الدين يكون تارة باقامة الحجة في الدعوة الى المحجة ويكون تارة بأستعمال السيف مع المجاهدين ضد أهل الخلاف من الاعداء وببذل الأموال والمهج وقد خص الله تعالى

(١) التوبة : ١٧ .
(٢) التوبة : ٥٣ .

فيهم قوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين[1] » . وإذا كان الجهاد في النوعين صادراً منهم كانت الهداية مختصة بهم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2] » .

وقد عصمهم الله ان يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعناً ، فلا يقولون في المهاجرين ، والأنصار ، وأعلام الدين ، ولا في أهل بدر ، وأحد ، وأهل بيعة الرضوان ، إلا أحسن المقال ، ولا في جميع من شهد النبي ﷺ لهم بالجنة ، ولا في أزواج النبي ﷺ وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل الحسن ، والحسين ، والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر ابن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير ، ولا في الخلفاء الراشدين ولم يستجيزوا أن يطعنوا في واحد منهم وكذلك في أعلام التابعين ، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع واظهار شيء من المنكرات ، ولا يحكمون في عوام المسلمين الا بظاهر ايمانهم ، ولا يقولون بتكفير واحد منهم الا ان يتبين منه ما يوجب تكفيره ، ويصدقون بقول النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب يشفع كل واحد منهم في عدد ربيعة ومضر »[3] ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله تعالى في كتابه حيث قال : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم[4] » .

تم الباب وتم بتمامه الكتاب والحمد لله على نعمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه أمهات أهل الاسلام وحسبنا الله وكفى .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) الجمعة : ٤ .

(٣) ورد بالفاظ منها ابن ماجة ٢ : ١٤٣٣ ، ومسلم ١ : ١٣٦ واحمد في مسنده ٥ : ٣٩٣ .

(٤) الحشر : ١٠ .

الفهارس

المصادر

- أ -

- الاصابة والاستيعاب — لابن عبد البر — دار احياء التراث العربي ـ ١٣٢٨ هـ ـ بيروت

- ت -

- تاج العروس — للزبيدي — الطبعة الخيرية بمصر ـ ١٣٠٦ ـ
- تاريخ بغداد — الخطيب البغدادي — المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة
- التاريخ الكبير — للامام البخاري — حيدر اباد ـ ١٣٦٢ هـ
- تبيين كذب المفتري — لابن عساكر
- تذكرة الحفاظ — للذهبي — دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ
- تهذيب التهذيب — لابن حجر العسقلاني — دار صادر ـ بيروت ـ

- ج -

- الجامع لاحكام القرآن — للقرطبي — دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ

- ح -

- حلية الأولياء — لأبي نعيم — ـ دار الفكر ـ بيروت ـ

- خ -

- خزانة الأدب
- خطط المقريزي

- د -

- دائرة المعارف	للبستاني	

- س -

- سنن ابن ماجة		دار احياء التراث - ١٩٧٥ م - بيروت
- سنن أبي داود		دار الكتاب العربي
- سنن الترمذي		
- سنن النسائي		

- ش -

- شذرات الذهب	لابن العماد	دار المسيرة

- ص -

- الصحاح	الجوهري	الطبعة الأولى
- صحيح البخاري		دار المعرفة - ١٩٧٨م - بيروت .
- صحيح مسلم		دار المعرفة - بيروت -

- ط -

- طبقات الشافعية	للسبكي	- عيسى بابي الحلبي - القاهرة -
- طبقات الشعراء	لابن المعتز	

- ع -

- العبر	للذهبي	

- ف -

- الفرق بين الفرق	لأبي منصور البغدادي	- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
- الفهرست	لابن النديم	

- ك -

- الكامل	لابن الأثير	
- الكامل	لابن المبرد	الطبعة الخيرية
- كشف الخفا	للعجلوني	دار أحياء التراث - ١٣٥١ هـ - - بيروت -
- كشف الظنون	لحاجي خليفة	دار الفكر

- ل -

- لسان العرب		دار صادر - بيروت -
- لسان الميزان		مؤسسة الأعلمي - بيروت .

- م -

مختار الصحاح	للرازي	دار الكتاب العربي - بيروت
- مروج الذهب	للمسعودي	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
- مسند أحمد		دار صادر - بيروت -
- مشاهير علماء الأمصار	لابن حبان	القاهرة - ١٩٥٩
- المعارف	لابن قتيبة	العربي - بيروت
- معجم المؤلفين	كحالة	دار إحياء التراث العربي
- مقالات الاسلاميين	الأشعري	تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
- الملل والنحل	الشهرستاني	طبع الحلبي - مصر - ١٩٦١ م -
- مناقب الشافعي	للبيهقي	تحقيق أحمد صقر
- موارد الظمآن		دار الكتب العلمية - بيروت -
- ميزان الاعتدال	للذهبي	دار المعرفة - بيروت

- ن -

- النجوم الزاهرة

- و -

- الوافي بالوفيات		
- وفيات الأعيان	لابن خلكان	دار صادر - بيروت .

فهرس اسماء الرّجال

الفهرس العام